



النبی محمد اصحابہ کے

فوزی السیف



اطیاف للنشر والتوزیع
Atiyaf For Pub. & Dist.

009973894545 - 0300 - 0300
030073894545 - 0300 - 0300
030073894545 - 0300 - 0300

صَلَاةٌ
عَلَيْهِ
وآلِهِ
أَصْحَابِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

فَوْزِيَّ السَّيْفِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
٢٠٢١م



أطيف للنشر والتوزيع
Atiyaf For Pub. & Dist.

المملكة العربية السعودية - القطيف - تلفاكس : 00966138549545
a t y a f . q a t i f @ g m a i l . c o m

الإخراج الطباعي



mojeded@gmail.com

خطوط الغلاف

المهندس صالح الحداد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مقدمة

١ . هذه اضمامة عشق ومحبة كان أبطالها أصحاب لرسول الله ﷺ، أخلصوا لرسالته وتفانوا في محبته، ثم وجدوا أن خير من يخلفه ويستحق ذلك الاخلاص والتفاني هو وصيه وابن عمه علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهم الذين عناهم الإمام علي بن الحسين بن أبي طالب بقوله في الدعاء لهم والترحم عليهم والترضي عنهم: «اللَّهُمَّ وَأَصْحَابُ مُحَمَّدٍ خَاصَّةً الَّذِينَ أَحْسَنُوا الصَّحَابَةَ وَالَّذِينَ أَبْلَوْا الْبَلَاءَ الْحَسَنَ فِي نَصْرِهِ، وَكَانَفُوهُ، وَأَسْرَعُوا إِلَيَّ وَفَادَتِهِ، وَسَابَقُوا إِلَيَّ دَعْوَتِهِ، وَاسْتَجَابُوا لَهُ حَيْثُ أَسْمَعُهُمْ حُجَّةَ رِسَالَتِهِ، وَفَارَقُوا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ فِي إِظْهَارِ كَلِمَتِهِ، وَقَاتَلُوا الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ فِي تَشْبِيتِ نُبُوَّتِهِ، وَانْتَصَرُوا بِهِ، وَمَنْ كَانُوا مُنْطَوِينَ عَلَيَّ مَحَبَّتِهِ يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ فِي مَوَدَّتِهِ، وَالَّذِينَ هَجَرْتَهُمُ الْعَشَائِرُ إِذْ تَعَلَّقُوا بِعُرْوَتِهِ، وَانْتَفَتَ مِنْهُمْ الْقَرَابَاتُ إِذْ سَكَنُوا فِي ظِلِّ قَرَابَتِهِ، فَلَا تَنْسَ لَهُمُ اللَّهُمَّ مَا تَرَكُوا لَكَ وَفِيكَ، وَأَرْضِهِمْ مِنْ رِضْوَانِكَ، وَبِمَا حَاشُوا الْخَلْقَ عَلَيْكَ، وَكَانُوا مَعَ رَسُولِكَ دُعَاءَ لَكَ إِلَيْكَ، وَاشْكُرْهُمْ عَلَيَّ هَجْرِهِمْ فِيكَ دِيَارَ قَوْمِهِمْ، وَخُرُوجِهِمْ مِنْ سَعَةِ الْمَعَاشِ إِلَيَّ ضَيْقِهِ..» وهم الذين ستكون صفحات هذا الكتاب - على قلتها - حاضنة لهم وشارحة لأحوالهم.

هؤلاء في الغالب لم يأخذوا نصيبهم من الذكر والثناء عليهم في الكتب، وذلك لأنهم من جهة لم يكونوا من المفضلين لدى مدرسة الخلفاء، بل كان حالهم حال غيرهم، بل أقل لأن توجهاتهم وأفكارهم وسيرة حياتهم لم تكن متوافقة تماماً مع أفكار مدرسة الخلفاء، بل ربما كان في الكثير من تفاصيل هذه السير ما يعارض تلك المدرسة، فكان أن أغفلت سيرهم أو جيء بما لا يخالف تلك المدرسة وأفكارها. وبالنسبة إلى أتباع مدرسة أهل البيت ﷺ فهم في الغالب قد اهتموا بذكر سيرة الأئمة المعصومين لرفع الحيف التاريخي والظلم عنهم في إغفال سيرهم وفقههم وأدوارهم، فلم يتيسر لهؤلاء الأتباع أن يتفرغوا لإظهار سير هؤلاء الأصحاب، فضع ذكرهم بين الطرفين فلا تجد حضوراً كافياً لهم في الذاكرة الشعبية لأتباع المدرستين.

وليس هؤلاء الذين ذكرنا سيرتهم هنا إلا القليل ممن ينبغي ذكرهم، والتوقف عند تفاصيل مواقفهم، ولعل الناظر في فصل الصحابة المفضلين والممدوحين في مدرسة أهل البيت ﷺ سيجد الكثير من الأسماء التي تستحق تخليد مواقفها وتدوين سيرتها.

وهنا لا بد أن نذكر بالشكر والتقدير الكتابات التي تناولت - باختصار أو تفصيل - حياة هؤلاء، وسبقت هذا الكتاب فهم كما قال ابن مالك في الألفية:

وهو بسبق حائز تفضيلاً مستوجباً ثنائياً الجميلاً

٢. ستجد في هذه الصفحات ترجمة لخمسة عشر رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، يضاف لها ترجمات آخر لأصحاب رسول الله ﷺ - عرضنا لها في كتب آخر - ففي كتاب رجال حول أهل البيت ﷺ عرضنا لقسم منهم، وهم الرجال الذين كانوا حول النبي ﷺ، كما عرضنا لبعضهم الآخر ضمن من كانوا حول أمير المؤمنين ﷺ في نفس الكتاب، وأيضا في كتاب نساء حول



أهل البيت تناولنا شيئاً من حياة وسيرة بعضهن ممن كنّ مع رسول الله، وهكذا في كتاب أعلام من الاسرة النبوية فقد تعرضنا إلى عدد من هؤلاء الأصفياء من الأسرة، ممن كانوا في ركاب النبي ﷺ.

وبالطبع لا يمكن الاحاطة بكل أولئك وشرح أحوالهم، فسترى أن بعض المؤلفين أوصل الممدوحين من أصحاب النبي ﷺ إلى ما يزيد عن خمسمائة، وبعضهم اقتصر على نحو ثلث هذا العدد، وعلى أي تقدير فليس بالإمكان التعرض إلى ترجماتهم، وإنما الغرض هو أن نغند الدعاية الأموية التي اعتمدت رسمياً منذ وقت بعيد ضد شيعة أهل البيت ﷺ من أنهم ضد الصحابة أو يشتمونهم أو ما شابه ذلك من الكذب، ولذلك فقد عرضنا لسيرة عدد منهم رضوان الله تعالى عليهم، وأشرنا إلى أسماء عدد كبير آخر منهم.

ولمن أراد التفصيل والمراجعة فيإمكانه مراجعة الكتب الرجالية ولا سيما تنقيح المقال للعلامة المامقاني، وقاموس الرجال للشيخ التستري، فضلاً عن معجم رجال الحديث للإمام الخوئي، رحمهم الله جميعاً، وإذا أراد شيئاً قريب المأخذ فليرجع مثلاً إلى كتاب التبيين في أصحاب الإمام أمير المؤمنين ﷺ والرواة عنه للشيخ عبد الحسين الشبستري، ونظيره الكتاب الآخر أصحاب أمير المؤمنين ﷺ والرواة عنه للشيخ محمد هادي الأميني؛ فقد أودعا الكتابين عدداً جيداً من أصحاب رسول الله ﷺ ممن أحسن الصحبة ولم يغير أو يبدل.

٣. سيلحظ القارئ العزيز أننا استعملنا في هذا الكتاب صيغة الصلاة على محمد وآله، في كل ما كان ينبغي أن تذكر إلا ما زاغ البصر عنه، بل حتى أننا غيرنا فيما نقلناه من كتب مدرسة الخلفاء مما استعمل فيه الصلاة المنقوصة الخالية من الآل، خلافاً لما وردت به الروايات الكثيرة، بل حتى في الصلاة

عندهم، وما جاء في تعليم الصلاة الابراهيمية التي علمت الناس كيف تكون الصلاة على النبي وآله، علما بأن ما أثبتته هؤلاء في كتبهم لم يكن الا اجتهادا منهم وإلا فلا نعتقد أن الأصحاب كانوا يذكرون اسم النبي مقرونا بالصلاة عليه وحده دون الآل. بل ولا النبي كان يفعل ذلك، وإنما هم كتبوا هذا في مصادرهم وكتبهم فصارت أشبه بالكلية، وإلا فإن الصحيح هو إثبات الآل مع النبي في الصلاة. فما صنعنا شيئا إلا بارجاع الأمر إلى ما كان عليه وما يجب أن يكون!

٤. يلحظ تركيزنا على مسألة أن هؤلاء قد أحسنوا الصحبة وأنهم لم يغيروا ولم يبدلوا، وهذا هو جوهر الخلاف بين الامامية وبين غيرهم، فإن الكثير قد رأوا رسول الله وسمعوا خطابه وصاحبوه لكن ما لبثوا وقد غادر النبي هذه الدنيا حتى تغيروا وتبدلوا ولم يلتزموا بما كان قد ألزمهم من (كلمة التقوى) وما ترك فيهم من أمانة الثقيلين.

وليس هذا أمرا استثنائيا في الأمة الاسلامية ولا في أصحاب رسول الله من أبنائها، إنما هو الموقف الطبيعي الذي نراه في كل المجتمعات تجاه قضايا الايمان والالتزام، وهو موجود في سيرة حياة المجتمعات السابقة مع أنبيائها، وهو مستمر أيضا معنا في حياتنا، فقد تجد في الأمة من يلتزم بكتاب الله حق الالتزام ويجاهد في تطبيقه حق الجهاد، بينما تجد آخرين يأخذون قسما ويتركون آخر، بينما تضيع فئة ثالثة كتاب الله وتنبذه وراء ظهرها!

وهذا هو الوضع المعاش والملاحظ في المجتمعات! لا نجد مجتمعا كافرا تماما بكل أفراده ولا مؤمنا كذلك، وإنما هي خليط بمقدار ما تفاعل أفرادها مع التوجيهات.



وهنا يكون التقدير للفئة الرسالية المخلصة، والأفراد الذين يركبون الصعب، ويلعقون المر في سبيل أن يطبقوا أحكام الله وأوامر رسوله.. حتى وإن كان اتجاه المجتمع في غير هذا المسار.

والذي يجمع هؤلاء الذين تناولنا شيئاً من سيرتهم، هو أنهم سمعوا ما سمعوا من رسول الله، فطبقوه عملياً واحتفظوا به ولم يتنازلوا عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ.

٥ . سيلاحظ القارئ الكريم أننا قدمنا لسير هذه الشخصيات بعدة مواضيع؛ منها موضوعان حول نظرية عدالة الصحابة وناقشناها من الناحية النظرية في أدلتها، وتحديثنا أيضاً عن تطورها التاريخي وتعامل الحاكمين مع هذه النظرية، وكان هذا ضرورياً لأن المرتكز الأساس الذي تقوم عليه الثقافة المرتبطة بتاريخ الصحابة في الوسط الإسلامي هو هذه النظرية، فكان علينا أن نشير إليها، وإلى نقدها بل لا يمكن مع وجود هذه النظرية أن تكون هناك ميزة بين من أحسنوا الصحبة وغيرهم! كما كان هناك موضوعان حول تفضيل كل من المدرستين المسلمتين (مدرسة الصحابة وأهل البيت) لقائمة من الأصحاب، على من سواهم وبيناً جهات التفضيل تلك. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يكرمنا بمعرفة رسوله وأصحابه المخلصين وعترته الهادين إنه على كل شيء قدير.

فوزي بن المرحوم محمد تقي آل سيف

تاروت القطيف

٨ رجب ١٤٤٢ هـ



نظرية عدالة الصحابة أدلتها ومناقشتها

القسم الأول

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

نناقش في هذه الصفحات نظرية عدالة صحابة النبي ﷺ وفضيلتهم وتميزهم على سائر الناس.

وأهم ما سوف نتطرق إليه هو بعض الأدلة التي قامت عليها تلك النظرية، ومناقشتها وعرضها على القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة الصحابة أنفسهم.

ويلزم منا قبل ذلك أن نشير إلى بعض التعريفات والفروع المتصلة بموضوع البحث.

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

الأول: في تعريف الصحابة

عرف ابن حجر العسقلاني [ت: ٨٥٢هـ] الصحابي هو: «من صحب النبي ﷺ ساعة من نهار»^(١).

ورأى بعضهم بأن الصحابي هو كل من لقي رسول الله ﷺ ومات مسلماً ولو ساعة من الزمان^(٢)، فضلاً عنه إذا طالت^(٣) صحبته رجلاً كان أو امرأة، صغيراً أو كبيراً. وهذا التعريف يتسع كما ذكر بعض علماء هذه المدرسة إلى ما يصل إلى مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة (١١٤٠٠٠) ممن لقوا رسول الله ﷺ.

الآخر: في أحوالهم

بناء على ذلك التعريف وغيره فإن الصحابة كلهم عدول^(٤) لا يتطرق لهم نقد ولا انتقاص^(٥) ولا ينبغي التحقيق في الحديث الذي رُوي عنهم، كما أنهم من أهل الجنة، فقد نقل ابن حجر العسقلاني [ت: ٨٥٢هـ] عن ابن حزم الأندلسي [ت: ٤٥٦هـ] بأن: «الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعاً»^(٦)، وقيل: أنهم أفضل البشر وأفضل الناس^(٧).

ويتميز الصحابة في طبقاتهم حيث يتقدم عليهم الخلفاء الأربعة ثم إلى تمام العشرة المبشرين بالجنة ثم بعد ذلك عامة الصحابة.

(١) العسقلاني؛ ابن حجر الإصابة في تمييز الصحابة: ١/٧ (المقدمة).

(٢) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي: ج ٣، ص ٣٥٩.

(٣) صحيح مسلم شرح النووي: ج ١، ص ٣٥.

(٤) صحيح ابن حبان: ج ٦، ص ٤٤٢.

(٥) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن أثير: ج ١، ص ٣.

(٦) الإصابة لابن حجر: ج ١، ص ١٦٣.

(٧) المصدر السابق.



أدلة نظرية عدالة الصحابة

ساق أصحاب هذه النظرية مجموعة من الأدلة نحاول أن نعرضها ثم نناقشها،
منها:

١. الصحابة منتخبون من الله

والمرتکز في هذا الدليل أن صحابة النبي هم الذين نقلوا إلينا القرآن وسنة رسول الله ﷺ، وبواسطة هؤلاء انتقل القرآن وانتقلت سنة النبي إلى سائر المسلمين وهذا يعني أن الله قد انتخبهم لإيصال القرآن وسنة رسول الله ﷺ إلى من يأتي من الأجيال بعدهم.

ولابد أن ينتخب الله سبحانه وتعالى بحكمته الأشخاص العدول وأفضل الناس لحمل هذه الرسالة، لإيصال القرآن إلى من يأتي فيما بعد ولإيصال سنة رسول الله ﷺ، إذ لو كانوا سيئين أو فسقة لضاع القرآن وضاعت السنة.

والجواب على ذلك:

أولاً: إن الكلام ذاته يأتي فيمن يكون بعدهم^(١) كذلك، وهم الأشخاص الذين يتسلمون القرآن والسنة من الصحابة أيضاً، فلا بد أن يكونوا أفضل الناس وأعدل الناس وأحسن الناس وإلا ضاع القرآن وضاعت السنة.

فلو فرضنا أن الصحابي كان جيداً، ولكن الذي جاء بعده من التابعين كان إنساناً سيئاً لضاع القرآن والسنة.

فإذن: يجب أن تلتزموا بأن التابعين أيضاً هم أفضل الناس وخير البشر وهم

(١) وهم التابعون.

عدول كذلك، وهكذا إلى المرحلة الثالثة.

الأغرب من ذلك ما ذكره المقرئ الشافعي [ت: ٨٤٥هـ] في كتابه (إمتاع الأسماع) وهو يذكر خصائص أصحاب رسول الله ﷺ، حيث ينبغي أن نضع في حسابنا مائة وأربعة عشر ألف إنسان، منهم الوليد بن عقبة، ومروان بن الحكم، وأبو سفيان وأمثال هؤلاء، حيث جعل القضية غيبية فقال: «ونحن وإن بلغنا من الفضل ما عسانا نبلغه، فإن فهم مقامهم على مقدارهم، مستحيل أن يصل منا أحد إليه، لبلوغنا الغاية في الانحطاط عن مرتبتهم، لكننا إنما نفهم مقامهم على قدرنا، وذلك أن أكثر ما نبحت عنه من العلوم، وندأب فيه، فإنه حاصل عند الصحابة بأصل الخلق، لا يحتاجون فيه إلى تكلف طلب، ولا مشقة درس... وكذلك ما فطروا عليه من العقول الرصينة، ما من الله تعالى به عليهم، من إفاضة نور النبوة العاصم من الخطأ في الفكر»^(١).

وعلى ضوء هذا الرأي فإن علم الصحابي ليس كبقية البشر علم مكتسب، بل علمهم من أصل الخلق، مضافاً إلى «ما فطروا عليه من العقول الرصينة وما من الله به عليهم من إفاضة نور النبوة العاصم من الخطأ في الفكر».

ثانياً: أين كان هؤلاء الصحابة المنتخبون من الله؟ أو من جعل في أصل خلقتهم العلم والمعرفة وإن عقولهم استثنائية صب عليها النبي نور النبوة؟ أين كانوا قبل إيمانهم برسول الله ﷺ بنصف ساعة؟ حيث يتمرغ بعضهم في التراب سجوداً للأصنام، أو يصنع صنماً من التمر بيده ثم إذا جاع أكله... فأين كانت هذه العقول الرصينة؟

فهذه الأدلة لا تصمد عند عرضها على العقل السليم.

(١) إمتاع الأسماع للمقرئ: ج٩، ص٢٢١.



٢. إن الله عدلهم وفضلهم:

وقد استدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾^(١).

وبقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾^(٢)

وبناء على ذلك فإن الله عدلهم وطهرهم وزكاهم فلا يحتاجون إلى توثيق من أحد.

والجواب عنه يحتاج إلى وقفات:

الوقف الأولى: ما ذكره العلماء من أن القرآن الكريم في آياته المادحة لمن كان مع رسول الله فيها تخصيص ووتجزئة واستثناء.

يقول العلماء إن القرآن الكريم عندما تحدث عن عامة من كان مع رسول الله ﷺ يذيلها بالتبويض كما في هذه الآية المباركة: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ إلى أن يقول: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٣).

فلو كان الأجر والمغفرة عام لكل هؤلاء ما كان ينبغي أن يُستثنى بعض منهم بقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ كان عليه أن يقول وعدهم الله مغفرةً وأجرًا عظيمًا.

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٨.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

وكذا في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾^(١) حيث يقول في مقدمتها: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

فنظرية عدالة الصحابة لو كانت صحيحة، أو أن الله زكّاهم وعدّ لهم فلا معنى لقوله: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾، وهذا يعني أن الصحبة تحتاج إلى استقامة.

وكما يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام) في دعائه: «اللهم وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحابة والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره»^(٢)، فالذين أحسنوا الصحبة واستمروا على هذا المنهاج لهم المغفرة والرضوان، أما ذاك الذي لم يصنع هذا ونكث فإنما ينكث على نفسه.

الوقف الثانية: أن نظرية عدالة الصحابة مخالفة للقرآن.

لقد ذكر القرآن الكريم قصص بعضهم ونسب الفسق إليه، كما في قضية الوليد بن عقبة حيث اعتبره القرآن فاسقاً كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٣). وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^(٤).

فالوليد بن عقبة بناء على هذه النظرية لا أثر للطعن فيه، يقول ابن حجر العسقلاني -وهو من أعظم مدرسة الخلفاء- في ما يشمل هذا المورد: «إذا ثبتت صحبته لم

(١) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٢) الصحيفة السجادية من دعائه (عليه السلام) (في الصلاة على اتباع الرسل ومصديقهم).

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٦.

(٤) سورة السجدة، الآية: ١٨.



يؤثر الطعن فيه»^(١).

الوليد بن عقبة قد ثبتت صحبته وله ذنوبٌ أمرها إلى الله والسكوت عنها أجدى!! هذا مع أن الذنوب لا سيما الكبائر وقد ثبت عليه بعضها قادح في العدالة وموجب لخلافها.

وبناء على ذلك فإن الذنوب التي تؤثر في كل البشر فتسقط عدالتهم، لا تفعل فعلها حين تصل إلى بعض الصحابة، هذا هو المثال الأول.

المثال الثاني: تحدث القرآن الكريم عن ثعلبة بن حاطب^(٢) صاحب آية: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِن آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَلَمَّا آتَاهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ، فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾^(٣).

فالقرآن يصف هذا بالنفاق على أثر الكذب على رسول الله!! لكن هذا بحسب هذه النظرية هو من أفضل البشر ويدخل الجنة قطعاً وهو عادلٌ حتماً ولا يمكن انتقاده ولا انتقاصه.

المثال الثالث: عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾^(٤)، وقضيته مشهورة ومفصلة في كتب التفسير^(٥).

(١) قاله في ترجمة مروان.

(٢) للمزيد راجع مجمع الزوائد للهيثمي: ج ٧، ص ٣١.

(٣) سورة التوبة، الآيات: ٧٥-٧٧.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.

(٥) نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح أسلم، وكان يكتب للنبي ﷺ، فكان إذا أُملي عليه سميعاً عليماً، كتب هو: عليماً حكيماً وإذا قال: عليماً حكيماً كتب: سميعاً عليماً. فشك وكفر، وقال: إن كان محمد يوحى إليه فقد أوحى إلي، وإن كان الله ينزله فقد أنزلت مثل ما أنزل الله، قال محمد: سميعاً

هذه أمثلة فردية، وأما الأمثلة الجماعية، فقد خصص القرآن الكريم سورة باسم (المنافقون) لم يكن هؤلاء كفار قريش، وإنما كانوا من المسلمين الذين كانوا في المدينة مع رسول الله ﷺ كما أخبر عنهم في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾^(١) فهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا حوله. وقد وصفهم بأوصاف مثل (لكاذبون، لا يفقهون، هم العدو، قاتلهم الله، يصدون وهم مستكبرون، لن يغفر الله لهم..).

وأما سورة التوبة التي سميت بتسميات متعددة؛ الفاضحة والمبعثرة والكاشفة، فقد بعثت أسرار المنافقين، وكشفت عنهم، وعرّتهم تعرية كاملة. وفي ما يقرب من سبعين آية من آياتها من ٤٢ إلى ١١٠، تفضح هذه السورة المباركة طرق المنافقين وأساليبهم في الخطاب مع رسول الله ﷺ! فهؤلاء بأقسامهم وباختلاف أساليبهم إنما كانوا من صحابة النبي ﷺ ولم يكونوا من فئة أخرى!

ونحن نلاحظ أنه في هذه السورة المباركة تارة يذكر أقسامهم بقوله (ومنهم..). وأخرى يذكر ممارساتهم وأقواله كقوله عنهم: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٢)، وهكذا قوله تعالى: ﴿لَقَدْ ابْتِغُوا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾^(٣) وثالثة يقول ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا

عليما، فقلت أنا: عليما حكيما. فلحق بالمشركين، ووشى بعمار وجبير عند ابن الحضرمي أول بني عبد الدار، فأخذوهم فعذبوا. [راجع: جامع البيان للطبري: ج ٧، ص ٣٥٥].

(١) سورة التوبة، الآية ١٠١.

(٢) سورة التوبة، الآية ٤٢.

(٣) سورة التوبة، الآية ٤٨.



مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿١﴾ وهكذا!.

الوقفه الثالثة: أن نظرية عدالة الصحابة مخالفة للسنة النبوية.

وأما سنة رسول الله ﷺ ففيها ما يخالف هذه النظرية كثيرا، أشهرها الحديث المروي في صحيح البخاري [ت: ٢٥٦هـ] «وان أناسا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أصحابي أصحابي فيقال أنهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»^(٢).

وفي رواية أخرى: «إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل^(٣) النعم»^(٤).

فماذا تصنع نظرية عدالة الصحابة جميعاً، وأنهم أفضل البشر طراً وأنهم من أهل الجنة قطعاً.

الوقفه الرابعة: أن نظرية عدالة الصحابة مخالفة لسيرة الصحابة أنفسهم.

لم يتعامل الصحابة والخلفاء مع بعضهم على أساس هذه النظرية، فمما يروى عن عائشة أنها قالت: «جمع أبي الحديث عن رسول الله ﷺ فكانت خمسمائة حديث، فبات ليلة يتقلب كثيراً، قالت: فغممني، فقلت: تتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلما أصبح قال: أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك فجئت بها فدعا بنار فأحرقها، وقال: خشيت أن أموت وهي عندك فيكون فيها أحاديث عن رجل ائتمنته

(١) سورة التوبة، الآية ٥٨

(٢) صحيح البخاري: ج ٤، ص ١١٠، وروى في مسند أحمد بن حنبل: ج ١، ص ٢٣٥.

(٣) همل النعم: أي أن الناجي قليل كضالة النعم. [راجع: الترغيب والترهيب في الحديث الشريف للمنذري: ج ٤، ص ٤٢٢].

(٤) صحيح البخاري: ج ٧، ص ٢٠٩.

ووثقت به ولم يكن كما حدثني فأكون قد تقلدت ذلك»^(١).

فإن المبرر الذي دفع الخليفة الأول بحرق الأحاديث هو خشيته من أن تقع في أيدي غير أمينة فيكون الإثم عليه!!

لو كان الصحابة كلهم عدولاً وصادقين، فما سبب خوف الخليفة من أن يكون من حدثه غير صادق؟

وهكذا ما ذكر في أسباب منع الخليفة الثاني الصحابة من الخروج من المدينة فقد ذكر أنهم قد ينتشرون في البلدان فيحدثون بأحاديث لا نعلم صحيحها من سقيمها؟

فهل هذه أسباب واقعية أو هناك أسباب أخرى؟ ليس محلها بحثنا الآن^(٢).

خلاصة القول: أن الخلفاء والصحابة أنفسهم لم يكونوا يعتقدون بأن كل صحابي هو عادل وصادق، وإنما كانوا يحتملون أن بعضهم لا يقول الصدق، ويغير ما سمع ولذلك تُحرق الأحاديث خوفاً من هذا الأمر.

إضافة إلى ذلك ما جرى بينهم من اختلاف أدى إلى سب بعضهم البعض^(٣)، حتى نقل أن سب قوله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي»^(٤)، هو ما جرى بين الصحابة من مواقف مختلفة مثل السب واللعن والشتم وذلك في حضور النبي ﷺ^(٥) حتى قال:

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة، للطبري: ج ١، ص ٢٠٠.

(٢) نتطرق إليها في المحاضرة الأخرى وهو القسم الثاني من البحث.

(٣) كما في قصة عمار بن ياسر وخالد بن الوليد. راجع: [الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: ج ٢، ص ١٧٦].

(٤) الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٣، ص ١٣٥١.

(٥) روي عن أنس بن مالك، قال: ذكر مالك بن الدخشم عند النبي صلى الله عليه وسلم فسبوه، فقال: «لا تسبوا أصحابي».



«لا تسبوا أصحابي».

إن سباب المسلم حرام عند الجميع، فكيف يتفق حديث رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق...»^(١)، مع عدالة الصحابة أجمعين وفضيلتهم على كل البشر.

لو فرضنا وجود تركية فإنها في أساليب الخطاب العربي هي للعموم لا يعني التزكية لكل فردٍ فرد، فعندما نقول أن الشعوب الغربية منظمة لا يقصد كل فرد فيهم وأنه لا يوجد مخالف للنظام أصلاً!

لذلك قال بعض الباحثين المحدثين: أن القول بمثل هذه النظرية يعني قبول التناقض، وأن تتعايش مع التناقض أو أن تسكت، أو أن تطرح سؤالاً ولا تجد له جواباً.

حين نقرأ آيات القرآن الكريم ونجد ما لا يثبت عدالتهم ومع ذلك نؤمن بالعدالة، وكذا في حديث رسول الله ﷺ ما يُشيرُ إلى أنهم قد تراجعوا واختلفوا ومع ذلك تقول هم عدول وثقات.

هل ارتد الصحابة؟

هناك من يتهم الشيعة بأنهم يعتقدون أن الصحابة كلهم مرتدون إلا ثلاثة أشخاص!! وينقلون رواية عن بعض الأئمة عليهم السلام «ارتد الناس بعد رسول الله إلا ثلاثة».

والجواب أنه: بغض النظر عن أسانيد ما روي، نشير إلى معنى الارتداد في الرواية؟

(١) صحيح البخاري: ج ١، ص ١٧.

تارة الارتداد يعني الكفر بالله وبرسوله وبما ثبت عند المسلمين جميعاً بالضرورة من الدين، ولاريب أن شيعة أهل البيت ﷺ لا يعتقدون في أحدٍ من الصحابة أنهم ارتدوا بهذا المعنى ابداً.

نعم خالفوا رسول الله ﷺ، ولم يقبلوا كلامه في علي ﷺ، ولم يسيروا وفق المنهاج.

وقد أشار أحد مراجع الطائفة وهو السيد الكلبايگاني رحمته الله في كتابه (نتائج الأفكار) حين تعرض إلى هذه المسألة فقال: «إن هذا الارتداد ليس هو الارتداد المصطلح الموجب للكفر والنجاسة والقتل، بل الارتداد هنا هو نكث عهد الولاية، ونوع رجوع عن مشي الرسول الأعظم ﷺ، وعدم رعاية وصاياه، ولو كان المراد منه هو الارتداد الاصطلاحي لكان الإمام عليه السلام -بعد أن تقلد القدرة وتسلط على الأمور- يضع فيهم السيف ويبددهم ويقتلهم من أولهم إلى آخرهم خصوصاً بلحاظ أن توبة المرتد الفطري لا تمنع قتله ولا ترفعه بل يقتل وإن تاب»^(١).

فيتبين أن الارتداد التي تتحدث عنه الرواية ليس الارتداد الاصطلاحي وإنما هو مخالفة وصايا رسول الله وعدم تقديم من أمروا بتقديمهم.

وفي ذات المعنى أستخدم مصطلح الارتداد في قضية الإمام الحسين عليه السلام: «ارتد الناس بعد قتل الحسين عليه السلام إلا ثلاثة...».

ف«ارتد الناس» ليس بمعنى كفروا بالله، بل تراجعوا وانصرفوا عن الأئمة عليهم السلام، إذ كان من المفروض أن يمشوا طبق وصايا رسول الله في الإمامة.

ويشير بعض الباحثين إلى أن معنى الارتداد المقصود به في هذه الرواية «ارتد

(١) نتائج الأفكار: ج ١، ص ١٩٦.



الناس بعد قتل الحسين (عليه السلام) هي تلك الحالة التي حصلت للناس حيث انفضوا عن الدين وتركوا الإيمان.

فالإمام الحسين (عليه السلام) بهذه العظمة ومع ذلك قُتل تلك القتلة فما يكون شأنهم، لذلك قسم من الناس ضعف تدينهم وتراخت عزائمهم الإيمانية.

فما عبرت به الرواية عن «ارتد الناس بعد قتل الحسين»، عبرت به الرواية عن «ارتداد الناس بعد رسول الله» في أنهم نكثوا عهده ولم يقبلوا وصاياه.



نظرية عدالة الصحابة في تطورها التاريخي

عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: (إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله ﷻ، وعترتي، كتاب الله جيل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني بهما أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما) ^(١).

لا يزال حديثنا عن موضوع نظرية عدالة الصحابة كمقدمة للحديث عن أصحاب رسول الله ﷺ المفضلين في مدرسة أهل البيت ﷺ، ونتاجنا فيه:

■ أولاً: التطور التاريخي لهذه النظرية، من أين بدأت كفكرة سياسية في الأصل؟ ثم تحولت إلى جزء من المنظومة العقيدية وصولاً إلى تحولها إلى أحد أدلة الاستنباط للأحكام الشرعية في مدرسة الخلفاء.

(١) روي حديث الثقلين بلفظ (وعترتي أهل بيتي) في معظم كتب أهل الحديث التي منها: مسند أحمد بن حنبل [ت: ٢٤١هـ]: ج ٣، ص ١٤، وسنن الدرامي [ت: ٢٥٥هـ]: ج ٢، ص ٤٣٢، وفضائل الصحابة للنسائي [ت: ٣٠٣هـ]: ص ٢٢، والمستدرک للحاكم النيسابوري [ت: ٤٠٥هـ]: ج ٣، ص ١٤٨، والسنن الكبرى للبيهقي [ت: ٤٥٨هـ]: ج ٧، ص ٣٠، وغيرها الكثير.

■ ثانياً: ما هي المبررات التي من أجلها نشأت هذه النظرية وجعلت الحاجة إليها ماسة في مدرسة الخلفاء.

التطور التاريخي لهذه النظرية

إن الباحثين يعتقدون أن نطفة هذه النظرية وضعها معاوية بن أبي سفيان الخليفة الأموي المعروف الذي أسس الأرضية لهذه النظرية، وذلك لأنه في أثناء صراعه مع أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب (عليه السلام) استعان بجيش من الوضاعين للحديث عن رسول الله ﷺ، وكان عملهم على جهتين:

الجهة الأولى: اصطناع أحاديث - عن رسول الله ﷺ - فيها ذم لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) وتصفه بصفات سيئة، كهذا الحديث: «من أراد أن ينظر إلى رجلين يموتا على غير سنتي فلينظر إلى هذا الفج»^(١) (٢).

واضع الحديث يقول: فنظرنا فإذا هو علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب قد خرجا من ذلك المكان^(٣).

فعلي والعباس يموتان على غير سنة رسول الله إلى غيرها من الأحاديث الموضوعة!!

الجهة الثانية: وضع أحاديث في فضل الخليفة الثالث عثمان بن عفان.

(١) مجمع الزوائد للهيتمي: ج ١، ص ١١٢.

(٢) الفج: أي إلى هذه الجهة.

(٣) راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد [ت: ٦٥٦هـ] ج ٤، ص ٦٤، والنص الوارد في الكتاب هو التالي: (أن عروة [بن الزبير] زعم أن عائشة حدثته، قالت: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل العباس وعلي، فقال: (يا عائشة، إن شرك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا)، فنظرت، فإذا العباس وعلي بن أبي طالب).



فقد ذكر علي بن محمد المدائني [ت: ٢٤٤هـ] المؤرخ المعروف^(١) أنه بعدما استتب الأمر لمعاوية بث في الأفاق أن يضعوا أحاديث في فضل الخليفة الثالث عثمان بن عفان فجاءت أحاديث كثيرة في فضله.

وبعد مدة من الزمن اتضح لمعاوية أن الأحاديث المروية في فضل عثمان قد كثرت، ويخشى أن يفتضح، فتم توزيعها على بقية الصحابة.

فواضع الحديث كان يضع وينسب الأحاديث المروية كخصائص ثابتة لأمير المؤمنين أو عمار أو سلمان لغيرهم، فهكذا بدأ إنتاج الوضع على لسان رسول الله لأحاديث في فضل الصحابة.

ولعله من هنا بدأت نطفة (نظرية عدالة الصحابة) حيث الثناء عليهم وتركيتهم وعدالتهم، وأنهم على درجات عالية^(٢)، ليسوا كسائر البشر فإن الخلائق لو أتوا بأعمالهم مقابل عمل واحد لصحابي لرجح على أعمال الخلائق.

فذاك الصديق وذاك الشهيد وذاك الأمين وذاك كاتب الوحي وغيرها، ولكن معاوية وبني أمية لم يكونوا مقتنعين بفكرة عدالة الصحابة، فواقعهم يدل على ذلك فمن يقول بأن الصحابة كلهم عدول لا يتهجم على أبي ذر الغفاري، ولا يحارب

(١) له تصانيف كثيرة منها: (خطب النبي) ﷺ. وكتاب (خطب علي وكتبه إلى عماله) وكتاب (من قتل من الطالبين) وكتاب (الفاطميات)، ومن المؤسف أن كتبه قد أتلقت، ولم يبق سوى ما نقله بعض المحدثين عنه كابن أبي الحديد صاحب كتاب (شرح نهج البلاغة) حيث روى عنه الكثير من الأحداث.

(٢) راجع: تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ١، ص ١٦. يقول أبو حاتم الرازي [ت: ٣٢٧هـ]: وهم الذين اختارهم الله ﷻ لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرتة وإقامة دينه. فحفظوا عنه صلى الله عليه وسلم ما بلغهم عن الله ﷻ وما سن وشرع.. ففقهوا الدين وعلموا أمر الله ونهيه ومراده.. وشرفهم الله ﷻ بما من عليهم وأكرمهم به من وضعه إياهم موضع القدوة فنفى عنهم الشك والكذب والغلط والريبة والفخر وسماهم عدول الأمة.

الإمام علياً ﷺ باعتباره أحد الصحابة، ولا يقتل عمراً بن الحمق الخزاعي، ولا يطارد حجراً بن عدي، ولا يطرد أبا الدرداء الذي رأى معاوية بن أبي سفيان يبيع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن مثل هذا، فقال معاوية: ما أرى بهذا بأساً، فقال أبو الدرداء: من يعذرني من معاوية أخبره عن رسول الله ﷺ ويخبرني عن رأيه! لا أساكنك بأرض^(١).

استمرت هذه النظرية في الصعود والنزول والأمويون لم يكونوا متضررين بهذه الفكرة وليسوا مستفيدين منها، لأن لم يبق من الصحابة إلى ما بعد عام [٦٥هـ] فجميعهم إما توفوا أو قتلوا، وإن آخر من تبقى من أصحاب الرسول أبو الطفيل الكناني [ت: ١٠٠هـ] وهو أحد أصحاب الإمام علي ﷺ الخالص.

الدور العباسي وتطوير النظرية

لم يكن لبني أمية الجدية في ديمومة هذه النظرية؛ لأنهم لم يستفيدوا منها كثيراً، إلى أن جاء العباسيون فأعادوا إحياء هذه النظرية مناكفة مع الهاشميين، وبالأخص مع بني الحسن الذين أعلنوا الثورة عليهم في زمان المنصور العباسي وهارون الرشيد.

فحين أعلن بنو الحسن الثورة على العباسيين، أعاد بنو العباس أحاديث الذم على أمير المؤمنين ﷺ مناكفة لآل علي.

فأخذوا بالترويج لفضائل سائر الصحابة، مستفيدين سياسياً من ذلك الأمر، حتى وصل المتوكل العباسي إلى الحكم، فزادت بمجيئه حالة العداء الشديدة

(١) انظر: سنن النسائي: ج ٧، ص ٢٧٩، وغيره.



لآل عليّ بشكل عام، ولأمير المؤمنين بشكل خاص.

ويذكر أن من أسباب قتل المتوكل سنة [٢٤٧هـ] على يد ابنه المنتصر هو شدة عدائه لعلي بن أبي طالب.

مراحل التطور لمسألة عدالة الصحابة

المرحلة الأولى: التأسيس السياسي والعقدي

نشأ المذهب الحنبلي الذي أسسه المحدث أحمد بن محمد بن حنبل [١٦٤هـ- ٢٤١هـ] في العهد العباسي وتحديداً في زمن المتوكل^(١)، وأخذت الدولة العباسية آنذاك تتبناه كمذهب وعقيدة للدولة بصفة رسمية.

وإن أهم ما يميز الفكر العقدي لمدرسة الإمام أحمد بن حنبل آنذاك هو قضية خلق القرآن^(٢)، وأفضلية الصحابة على سائر البشر، وهذا أحد أسباب ما دفع المتوكل إلى تقريبه والتحالف معه.

لقد أكد الإمام أحمد بن حنبل في كتبه^(٣) على أفضلية الصحابة، بالأخص الخلفاء الأربعة الأوائل، ثم تمة العشرة المبشرين وما شابه ذلك.

كما تشددت الدولة العباسية المتمثلة في المتوكل في موضوع أفضلية الصحابة، وعدم جواز انتقادهم، أو التسوية بينهم، أو ذكر ما شجر بينهم، وهذا التشدد خرج

(١) استلم المتوكل الخلافة تقريباً عام [٢٣٣هـ].

(٢) سجن أحمد بن حنبل في زمن المأمون بسبب أنه لا يرى خلق القرآن، على خلاف رأي المعتزلة، وحين استلم المتوكل السلطة أفرج عنه.

(٣) اعتمد الإمام أحمد بن حنبل في مسنده على ترتيب ما روي من الصحابة بناء على طبقاتهم فبدأ بالخليفة الأول ثم الثاني وهكذا الأفضل فالأفضل بناء على منهجيته وعقيدته.

من كونه قرارًا سياسيًا ليصبح جزءًا من الحالة العقائدية وضحتها إمام المذهب الراجح في تلك الفترة المدعوم من الخلافة العباسية.

استمر هذا النهج يومًا بعد يوم وألفت المؤلفات والكتب، وبدأ التصنيف الكلامي، وبيان أحوال الصحابة وفضيلتهم وعدالتهم، وأنهم أفضل الناس، لا يتقدم في فضلهم أحد، ولا يجوز انتقادهم أو انتقاصهم؛ لأن الصحبة كافية في تعديل هذا الإنسان، كل ذلك كان في زمان أحمد بن حنبل وما بعده.

وبعد أكثر من مائتي عام جاء ابن حزم الأندلسي الظاهري [ت: ٤٥٦هـ] ليثبت أن أفضلية الصحابة على البشري من الحتميات والقطعيات^(١)، فهم من أهل الجنة لا محالة، حتى وصل بنا إلى القرن التاسع فأصبحت جزء من أصل العقيدة عند مدرسة الخلفاء فألفت فيها كتب وشرحت وأصبحت تلك الكتب مورد الإجماع العام مع أن الواقع لا اجماع عليه.

يقول ابن حجر العسقلاني: «وقد اتفق أهل السنة على أن الجميع -أي جميع الصحابة- عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة... هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتمد قوله ولا ينتقص منهم إلا زنديق، لأن الرسول حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة. وتجريحهم أو الانتقاص منهم يستهدف إبطال الكتاب والسنة»^(٢).

إن ما نشهده من تجليات لمسألة عدالة الصحابة في الاتجاه الرسمي المعاصر في مدرسة الخلفاء هو نتاج طول تلك المدة حتى وصلت إلى هذا الزمان بهذه

(١) هو القائل بـ(أن الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعاً).

(٢) الإصابة لابن حجر: ج ١، ص ١٣١.



الصورة وهذا التشدد.

المرحلة الثانية: مرحلة التشريع

بعد أن أصبحت نظرية عدالة الصحابة جزءاً ثابتاً من العقيدة، جاءت المرحلة الثانية لتصبح جزءاً من الاستدلال على الأحكام الشرعية، فأصبح قول وفعل الصحابي سنة وحجة.

إنّ الأمثلة على تشريع الصحابة كثيرة نذكر نموذجاً^(١) منها:

أتم بعض الصحابة الصلاة في السفر بين مكة وعرفات مع أن النبي قصر في السفر والخليفة الأول والثاني قصروا، حتى وصلت النوبة إلى الخليفة الثالث فأتّم الصلاة، يقول عبد الرحمن بن يزيد: صلى بنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بمنى أربع ركعات فقليل ذلك لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه فاسترجع، ثم قال: صليت مع رسول الله ﷺ بمنى ركعتين وصليت مع أبي بكر رضي الله عنه بمنى ركعتين وصليت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمنى ركعتين فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان^(٢).

وهذا القول يخالف صراحة كتاب الله الذي يقول فيه: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾^(٣).

ففعل الصحابي عندهم حجة شرعية ودليل من الأحكام ولو لم يسنده للنبي ﷺ.

(١) النماذج في ذلك أكثر من أن تحصى وجميعها مدونة في الصحيح من كتب الحديث كصحيح البخاري، ومن النماذج: النداء الثالث لصلاة الجمعة، ومنها: جعل الخطبة في العيدين قبل الصلاة، ومنها: الأذان لصلاة العيدين.

(٢) صحيح البخاري: ج ٢، ص ٣٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١١.

الأسباب والدوافع

يمكن تلخيص الأسباب التي دعت هذه المدرسة لفرض نظرية عدالة الصحابة في التالي:

١. الحالة السياسية والتوظيف الشخصي:

لقد قام معاوية بن أبي سفيان باستثمار نظرية عدالة الصحابة سياسياً وتوظيفها توظيفاً يعزز من مكانته ويثبت أركان دولته.

لقد تقلد الخليفة الأول بيعة السقيفة وجاء الخليفة الثاني بعد السابق والثالث بالشورى والرابع استفتاء عام.

كان معاوية يعلم بأنه أقل رتبة ومنزلة من الصحابة^(١)؛ لأنه من الطلقاء، ومصطلح الطلقاء في عرف المسلمين آنذاك هو في الدرجة الأدنى، فلا يقاس بالمهاجرين أو الأنصار أو حالة السابقين الأولين أو الذين حضروا أحدًا والخندق وبدر والسابقين لدعوة رسول الله ﷺ، فهم طلقاء ارغموا على دعوة الرسول وكانوا أسارى فقال لهم الرسول ﷺ في فتح مكة [٨هـ]: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

فكانت نظرية عدالة الصحابة فتحة عظيمة لمعاوية خصوصاً وأنها تستبطن أن كل من رأى رسول الله عادل، وكلهم من أهل الجنة، وجميعهم متساوون أطياب.

إذن فلا فرق بين معاوية وعلي وبين سلمان ومعاوية وبين معاوية وعمار جميعهم

(١) فقد كتب أمير المؤمنين ﷺ في بعض كتبه إلى معاوية: «ليس المهاجر كالطليق» وفي كتاب آخر إليه: ما للطلقاء وأبناء الطلقاء، والتميز بين المهاجرين الأولين؟.



له الصلاحية في الخلافة، وإن انتزعتها بحد السيف^(١)، فمن بيده القوة وأصبح مؤهلاً صار حاكماً.

فشرعية معاوية على الحكم الإسلامي كانت تحتاج لهذه النظرية فاستفاد منها أي فائدة، بحيث ألغت كافة الفروقات بين الصحابة فلا يوجد سابقين للإسلام، ولا الذين آووا ونصروا، فالجميع تحت سقف واحد.

٢. منع تدوين وتناقل حديث رسول الله ﷺ

لعل من أهم المبررات التي ساهمت في انعقاد نظمة عدالة الصحابة هو منع تدوين وتناقل الحديث عن رسول الله ﷺ في فترة الخليفة الأول والثاني والثالث بحجة عدم انشغال المسلمين به عن القرآن الكريم، وحتى لا يختلط القرآن بغيره.

لقد ظل منع حركة تدوين الحديث نحو تسعين سنة، حتى استلم مقاليد الحكم الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز عام [٩٩هـ] فطلب من محمد بن مسلم بن شهاب الزهري [٥٨هـ - ١٢٤هـ] أحد العلماء المنتمين إلى مدرسة الخلفاء بتدوين وجمع الأحاديث.

فمن السنة العاشرة للهجرة أغلق تدوين الحديث ولمدة تسعين سنة تقريباً، إذ قتل من الصحابة من قتل وتوفي من توفي، ولم يتبق إلا أعداد قليلة.

لذا فإن أبرز ما يشكل على التدوين في تلك الفترة [٩٩هـ] هو أسانيد تلك الروايات المروية عن النبي ﷺ، ولعل هذا أحد المطاعن الكبرى التي قالها المستشرقون في حق الحديث في مدرسة الخلفاء وهي مسألة الأسانيد.

(١) لعل أول من أنشأ فكرة الحاكم المتغلب أو ولاية المتغلب هم بني أمية.

وهذه المعضلة منتفية عن مدرسة أهل البيت ﷺ، فمنذ العهد النبوي كانت فاطمة ﷺ تدون ما يقوله رسول الله ﷺ من شرح لآيات القرآن الكريم، وهو ما عرف بمصحف فاطمة.

ولم ينقطع تدوين الحديث عند الشيعة الامامية خصوصاً وأن أحاديث الأئمة ﷺ هي أحاديث عن جدهم رسول الله ﷺ عن جبرئيل عن الباري ﷻ فهم حلقات متواصلة متصلة.

٣. أن نظرية عدالة الصحابة ستكون بديلاً عن مرجعية أهل البيت ﷺ للأمة.

من الواضح أن رسول الله ﷺ دعم فكرة امتداد الرسالة بالوصايا عن أهل البيت ﷺ كحديث الثقلين^(١) المروي عن أبي سعيد الخدري وغيره.

روي حديث الثقلين في المسانيد الصحيحة في مدرسة الخلفاء، فضلاً عن مدرسة الشيعة الامامية، حيث يتضح بأن الرسول ﷺ من اختلاف النص أنه صلوات الله عليه قاله في مواقف عديدة وأساليب مختلفة، فضلاً عن وصيته لأمر المؤمنين ﷺ في غدير خم وغير ذلك.

لقد بدأ الأمويون بإزاحة كل التراث العلوي، وذلك بأمرين:

الأول: عدم السماح بنشر فضائل علي ﷺ وأحقيقته وأهل بيته في الخلافة والإمرة، ونشر فضائل غيره.

الأخر: بإزاحة قداسة أهل البيت ﷺ ومرجعيتهم بنظرية عدالة الصحابة.

لذا جاء التحريف بوضع أحاديث مكذوبة كحديث الثقلين الذي يروى بصيغة

(١) للمزيد انظر: كتاب (حديث الثقلين [تواتره - فقهه] للسيد علي الحسيني الميلاني) والكتاب يقع في أكثر من ٢٠٠ صفحة.



أخرى بديلة كـ «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وستي» وحديث (أصحابي كالنجوم).

لقد تقصى القوم كل مكرمة وفضيلة لعلي وآل علي ونسبوا لغيره، حتى يكون هناك ألف حامل لتلك المناقب، كما أنهم وضعوا محظورات تصل إلى حد الزندقة والكفر في موضوع عدالة الصحابة، لتصبح بديلا عن مرجعية أهل البيت عليهم السلام في الأمة.



الصحابة المفضلون في المدرستين

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا
سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾^(١).

تتناول هذه الصفحات فكرة أن أصحاب النبي لم يكونوا (مملوكين) لمدرسة الخلفاء! وأن مدرسة أهل البيت كانت (محرومة) من تقديسهم بل ومخالفة لهم بشكل عام، وإنما كان هناك صحابة مفضلون ومحل تقديس وتفضيل في كل مدرسة من المدرستين، وقد يتم الاتفاق بين المدرستين على تقديس وتفضيل شخصية من أصحاب رسول الله وقد يتم الاختلاف في شخصية أخرى!

فما حاول الاتجاه الطائفي في المسلمين من بثه في الاعلام وبين الناس، وربما نجح إلى حد ما، من أن شيعة أهل البيت ومدرسة الامامية هم ضد الصحابة بل زعم بأنهم يلعنون الصحابة (هكذا بلسان عام) هو غير صحيح بل هو من تعمد الكذب وخلط الأوراق للتشويش وتشويه صورة الشيعة الامامية.

والصحيح هو ما قلناه من أن الامامية يرفضون نظرية (عدالة الصحابة) بالنحو

الذي شرحناها في الصفحات الماضية، ويناقشون أدلتها وينفون بأكثر مما فعلنا في تلك الصفحات، كما يرفضون ترتيب التفضيل بينهم بناء على ما قالته مدرسة الخلفاء من أن أفضليتهم هي على الترتيب في الخلافة، وبناء عليه فإنه لما كان الصحابة في رأي مدرسة الخلفاء هم أفضل الناس في كل القرون، فإن الأفضل من الناس بعد النبي هو الخليفة الأول، وثاني المفضلين هو الخليفة الثاني، وثالثهم هو ثالث الخلفاء، ورابعهم رابع الخلفاء. ثم تتمة العشرة الذين عُنونوا بعنوان (المبشرين بالجنة) ثم سائر الصحابة^(١).

وإذا كنا قد عرضنا في الصفحات الماضية لرؤية مدرسة الخلفاء في موضوع الصحابة وعدالتهم، وتطور تلك النظرية، فإن من المناسب أن يتم التعرض إلى رؤية مدرسة أهل البيت ﷺ في موضوع الصحابة، ونوجزها في النقاط التالية:

١. إنه لا ريب أن الصحابة قد توفرت لهم فرصة مهمة ونعمة كبرى بمشاهدتهم لرسول الله وباستماعهم لحديثه ورؤيتهم لأفعاله، وهي نعمة لم تتوفر لغيرهم ممن تأخر زمانهم عن إدراك زمان رسول الله ﷺ، فكانت بذلك مسؤوليتهم أعظم من مسؤولية غيرهم. والحساب ينبغي أن يكون أدق عليهم، فمن الواضح الفرق بين من يسمع كلام النبي مباشرة من فمه الطاهر وبين من يراها مكتوباً على قرطاس أو يسمعه من راوٍ! ولهذا فإن مخالفة الأول لكلام النبي ﷺ لا ينبغي التغاضي عنها!

٢. إن الصحبة للنبي ﷺ، ليست محلولة كيميائياً تغيير الإنسان بمجرد حصولها، وإنما توفر له الفرصة المناسبة في تغيير ذاته وتكميل أخلاقه! لكن من

(١) هذا هو المشهور عندهم، وإلا فقد قال بعضهم بأن أفضل الصحابة وبالتالي أفضل الناس هم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، ثم يكون سائر الصحابة ومنهم علي بن أبي طالب سواسية!! لا يفضلون أحداً على أحد!



الممكن أن يكون صحابي متأثراً بأخلاق رسول الله ﷺ ومن الممكن ألا يكون متأثراً.

فلا نعلم من أين أصبح (كل الصحابة) أفضل من (كل المؤمنين) ممن جاء بعدهم؟ وما هي ميزتهم في ذلك؟ نعم من تأثر بتوجيهات النبي ﷺ وأطاعه وأخذ منه، فإنه بمقدار ذلك يكون أفضل من غيره سواء معاصريه أو المتأخرين عنه! وأما من لم يتأثر أو تأثر بمقدار بسيط فلا يوجد شيء يبرر تفضيله على غيره ممن هو أكثر منه إيماناً أو أخلاقاً أو علماً حتى لو جاء بعده بعشرة قرون!

٣. إن صحابة النبي ﷺ تنطبق عليهم -كغيرهم- القوانين العامة ولا تتخلف عنهم، مثلما انطبق على أصحاب الأنبياء السابقين، وعلى سائر المؤمنين في كل أدوار التاريخ مثل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(١). ولا استثناء في مثل هذا القانون لمثل الصحابة أو غيرهم! من أحسن يقال له محسن ويجزى جزاء المحسنين ويؤتى بالمحبة والمودة صحابياً كان أو غيره، ومن أساء يقال له أنت مسيء ويلقى جزاء المسيئين ويواجه بالبراءة من عمله صحابياً كان أو غيره!

٤. إنه لم يثبت بدليل واضح -بعدهما رُدَّت أدلة مدرسة الخلفاء- أن الصحابة أفضل من سائر الناس، بل ربما ثبت العكس هناك أدلة تشير إلى تفضيل رسول الله ﷺ آخرين عليهم. حيث سمي جماعة اخوانه^(٢) بينما أولئك كانوا أصحابه! بل تم التصريح في أحاديث رسول الله ﷺ بأنه لا ينجو من أولئك

(١) الزلزلة ٧-٨

(٢) حنبل؛ أحمد بن: مسند أحمد مخرجا ١٥/١٦٧ «وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْتُنَا إِخْوَانَنَا»، قالوا: أَوْلَسْنَا بِإِخْوَانِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانِي الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ».

إلا مثل همل النعم^(١)! ويؤكد ذلك ما حصل من وقائع تاريخية لا يمكن أن تنتهي إلى أنهم - جميعاً - أفضل الناس!

إن تضمن الحديث الثابت في مدرسة الخلفاء نسبة (الإحداث) و(الارتداد على أدبارهم)، و(عدم النجاة إلا القليل) يكذب نظرية أفضلية وأعدلية كل الصحابة، فإما أن يكون ذلك الحديث - بل الأحاديث - صحيحاً فتفسد النظرية، وإما أن يكون كاذباً فهو دليل على بطلان النظرية لكونه مروياً عن أحدهم!

٥. إن الحقائق التاريخية، وهو مقتضى الوضع الاجتماعي الطبيعي، أن مجتمع الصحابة هو كسائر المجتمعات البشرية، كان فيه من أفاضل المؤمنين رجال، وكان فيه أيضاً من الفسقة، وكان فيه ما بين الدرجتين! فلا هو مجتمع شياطين بالكامل ولا هو مجتمع ملائكة!

فقد نقل المؤرخون أن أحد الصحابة (قدامة بن مظعون) وهو والي البحرين من قبل الخليفة الثاني قد شرب الخمر، فقام الجارود العبدي و«ضرب قدامة بن مظعون الجمحي بالبحرين في الخمر الحدّ - وهو أميرهم - فبلغ ذلك الخليفة عمر فأرسل إليهم، فقاموا فقال للجارود: هيه، اجترأت على صهري وخال ولدي؟ فقال الجارود: لا أجترئ على قرشيّ بعدك، فقال عمر: لأوجعن ختنك - أي صهرك - يعني أبا هريرة فقال الجارود: أيشرب ختنك ويضرب ختني؟! فقال عمر: ما ذاك

(١) البخاري؛ صحيح البخاري ١٢١/٨ عن النبي ﷺ قال: «بينا أنا قائم إذا زُمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري. ثم إذا زُمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»

وفي مسند أحمد ١٥/١٦٧: «ألا كئذا دنّ رجال عن حوضي كما يُدأد البعير الصائل، أنادي بهم: ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً»



بالعدل...»^(١) وفي رواية أخرى أنه لما أراد أن يحده في شربه الخمر قال قدامة: ليس لك ذلك، لقول الله ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا...﴾^(٢).

ولو تأمل متأمل في حوادث القصة وتفصيلها سيجد كل فقرة فيها ناطقة بتكذيب فكرة مجتمع الصحابة الملائكي! فإن الحادثة يفترض أنها وقعت في سنة ١٣ هجرية فصاعد، يعني بعد مرور ثلاثة عشر سنة على هجرة النبي ومع ذلك تجد قدامة (لو صدقنا تبريره) لا يرى تحريم الخمر على المؤمن! مع أنه من البديهيات قرآناً وسنةً وفي سيرة المسلمين! فأبي علم عند هذا الصحابي الذي يراه المقرزي وأمثاله لديهم من العلوم والمعارف «ما هو حاصل عند الصحابة بأصل الخلقة، لا يحتاجون فيه إلى تكلف طلب، ولا مشقة درس... وكذلك ما فطروا عليه من العقول الرصينة، ما من الله تعالى به عليهم، من إفاضة نور النبوة العاصم من الخطأ في الفكر!! وإن كان مجرد تعلق وتهرب فأين ذهبت عدالة الصحابة؟ وقضية المغيرة بن شعبة في الكوفة أيام الخليفة عمر أيضاً لا تخفى على المتأمل فلتراجع في مظانها.

(١) النيميري؛ ابن شبة: تاريخ المدينة ٣ / ٨٤٥.. وفي نفس الكتاب رواية أخرى تبين كيف أن الخليفة لم يكن يريد أن يقبل شهادتهم بل «سبهم وغضب عليهم غضباً شديداً، وأبى أن ينزلهم، ومنع الناس أن ينزلوهم... ورجا عمر رضي الله عنه أن ينزعوا عن شهادتهم، وأعظم ما قالوا، وأرسل إلى الجارود: لقد هممت أن أقتلك أو أحبسك بالمدينة فلا تخرج منها أبداً أو أمحوك من العطاء فلا تأخذ مع المسلمين عطاء أبداً!، فأرسل إليه الجارود: إن قتلني فأنت أشقى بذلك، وإن حبستني بالمدينة فما بلد أحب إلي من بلد فيه قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ومنبره ومهاجره، وإن محوتني من العطاء ففي مالي سعة، ويكون عليك مأثم ذاك وتباعته، فلما رأى عمر رضي الله عنه أنهم لا ينزعون ولا يزدادون إلا شدة أرسل إليهم وسمع منهم وقال: والله ما استعملت عاملاً قط لهوى لي فيه إلا قدامة، ثم والله ما بارك الله لي فيه..

٦. إن ما يقوله بعض الطائفيين في إطار التشويش من أن أصحاب كل ديانة يحبون أصحاب نبيهم إلا (الرافضة) فإنهم يبغضون أصحاب نبيهم لا يستحق النقاش لأنه أشبه بالتهريج، لكن لما كان هذا التهريج هو الشائع الآن نضطر للتعرض له لنقول:

أولاً: من أين أثبت هؤلاء أن أصحاب الديانات يحبون أصحاب نبيهم؟ إن هذا يحتاج لإثبات! فهل عرفوا كل أصحاب الأنبياء في الديانات الأخرى أو أكثرهم ثم تعرفوا إلى أنهم يحبونهم؟ نحن لا نجد هذا الاهتمام عند سائر الديانات بأصحاب أنبيائهم! لا سيما بهذا العرض العريض الذي تلتزم به مدرسة الخلفاء بحيث تفضل وتعدل نحو مئة ألف من أصحاب النبي كما مر!

ولو فرضنا حصول ذلك، فهل هو من الأمور التي يلزم الأخذ بها؟ إن في أتباع باقي الديانات ممارساتٍ صحيحة وأخرى باطلة، فمن الذي يقول إن من الممارسات الحسنة أن يقدسوا الجميع محسنهم ومسيئهم وصالحهم وطالحهم؟

ثم من قال إن الشيعة لا يترضون على الصحابة ولا يحبونهم؟! إنهم يتقربون إلى الله ويستشفعون إليه بمثل أبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، والمقداد بن الأسود الكندي، وأبي أيوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله وغيرهم ممن سيأتي ذكر سيرهم الطيبة!

ومثلما أن في مدرسة الصحابة توجد شخصيات مفضلة ومميزة وتعتبر في رأس قائمة الفضيلة والقداسة وأنهم أفضل البشر بعد النبي ﷺ، فإن هناك قائمة أخرى مفضلة من الصحابة عند مدرسة أهل البيت ﷺ وشيعتهم، وقد تتداخل الأسماء وقد تتفارق.



فمن قائمة^(١) الأسماء المفضلة في مدرسة الخلفاء: أبو بكر بن أبي قحافة، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة عامر بن الجراح.

ومن المفضلين في مدرسة الامامية من الصحابة^(٢): أبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، والمقداد بن الأسود الكندي، وحذيفة بن اليمان، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وعبد الله بن عباس بن عبد المطلب، وخالد بن سعيد بن العاص، ومصعب بن عمير، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وأبو أيوب الأنصاري، وعدي بن حاتم.. وغيرهم ممن سيأتي الحديث عنهم بالإضافة إلى من ذكرناهم في كتابنا الآخر: رجال حول أهل البيت ﷺ في الجزء الأول.

والضابط في هؤلاء المفضلين عند الامامية؛ أنّ هؤلاء كانوا أكثر التزامًا، بالدين وأحكامه، فلم يؤثر عنهم أنهم ارتكبوا مخالفات شرعية، وفي نفس الوقت كانوا

(١) سيأتي ذكر عدد أكبر من الصحابة الممدوحين عند الامامية.

(٢) يذكر فيهم أولئك الذين اعترضوا على الخليفة الأول جلوسه مكان أمير المؤمنين ﷺ كما ذكرهم الطبرسي في كتابه الاحتجاج ١ / ١٠١ في رواية عن أبان بن تغلب، قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام): جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله ﷺ أنكر على أبي بكر فعله وجلوسه مجلس رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم كان الذي أنكر على أبي بكر اثني عشر رجلا من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص وكان من بني أمية، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وبريدة الأسلمي، ومن الأنصار أبو الهيثم بن التيهان، وسهل وعثمان ابنا حنيف، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأبي بن كعب، وأبو أيوب الأنصاري.. ونلاحظ أنّ هؤلاء ونظراءهم غائبون عن مواضع التبجيل والتقديس في مدرسة الخلفاء، فلا تجد أحدا منهم (مبشرا بالجنة) عند علماء تلك المدرسة!

على منهج منسجم مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام^(١). فمن كان على هذا الخط ومنسجماً معه فهو يتقدم غيره، ويعني أنه الأقرب إلى تحقيق أقوال رسول الله ﷺ في حق ابن عمه علي عليه السلام. هؤلاء فهموا ما ورد من النبي في حق علي بن أبي طالب لا على أنها مدح مجرد وثناء باهت ، وإنما رأوا فيه حقائق؛ فمن يقول (لحمك لحمي وسلمك سلمتي وحربك حربي... الخ من أمثال ذلك) كان يضع للمسلمين خريطة المسير بعد وفاته.

(١) لم نذكر علياً بن أبي طالب في قسم الصحابة المفضلين، لأننا نعتقد أنه إمامهم وليس واحداً منهم!



قائمة ببعض أسماء الصحابة الممدوحين عند الإمامية

قد يفاجأ -القارئ العزيز- بالعدد الضخم الذي يسوقه علماء الامامية لبيان أسماء الصحابة المرضي عنهم عندهم، فإنّ مما يثيره أتباع الاتجاه الأموي تحديداً أنّ الشيعة هم أعداء الصحابة، وفي بعض المجتمعات يعرفون الشيعة بأنهم (سبّابة الصحابة) ويثيرون الغبار أمام البصائر بأن الشيعة لا يترضون إلا عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ وأما باقي الأصحاب فيعتبرونهم مرتدين!

والغرض من ذلك واضح وهو إيجاد فاصل وحاجز بين الشيعة وبين عامة المسلمين، وقطع الطريق على نفوذ الفكر الشيعي وعقائد المذهب إلى أوساط المسلمين! فهم حاولوا بطريق السياسة وأدواتها من منع الخطباء ومصادرة الكتب والحجر عليها بحيث لا تزال إلى الآن وزارات الإعلام في بلاد المسلمين تمنع طباعة كثير من الكتب الشيعية، وتصادر الكتب تلك من معارض الكتاب الإسلامي.. غير أن هذا الذي كان نافعا فيما مضى لم يعد كذلك الآن بعد أن غيرت شبكة الانترنت المعادلات وفرضت واقعاً جديداً يسهل من خلاله الوصول إلى الكتاب المطلوب

على رغم أنف الرقيب والسياسي.

فلجأ أتباع النهج الأموي إلى إيجاد الفاصل الاجتماعي بين المسلمين وبين شيعة أهل البيت، وذلك بأن يشيعوا في الأمة أفكاراً يصعب تحملها مثل القول باتهام الشيعة لأصحاب النبي ﷺ جميعاً بالردة، وهم يعلمون أن أصحاب النبي ﷺ - خاصة الطليعة منهم - لهم موقع متميز في نفوس المسلمين، وسيجتنبون قائل ذلك القول، ويتبرؤون منه!

لذلك نقول إن بعض القراء سيتفاجأون حين يرون هذا العدد الكبير وهذه الأدوار المتميزة لأصحاب النبي المخلصين، والذين يقدسهم شيعة أهل البيت تبعاً لأئمتهم.. ويقرؤون دعاء^(١) صاغه الامام زين العابدين علي بن الحسين ﷺ في التسليم عليهم والترضي عنهم، والدعاء موجود في الصحيفة السجادية المتداولة بين شيعة أهل البيت، وهي تعتبر من الكتب المهمة التي لا تقصر عن المصادر الحديثية الأساسية عندهم.

وسيندهشون عندما يرون أن أصحاب الذين يقدسهم شيعة أهل البيت ﷺ هم أصحاب الأدوار المتميزة في الحكم العادل لبلاد المسلمين حتى في الأوقات التي أبعد فيها أمير المؤمنين ﷺ عن الخلافة مدة خمس وعشرين سنة، وأن منهم القادة

(١) الصحيفة السجادية، الإمام زين العابدين ﷺ، ص ١٨ «اللَّهُمَّ وَأَصْحَابُ مُحَمَّدٍ خَاصَّةً الَّذِينَ أَحْسَنُوا الصَّحَابَةَ وَالَّذِينَ أَلْبَسُوا الْبِلَاءَ الْحَسَنَ فِي نَصْرِهِ، وَكَانَفُوهُ، وَأَسْرَعُوا إِلَيَّ وَفَادَتِهِ، وَسَابَقُوا إِلَيَّ دَعْوَتِهِ، وَاسْتَجَابُوا لَهْ حَيْثُ أَسْمَعَهُمْ حُجَّةَ رِسَالَتِهِ. وَفَارَقُوا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ فِي إِظْهَارِ كَلِمَتِهِ، وَقَاتَلُوا الْأَبَاءَ وَالْأَبْنََاءَ فِي تَثْبِيْتِ نُبُوَّتِهِ، وَانْتَصَرُوا بِهِ. وَمَنْ كَانُوا مُنْطَوِينَ عَلَيَّ مَحَبَّتِهِ يَرْجُونَ * (تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ) * فِي مَوَدَّتِهِ. وَالَّذِينَ هَجَرْتَهُمْ الْعَشَائِرُ إِذْ تَعَلَّقُوا بِعُرْوَتِهِ، وَانْتَفَتَ مِنْهُمْ الْقَرَابَاتُ إِذْ سَكَنُوا فِي ظِلِّ قَرَابَتِهِ. فَلَا تَنْسَ لَهُمُ اللَّهُمَّ مَا تَرَكَوْا لَكَ وَفِيكَ، وَأَرْضَهُمْ مِنْ رِضْوَانِكَ، وَبِمَا حَاشَا الْخَلْقَ عَلَيْكَ، وَكَانُوا مَعَ رَسُولِكَ دُعَاةً لَكَ إِلَيْكَ. وَاشْكُرْهُمْ عَلَيَّ هَجْرَهُمْ فِيكَ دِيَارَ قَوْمِهِمْ، وَخُرُوجِهِمْ مِنْ سَعَةِ الْمَعَاشِ إِلَيَّ ضَيْقِهِ، وَمَنْ كَثُرَتْ فِي إِعْزَازِ دِينِكَ مِنْ مَظْلُومِهِمْ»



العسكريين المتميزين الذين حافظوا على الوجه الأنصح في الفتوحات التي حدثت أيام الخلفاء الأوائل قبل أمير المؤمنين عليه السلام.

نعم لديهم الصراحة للقول بما سبق أن ذكرناه في المواضيع السابقة من أنهم لا يعتقدون بعدالة كل الصحابة وإنما ينزلون كل واحد منهم منزلة التي أنزل نفسه فيها من الطاعة أو المعصية ومن النصر أو الخذلان ومن الاستقامة أو الانحراف وفي هذا لا يرونهم كأسنان المشط منزلة ولا حرمة، وإنما يرونهم كما يرون غيرهم وكما يرى كل عاقل أي مجتمع أن فيه الحسن والسيء والصالح والطالح، وهو ما أثبتته القرآن الكريم مما مر في الصفحات الماضية.

إنهم يتعجبون عندما يرون عنوان العشرة المبشرين بالجنة في مصادر مدرسة الخلفاء ويتساءلون عن بعضهم بل أكثرهم ما الذي صنع حتى يستحق الجنة ويشر بها بينما صنع غيره - ممن سنذكره في الصفحات القادمة - أضعاف ما صنع بعشرات المرات، ولم يدخله أصحاب هذه المصادر في الجنة ولا بشروه بها؟!!

وعلى كل حال فقد تحدث علماء الامامية عن أولئك الأصحاب ضمن إطار المرضي عنهم - بالدرجات المختلفة والمنازل المتعددة بحسب عمل كل واحد منهم ومعرفة -.

فممن ذكر - مكثراً - أسماء الصحابة المرضي عنهم عند الامامية، المرحوم الشيخ عبد الله المامقاني في كتابه تنقيح المقال في أحوال الرجال، وقد أعد أحد الباحثين في موقع ميزان^(١)، قائمة ببعض أسماء الصحابة المرضيين والممدوحين لدى الشيعة من ذلك الكتاب وغيره، فجاءت في (٥٣٣) اسمًا.

وقد التفت بعض علماء الامامية إلى الاغفال الذي يمارسه أتباع النهج الأموي في التشويش على عامة المسلمين في مسألة الصحابة، فذكروا في بعض كتبهم أسماء الصحابة الذين -شهدت أعمالهم على أوصافهم وأفعالهم على نياتهم- ونحن نقلها عنهم لأجل بيان الفكرة السابقة وهي وجود ذلك العدد الكبير من الصحابة الذين يحترمهم شيعة آل محمد فممن ذكر ذلك الشيخ جعفر السبحاني في كتابه الانصاف، قائلًا:

أسماء الصحابة المرضيين

فها نحن نضع أمام القارئ الكريم قائمة بأسماء ثلثة من الصحابة الذين شهدت أعمالهم على أوصافهم، وأفعالهم على نياتهم، وأثنى أصحاب الرجال والتراجم عليهم أو على الأقل سكت عنهم التاريخ، ولنكتف بذكر القليل منهم عن الكثير، وهم:

«جندب بن جنادة (أبو ذر الغفاري)، عمار بن ياسر، سلمان الفارسي، المقداد بن عمرو بن ثعلبة الكندي، حذيفة بن اليمان صاحب سرّ النبي، خزيمه بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين، الخباب بن الأرت التميمي، سعد بن مالك أبو سعيد الخدري، أبو الهيثم بن التيهان الأنصاري، قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، أنس بن الحرث بن منبه أحد شهداء كربلاء، أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد الذي استضاف النبي ﷺ عند دخوله المدينة، جابر بن عبد الله الأنصاري أحد أصحاب بيعة العقبة، هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال فاتح جلولاء، مالك بن الحارث الأشتر النخعي، مالك بن نويرة ردف الملوك الذي قتله خالد بن الوليد، البراء بن عازب الأنصاري، أبي بن كعب سيد القراء، عبادة بن الصامت الأنصاري، عبد الله بن مسعود صاحب وضوء النبي ﷺ ومن سادات القراء، أبو الأسود الدؤلي ظالم



بن عمير واضح أسس النحو بأمر الإمام عليّ، خالد بن سعيد بن أبي عامر بن أمية بن عبد شمس خامس من أسلم، أسيد بن ثعلبة الأنصاري من أهل بدر، الأسود بن عيسى بن وهب من أهل بدر، بشير بن مسعود الأنصاري من أهل بدر ومن القتلى بواقعة الحرة بالمدينة، ثابت أبو فضالة الأنصاري من أهل بدر، الحارث بن النعمان بن أمية الأنصاري من أهل بدر، رافع بن خديج الأنصاري ممّن شهد أحداً ولم يبلغ وأجازه النبي ﷺ، كعب بن عمير بن عبادة الأنصاري من أهل بدر، سماك بن خرشة أبو دجانة الأنصاري من أهل بدر، سهيل بن عمرو الأنصاري من أهل بدر، عتيك بن التيهان من أهل بدر، ثابت بن عبيد الأنصاري من أهل بدر، ثابت بن حطيم بن عدي الأنصاري من أهل بدر، سهل بن حنيف الأنصاري من أهل بدر، أبو مسعود عقبة بن عمرو من أهل بدر، أبو رافع مولى رسول الله ﷺ الذي شهد مشاهدته كلّها مع مشاهد عليّ ﷺ وممّن بايع البيعتين -العقبة والرضوان- وهاجر الهجرتين -للحبشة مع جعفر وللمدينة مع المسلمين- أبو بردة بن دينار الأنصاري من أهل بدر، أبو عمر الأنصاري من أهل بدر، أبو قتادة الحارث بن ربيعي الأنصاري من أهل بدر، عقبة بن عمر بن ثعلبة الأنصاري من أهل بدر، قرظة بن كعب الأنصاري، بشير بن عبد المنذر الأنصاري أحد النقباء ببيعة العقبة، يزيد بن نويرة بن الحارث الأنصاري ممّن شهد له النبي ﷺ بالجنة، ثابت بن عبد الله الأنصاري، جبلة بن ثعلبة الأنصاري، جبلة بن عمير بن أوس الأنصاري، حبيب بن بديل بن ورقاء الخزاعي، زيد بن أرقم الأنصاري شهد مع النبي ﷺ بضع عشرة وقعة، أعين بن ضبيعة بن ناجية التميمي، يزيد الأسلمي من أهل بيعة الرضوان، تميم بن خزام، جندب بن زهير الأزدي، جعدة بن هبيرة المخزومي، جارية بن قدامة التميمي السعدي، جبير بن الحباب الأنصاري، حبيب بن مظاهر الأسدي، حكيم بن جبلة العبدي، خالد بن أبي دجانة الأنصاري، خالد بن الوليد الأنصاري، زيد بن صوحان العبدي، الحجاج

بن عمرو بن غزية الأنصاري، زيد بن شرحبيل الأنصاري، زيد بن جبلة التميمي،
 بديل بن ورقاء الخزاعي، أبو عثمان الأنصاري، مسعود بن مالك الأسدي، ثعلبة أبو
 عمرة الأنصاري، أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي، عبد الله بن حزام الأنصاري شهيد
 أحد، سعد بن منصور الثقفي، سعد بن الحارث بن الصمد الأنصاري، الحارث بن
 عمر الأنصاري، سليمان بن صرد الخزاعي، شرحبيل بن مرة الهمداني، شيب بن
 رت النميري، سهل بن عمر صاحب المربد، سهيل بن عمر أخو سهل الذي مر
 ذكره، عبد الرحمن الخزاعي، عبد الله بن خراش، عبد الله بن سهيل الأنصاري،
 عبيد الله بن العازر، عدي بن حاتم الطائي، عروة بن مالك الأسلمي، عقبة بن عامر
 السلمي، عمر بن هلال الأنصاري، عمر بن أنس بن عون الأنصاري من أهل بدر،
 هند بن أبي هالة الأسدي، وهب بن عبد الله بن مسلم بن جنادة، هاني بن عروة
 المدحجي، هبيرة بن النعمان الجعفي، يزيد بن قيس بن عبد الله، يزيد بن حوثة
 الأنصاري، يعلى بن عمير النهدي، أنس بن مدرك الخثعمي، عمرو العبدي الليثي،
 عميرة الليثي، عليم بن سلمة الفهمي، عمير بن حارث السلمي، علباء بن الهيثم بن
 جرير وأبوه الهيثم من قادة الحملة في قتال الفرس بواقعة ذي قار، عون بن عبد الله
 الأزدي، علاء بن عمر الأنصاري، نهشل بن ضمرة الحنظلي، المهاجر بن خالد
 المخزومي، مخنف بن سليم الأزدي، محمد بن عمير التميمي، حازم بن أبي حازم
 البجلي، عبيد بن التيهان الأنصاري وهو أول المبايعين للنبي ليلة العقبة، أبو فضالة
 الأنصاري، أويس القرني الأنصاري، زياد بن النضر الحارثي، عوض بن علاط
 السلمي، معاذ بن عفراء الأنصاري، علاء بن عروة الأزدي، الحارث بن حسان
 الذهلي صاحب راية بكر بن وائل، بجير بن دلجة، يزيد بن حجية التميمي، عامر
 بن قيس الطائي، رافع الغطفاني الأشجعي، وأبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن



عبد شمس من أمراء السرايا أيام النبي ﷺ ومن خلص أصحاب الإمام علي ﷺ. (١)

وقد ذكر العلامة الأميني ١٤٥ اسمًا من أسماء الصحابة الذين كانوا مع الإمام أمير المؤمنين في حرب صفين وكونهم معه ﷺ في تلك المعركة الفاصلة يفيد كونهم على خطه ومعه في مواجهة أعدائه ومن أولئك الصحابة وفي مقدمهم البديون (٢):

١. أسيد بن ثعلبة الأنصاري - بدري -
٢. ثابت بن عبيد الأنصاري - بدري قتل بصفين -
٣. ثعلبة بن قبيصة بن صخر الأنصاري - بدري -
٤. جبر بن أنس بن أبي زريق - بدري -
٥. جبلة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي - بدري -
٦. الحارث بن حاطب بن عمرو الأنصاري الأوسي - بدري -
٧. الحارث بن النعمان بن أمية الأنصاري الأوسي - بدري -
٨. حصين بن الحارث بن المطلب القرشي - بدري -
٩. خالد بن زيد بن كليب أبو أيوب الأنصاري - بدري -
١٠. خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين الأنصاري الأوسي - بدري قتل بصفين -
١١. خليفة - ويقال: خليفة - بن عدي بن عمرو البياضي - بدري -
١٢. خويلد بن عمرو الأنصاري السلمي - بدري -

(١) الانصاف في مسائل دام فيها الخلاف، ج ٣، الشيخ السبحاني، ص ٦٠٥ وعدددهم نحو ١٢٢ اسما.
(٢) قد يكون بين هؤلاء عدد قليل جدا ممن لم يستمر على ولاية أمير المؤمنين وانكسر، ولكن هذا العدد الضئيل لا يضر بأصل المطلب.

١٣. ربعي بن عمرو الأنصاري - بدري -
١٤. رفاعة بن رافع بن مالك الأنصاري الخزرجي - بدري -
١٥. زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي البلوي - بدري -
١٦. جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري السلمي - بدري -
١٧. خباب بن الأرت أبو عبد الله التميمي - بدري -
١٨. سهل بن حنيف بن واهب الأنصاري الأوسي - بدري -
١٩. سماك بن - أوس بن - خرشة الأنصاري الخزرجي - بدري -
٢٠. صالح الأنصاري - بدري -
٢١. عبد الله بن عتيك الأنصاري - بدري -
٢٢. عقبة بن عمرو بن ثعلبة أبو مسعود الأنصاري - بدري -
٢٣. عمار بن ياسر المطيب الطيب الشهيد بصفين - بدري -
٢٤. عمرو بن أنس الأنصاري الخزرجي - بدري -
٢٥. عمرو بن الحمق الخزاعي الكعبي - بدري -
٢٦. قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي - بدري -
٢٧. كعب بن عامر السعدي - بدري -
٢٨. مسعود بن أوس بن أصرم الأنصاري - بدري -
٢٩. أبو الهيثم مالك بن التيهان البلوي المستشهد بصفين - بدري -
٣٠. أبو حبة عمرو بن غزية - بدري -



٣١. أبو عمرة بشر بن عمرو بن محصن الأنصاري - بدري قتل بصفين -
٣٢. أبو فضالة الأنصاري استشهد بصفين - بدري -
٣٣. أبو محمد الأنصاري - بدري -
٣٤. أبو بردة هاني بن نيار - ويقال: نمر - بدري .
٣٥. أبو اليسر كعب بن عمرو بن عباد الأنصاري السلمي - بدري -
٣٦. أسود بن عيسى بن أسماء التميمي .
٣٧. أشعث بن قيس الكندي كان أميراً على اليمنة يوم صفين .
٣٨. أنس بن مدرك أبو سفيان الخثعمي .
٣٩. الأحنف بن قيس أبو بحر التميمي السعدي .
٤٠. أعين بن ضبيعة الحنظلي . أحد الأمراء بصفين .
٤١. بريد الأسلمي . قتل بصفين وفيه يقول أمير المؤمنين :
جزى الله خيراً عصبة أسلمية حسان الوجوه صرعوا حول هاشم
بريد وعبد الله منهم ومنقذ وعروة ابنا مالك في الأكارم
٤٢. البراء بن عازب الأنصاري الخزرجي .
٤٣. بشر - بشير - بن أبي زيد الأنصاري .
٤٤. بشير بن أبي مسعود الأنصاري .
٤٥. ثابت بن قيس بن الخطيم الأنصاري .
٤٦. جارية بن زيد المستشهد بصفين
٤٧. جارية بن قدامة بن مالك التميمي السعدي .

٤٨. جبلة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري.
٤٩. جبير بن الحباب بن المنذر الأنصاري.
٥٠. جندب بن زهير الأزدي الغامدي كان من أمراء الجيش بصفين.
٥١. جندب بن كعب العبدي أبو عبد الله الأزدي الغامدي.
٥٢. الحارث بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي.
٥٣. حازم بن أبي حازم الأحمسي المستشهد بصفين.
٥٤. الحبشي بن جنادة نصر السلولي.
٥٥. الحجاج بن عمرو بن عزية الأنصاري.
٥٦. حجر بن عدي الكندي المعروف بحجر الخير، كان من الأمراء يوم صفين.
٥٧. حجر بن يزيد بن مسلمة الكندي.
٥٨. حنظلة بن النعمان الأنصاري.
٥٩. حيان بن أبجر الكناني.
٦٠. خالد بن أبي خالد الأنصاري.
٦١. خالد بن أبي دجانة الأنصاري.
٦٢. خالد بن المعمر بن سليمان السدوسي كان من أمراء علي يوم صفين.
٦٣. خالد بن الوليد الأنصاري، كان ممن أبلى بصفين.
٦٤. خرشة بن مالك بن جرير الأودي.
٦٥. رافع بن خديج بن رافع الأنصاري الخزرجي الحارثي.



٦٦. ربيعة بن قيس العدوانى .
٦٧. ربيعة بن مالك بن وهيل النخعى .
٦٨. زبيد بن عبد الخولانى شهد صفين مع معاوية وكانت معه الراية، فلما قتل عمار تحول إلى عسكر على عليه السلام أخذاً بقوله عليه السلام وسلم: عمار تقتله الفئة الباغية.
٦٩. زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الكعبى الخزرجى .
٧٠. زيد بن جارية الأنصارى .
٧١. زيد بن حيلة - بالمهملة والياء ويقال: بالمعجمة والموحدة - .
٧٢. زياد بن حنظلة التميمى .
٧٣. سعد بن الحارث بن الصمة الأنصارى استشهد يوم صفين .
٧٤. سعد بن عمرو بن حرام الأنصارى الخزرجى .
٧٥. سعد بن مسعود الثقفى عم المختار بن أبى عبيد .
٧٦. سليمان بن صرد بن أبى الجون أبو المطرف الخزاعى، كان أميراً على رجالة اليمينة يوم صفين .
٧٧. سهيل بن عمرو الأنصارى، قتل بصفين مع على عليه السلام .
٧٨. شبت بن ربعى التميمى اليربوعى أبو عبد القدوس .
٧٩. شبيب بن عبد الله بن شكل المذحجى .
٨٠. شريح بن هانى بن يزيد بن نهيك أبو المقدم الحارثى .
٨١. شيان بن محرث .

٨٢. صدی بن عجلان بن الحارث أبو أمامة الباهلي .
٨٣. صعصعة بن صوحان العبدي .
٨٤. صفر بن عمرو بن محصن . وقتل بصفين .
٨٥. صيفي بن ربعي بن أوس .
٨٦. عائذ بن سعيد بن زيد بن جندب المحاربي الجسري -المستشهد بصفين -
٨٧. عائذ بن عمرو الأنصاري .
٨٨. عامر بن وائلة بن عبد الله أبو الطفيل الليثي .
٨٩. عبد الله الأسلمي ممن استشهد بصفين وأثنى عليه مولانا أمير المؤمنين .
٩٠. عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي . قتل بصفين .
٩١. عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم . كان على الميسرة يوم صفين .
٩٢. عبد الله بن خراش أبو يعلى الأنصاري .
٩٣. عبد الله بن خليفة البولاني الطائي .
٩٤. عبد الله بن ذباب بن الحارث المذحجي .
٩٥. عبد الله بن الطفيل بن ثور بن معاوية البكائي .
٩٦. عبد الله بن كعب المرادي ، قتل يوم صفين وكان من أعيان أصحاب أمير المؤمنين .
٩٧. عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري الأوسي .
٩٨. عبد الرحمن بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، من شهداء يوم صفين .



٩٩. عبد الرحمن بن حسل الجمحي. قتل بصفين.
١٠٠. عبيد بن خالد السلمي.
١٠١. عبيد الله بن سهيل الأنصاري.
١٠٢. عبيد بن عازب أخو البراء بن عازب.
١٠٣. عبيد بن عمرو السلماني أبو عمرو صاحب ابن مسعود.
١٠٤. عبد خير بن يزيد بن محمد الهمداني - من كبار أصحاب الإمام (عليه السلام) -
١٠٥. عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي.
١٠٦. عروة بن زيد الخيل الطائي.
١٠٧. عروة بن مالك الأسلمي قتل بصفين وأثنى عليه الإمام (عليه السلام) كما مر .
١٠٨. عقبة بن عامر السلمي.
١٠٩. العلاء بن عمرو الأنصاري.
١١٠. عليم بن سلمة الفهمي.
١١١. عمرو بن بلال كان من المهاجرين.
١١٢. عمير بن حارثة الليثي.
١١٣. عمير بن قررة السلمي.
١١٤. عمار بن أبي سلامة بن عبد الله بن عمران.
١١٥. عوف بن عبد الله بن الأحمر الأزدي.
١١٦. الفاكه بن سعد بن جبير الأنصاري الأوسي الخطمي - قتل بصفين -

١١٧. قيس بن أبي قيس الأنصاري.
١١٨. قيس بن المكشوح أبو شداد المرادي - من شهداء صفين -
١١٩. قرظة بن كعب بن ثعلبة بن عمرو الأنصاري الخزرجي.
١٢٠. كرامة بن ثابت الأنصاري.
١٢١. كعب بن عمر أبو زعنة.
١٢٢. كميل بن زياد النخعي، يقال: أدرك من الحياة النبوية ثماني عشرة سنة وكان شريفاً مطاعاً ثقة^(١).
١٢٣. مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي الأشر.
١٢٤. مالك بن عامر بن هاني بن خفاف الأشعري.
١٢٥. محمد بن بديل بن ورقاء الخزاعي، من شهداء صفين.
١٢٦. محمد بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي يقال: قتل بصفين.
١٢٧. مخنف بن سليم بن الحرث بن عوف بن ثعلبة الأزدي الغامدي، كان على راية الأزدي بصفين.
١٢٨. معقل بن قيس الرياحي التميمي اليربوعي.
١٢٩. المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب الهاشمي.
١٣٠. منقذ بن مالك الأسلمي أخو عروة بن مالك ممن استشهد بصفين.
١٣١. المهاجر بن خالد بن المخزومي. استشهد بصفين.
١٣٢. نضلة بن عبيد الأسلمي أبو بريزة.

(١) الإصابة ٣: ٣١٨.



١٣٣. النعمان بن عجلان بن النعمان الأنصاري الزرقي.
١٣٤. هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال. كان صاحب الراية واستشهد بصفين.
١٣٥. هبيرة بن النعمان بن قيس بن مالك بن معاوية الجعفي. كان من أمراء علي عليه السلام.
١٣٦. وداعة بن أبي زيد الأنصاري.
١٣٧. يزيد بن الحويرث الأنصاري
١٣٨. يزيد بن طعمة بن جارية بن لوذان الأنصاري الخطمي.
١٣٩. يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحرث التميمي الحنظلي. يقال: إنه قتل بصفين.
١٤٠. يعلى بن عمير بن يعمر بن حارثة بن العبيد النهدي.
١٤١. أبو شمر بن أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح الحميري ثم الأبرهي قتل مع علي عليه السلام بصفين.
١٤٢. أبو ليلي الأنصاري والد عبد الرحمن.
١٤٣. أبو جحيفة السوائي.
١٤٤. أبو عثمان الأنصاري.
١٤٥. أبو الورد بن قيس بن فهر الأنصاري ^(١).

ولو بحثت -عزيري القارئ- عن هذه الأسماء سوف لا تجد لها حضوراً

(١) الغدير، ج ٩، الشيخ الأميني، ص ٣٧٨

في الثقافة الدينية عند أتباع مدرسة الخلفاء وبشكل أخص أتباع النهج الأموي! لماذا؟ أستم ترفعون راية عدالة الصحابة وفضيلتهم وتعيون على الآخرين أنهم يتجاهلونهم أو ينتقدونهم؟! فما الذي جعلكم تغفلون هؤلاء وتتركون الحديث عنهم؟! بل تغمزون كثيراً منهم في أثناء الحديث عنهم، بينما تمتلئ الصفحات بمناقب مفتعلة وأحاديث مصطنعة لبعض الأسماء المفضلة عندكم من الصحابة، بل إن الذم واللعن والتشنيع المروي من طرقكم عن النبي في حق بعضهم صار بالجهد الجهد في تأويل تلك الأقوال فضائل ومناقب!^(١)

(١) فإنهم لما رَوَا عن عائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ لِمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ: وَلَكِنَّ اللَّهَ لَعَنَ أَبَاكَ وَأُمَّتَ فِي صُلْبِهِ فَأَنْتَ فَضُّضٌ مِنْ لَعْنَةٍ.. كما في التاريخ الكبير؛ تاريخ ابن أبي خيثمة - السفر الثالث ٧٠ / ٢ وأمثالها في حق معاوية وغيره، لم يستطيعوا أن يمرروا هذا فكان لا بد من تأويل وتوجيه يبرئ هؤلاء من لعنة رسول الله فجاء مسلم في صحيحه ٢٠٧ / ٤ برواية عن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَّيْتُهُ، أَوْ لَعَنْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً» فإذن ما قاله النبي من اللعنة تحول بقدرة قادر إلى رحمة وزكاة.. ولا يهم بعد ذلك أن ينسب إلى رسول الله الشتم والسب واللعن من غير مبرر لأنه بشر وليس معصوماً عن ذلك عندهم.. بينما يركى مثل مروان بن الحكم والوالده. وكان ينبغي بناء على هذا التوجيه السقيم أن يطلب الناس من النبي أن يلعنهم كثيراً وأن يشتمهم مراراً وأن يبالغ في جلدتهم حتى يحصلوا على الزكاة والرحمة!! رأيت هذا المنطق السقيم؟ وأبرد منه ما جاء في حق معاوية بن أبي سفيان، من توجيه كلام رسول الله في حقه وتأويله على غير وجهه، بعدما تظافت الأحاديث على أنه دعا عليه بأن لا يشيع الله له بطناً! قالوا: هذا دعاء له لأن معناه أنه سيكون أكثر الناس شيعاً في يوم القيامة لأن الجائع هنا هو الشيعان هناك وبالعكس.. رأيت كيف يلعبون بحديث رسول الله لكي يزكوا بعض الأسماء؟ فانظر إلى هذا التوجيه البارد لهذه الرواية كما في مسند أبي داود الطيالسي ٤ / ٤٦٤ عن ابن عباس، أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ إِلَى مُعَاوِيَةَ يَكْتُبُ لَهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ يَأْكُلُ ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ فَقَالَ: إِنَّهُ يَأْكُلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا أَشْبِعُ اللَّهَ بَطْنَهُ» - قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ فَارِسٍ، الرَّاوي عَنْ يُونُسَ بْنِ حَبِيبٍ، مَعْنَاهُ وَاللَّهِ أَعْلَمُ: لَا أَشْبِعُ اللَّهَ بَطْنَهُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى لَا يَكُونَ مِمَّنْ يَجُوعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ الْخَبَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَطْوَلُ النَّاسِ شَبْعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»!!

وينبغي على هذا أن يدعو النبي لكل المسلمين بالأشيع الله بطونهم حتى يحصلوا على الشيع في الآخرة!! ونقول لمن وجه حديث النبي هكذا، هل تقبل أن يدعو عليك كل من يقابلك بالأشيع



كيف يتعرف الامامية على حسن حال الأصحاب؟

ليس هناك علاقة قرابة بين الشيعة وبين بعض الأصحاب حتى يمدحوهم أو يذكروهم بخير، كما أنه لا عداوة بينهم وبين البعض الآخر لأجل نزاع قبلي مثلاً أو معركة على مال، وإنما هي المواقف التي تجعل هذا الصحابي ممدوحاً عندهم وذلك مذموماً، وهذا الشخص محل اقتداء وذاك محل اجتناب.

وتعرف تلك المواقف من خلال أحاديث المعصومين عليهم السلام تارة، وأخرى من خلال كلمات المؤرخين المنصفين وترجمتهم للصحابة.

١. فمن ذلك ما جاء في أوصاف بعضهم بأسمائهم الشخصية من مدح وثناء عليهم سواء بشكل فردي أو مع آخرين، مثلما جاء في مدح عمار وأنه ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، وأبو ذر حيث أنه يبعث يوم القيامة أمة وحده، وما جاء في شأن بلال بن رباح مؤذن النبي صلى الله عليه وآله أنه كان عبداً صالحاً^(١) وأمثال ذلك.. كأن يذكروا بأسمائهم في موقف من المواقف كما جاء في كلمات أمير المؤمنين وخطبه وبعض الشعر المنسوب له، فمن الأول مثل ما جاء في نهج البلاغة: أين عمار، وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وهكذا مدحه وثناءه على كل من هاشم بن عتبة (المرقال) ومحمد بن أبي بكر^(٢) رضوان

الله بطنك ولا يرويك من ظمأ؟

(١) الطوسي؛ الشيخ محمد بن الحسن: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ١/ ٢٣٢ في رواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ومن المعلوم أنه كان عبداً صالحاً لكن المقصود هنا بالقياس لغيره كصهيب الذي لم يؤثر عنه موالاة أهل البيت. وقد تحدثنا عن شيء من أحوال بلال في كتاب: رجال حول أهل البيت ج ١.

(٢) الإمام علي؛ نهج البلاغة (تحقيق صبحي الصالح)، ص ٩٨ «..وقد أردت تولية مصر هاشم بن عتبة، ولو وليته إياها لما خلى لهم العرصة، ولا أنهزهم الفرصة، بلا ذم لمحمد بن أبي بكر، ولقد كان إليّ حبيبا، وكان لي ريبيا..»

الله عليهم أجمعين.

٢. ما جاء عن المعصومين في الثناء عليهم ضمن مدح مجموعة مثل إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة^(١)؛ عليّ وسلمان وعمارٍ وفي رواية بإضافة المقداد، أو بعنوان الحواريين،^(٢) أو بعنوان الأصحاب الذين لم يغيروا ولم يبدلوا^(٣) كما جاء في حديث شرائع الدين للإمام جعفر الصادق عليه السلام..

٣. ومن التعريف بهم ملاحظة مواقفهم من خلافة أمير المؤمنين عليه السلام الحقيقية وإيمانهم بها، وما يترتب على ذلك من إنكارهم على الخلفاء الذين سبقوه مثل عنوان الذين أنكروا على أبي بكر في المسجد، وسيأتي في ترجمة بعضهم كلام^(٤) هؤلاء الأصحاب للخلفاء واعتراضهم عليهم. وهكذا أولئك الذين ارتبط اسمهم بالشهادة على قضية الغدير وما سمي بحديث المناشدة،

(١) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ١/ ١٧٧، والشمائل المحمدية للترمذي ط إحياء التراث ١/ ٣١ ومسند أبي يعلى الموصلي ١٢/ ١٤٢ لكن ضعفه بعضهم لما جاء في أوله من أن أنس سأل أبا بكر وعمر أن يسأل رسول الله عنم يكون الثلاثة الذين تشتاق لهم الجنة فرفضاً سؤاله لتخوفهما أن لا يكونا منهم فيشمت بهم من يشمت فطلب من علي أن يسأله فسأله وأجابته بأسمائهم! هذا مع أن الحاكم قد صححه في المستدرک بل والذهبي في التلخيص.

(٢) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ١/ ٨١ قال أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام «إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين حوارئى محمد بن عبد الله رسول الله الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه؟ فيقوم سلمان والمقداد وأبو ذر». وهذه الرواية بالرغم من ملاحظة بعضهم على سندها إلا أنها تتساوى في الأسماء مع الرواية السابقة.

(٣) الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الخصال / ٦٢١؛ فيه «.. والولاية للمؤمنين الذين لم يغيروا ولم يبدلوا بعد نبيهم عليه السلام واجبة مثل سلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري والمقداد بن الأسود الكندي، وعمار بن ياسر، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وحذيفة بن اليمان، وأبي الهيثم بن التيهان، وسهل بن حنيف، وأبي أيوب الأنصاري وعبد الله بن الصامت، وعبادة بن الصامت، وخزيمة بن ثابت ذي الشهاداتتين، وأبي سعيد الخدري، ومن نحا نحوهم، وفعل مثل فعلهم».

(٤) كما نقله في الاحتجاج رواية عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، وقد مرت في الصفحات الماضية.



حيث شهد للإمام عليّ عليه السلام عددٌ من خلص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كانوا حاضرين لحادثة الغدير كما جاء في ذكر أبي أيوب الأنصاري وغيره.

٤. إقبالهم على خلافة أمير المؤمنين الظاهرية وتضحيتهم بأنفسهم دونه، وإعرايهم أن هذه الخلافة هي الحقّة وأن هذه الراية هي المنصورة المتبعة.. وشهودهم حروبه كلها ولا سيما الجمل وصفين حيث كانت هاتان المعركتان فاصلتين للخطوط المائلة عن أمير المؤمنين عليه السلام. وكان الاتجاه المعادي له والقاعد عنه قد تكتل في هاتين المعركتين واستقطب كل من كان راغباً عن عليّ عليه السلام، أو معادياً له. وفي المقابل كان المخلصون في ولائه يجدون في هذه المعارك فيصلاً بين الحق والباطل والاستقامة والانحراف.

وهذه المعارك قد كشفت حتى أولئك الذين اجبرتهم ظروف الجغرافيا (لكونهم في مناطق سيطرة أمير المؤمنين عليه السلام أو المجتمع والانتماء القبلي والعشائري وجدناهم بلا دور مهم فإن لم يكونوا (معوقين)^(١) إن استطاعوا فلا دور حقيقي لهم في القتال.

٥. تنصيب علمائنا ورجالينا عليهم وذكر أحوالهم مستنتجين حسن حالهم، ولا سيما الرواة المباشرين عن المعصومين، مما يفيد أن ذلك قد يعبر عن نظر المعصوم وإن كان لا ينقله كرواية، ومن ذلك كلام الفضل بن شاذان النيشابوري^(٢) حيث نقل عنه: «من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام أبو الهيثم بن التيهان وأبو أيوب وخزيمة بن ثابت وجابر بن

(١) رفض أبو موسى الأشعري تبعثة الناس وتحريضهم على الخروج لقتال أهل الجمل مع أنه كان بحسب المنصب الرسمي واليا للإمام عليّ عليه السلام على الكوفة! وحين خرج مع عسكر الامام في صفين كانت نتيجته التحكيم الهزيل المعروف.

(٢) ترجمة وتمت الاشارة له في كتاب رجال حول أهل البيت ج ٢

عبد الله وزيد بن أرقم وأبو سعيد الخدري وسهل بن حنيف والبراء بن مالك وعثمان بن حنيف وعبادة بن الصامت، ثم ممن دونهم قيس بن سعد بن عبادة وعدي بن حاتم وعمرو بن الحمق وعمران بن الحصين وبريدة الأسلمي..»^(١)

٦. لا يقتصر الأمر في إخلاص الأصحاب لأمير المؤمنين عليّ ﷺ واستقامتهم على خط الولاية، على الرجال، بل كان للنساء دور بارز فيه -ضمن ما يمكن لهن الحركة فيه- ولك أن تنظر إلى جهود أم المؤمنين أم سلمة^(٢) زوجة النبي ﷺ وتالية خديجة في الفضل والمنزلة وهكذا الحال في غيرها. فميدان الولاية والانتصار لأمير المؤمنين ﷺ كما يضم الرجال ويطلب منهم مواقف مميزة، يطلب كذلك من النساء وإن كان كما ذكرنا ضمن ما يمكن لهن فيه الحركة.

(١) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، ج ١، الشيخ الطوسي، ص ٢٢٧
(٢) للاطلاع على شيء من ذلك يمكن مراجعة كتابنا أعلام من الأسرة النبوية.



المقداد بن الأسود.. زُبر الحديد موقفاً

هو أحد الأركان الأربعة كما أُطلق عليهم وهم بالإضافة إليه، سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر.

المقداد بن الأسود الكندي والمقداد بن عمرو البهرائي الكندي وهذا الثاني هو اسمه الحقيقي بينما الأول هو الاسم المشهور له.

وسواء كان قدومه إلى مكة بسبب أنه تنازع مع أبي شمر بن حجر الكندي وهو من زعمائها، ونحتمل أن يكون ذلك بسبب ما كان عليه زعماء القبائل من اضطهاد عامة الناس واستغلالهم، ولم يكن يوقفهم مبدأ ديني أو أخلاقي أو سلطة قانون، فضرب المقداد رجله، فَطُلب وهرب إلى مكة أو أن ذلك كان بسبب آخر، فإن الأمر ليس بالمهم بعدما كان تاريخه الحقيقي هو ما سيبدأ مع بداية الإسلام وإيمانه برسول الله ﷺ.

ولكن تلك الحادثة يمكن أن تفسر نسبته إلى الأسود الكندي، فإنه بعدما وصل مكة، كان كما هو المتبع في ذلك الوقت لا بد أن يتحالف مع بعض زعماء القبائل ليؤمن لنفسه حماية من الاعتداء، فاختر من رآه أعز أهلها الأسود بن عبد يغوث

الزهري^(١) وتحالف معه.

ولأجل هذا التحالف أصبح متبني من الأسود ولحقه اسمه كما كان سائداً، فصار المقداد بن عمرو من الآن المقداد بن الأسود والكندي هي نسبه الأصلية للقبيلة.

نقدر أن عُمر المقداد عندما بُعث رسول الله ﷺ، كان بحدود أربعة وعشرين عاماً، ولا ريب أن بدء النبي بدعوته واطلاع المقداد عليها قد لامس من أعماقه نفساً رافضةً للظلم، وغير معتقدة بالأصنام التي لا تضر ولا تنفع!

لم يكن تبني الأسود الزهري للمقداد والذي وفر له الحماية من الاعتداء، مانعاً له عن التفكير والتأمل في خطأ المسار الذي يسير عليه المجتمع القرشي ومنهم سيده، فعندما سمع المقداد بالمبادئ التي جاء بها النبي ﷺ، وكان قد تعرف على سيرة النبي ﷺ قبل ذلك، سارع للإيمان به حتى عُدد سابع المؤمنين بحسب ترتيب المسارعة للإيمان.

في الطرف المقابل كان سيده الأسود الزهري من المعارضين لرسول الله ﷺ المستهزئين بدعوته الذين يسعون لفتنة من آمن بالرسول ودعوته، وكان من الطبيعي أن يتهاجر الطرفان بحسب اعتقاداتهما ورؤيتهما في الحياة فالتحق المقداد بركب المؤمنين بالرسول ﷺ وفي مقدمة من آمن كما ذكرنا.

وإذا كان الكفر قد قطع أرحام الأقارب، وطرد الأحلاف فقد كان ذلك بالنسبة

(١) سيرة ابن هشام ت طه عبد الرؤوف سعد ٢/ ٤٠.. الأسود بن عبد يغوث الزهري: كان من جبايرة قريش، وأحد كبار المستهزئين برسول الله ﷺ وكانوا خمسة، وقد كفى الله نبيه إياهم، فحين نزلت الآية (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) الحجر: ٩٥ أصيب الأسود هذا بالاستسقاء حتى هلك، وقيل كما في تفسير الصنعاني ٢/ ٢٦٢ بأنه «أَتَى بَعْضُن فِيهِ شَوْكٌ فَضَرَبَ بِهِ وَجْهَهُ فَسَالَتْ حَدَقَاتُهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَكَانَ يَقُولُ: دَعَوْتُ عَلَى مُحَمَّدٍ دَعْوَةً وَدَعَا عَلِيٌّ دَعْوَةً فَاسْتُجِيبَ لِي وَاسْتُجِيبَ لَهُ، دَعَا عَلِيٌّ أَنْ أَعْمَى..»



لمن تبناهم الكفار أوضح وأولى؛ الأمر الذي جعل المقداد يفارق حلف الأسود الزهري، ويلتحق بشكل كامل بالنبى ﷺ، ولا سيما بعدما نزلت الآية المباركة ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(١)، فهذا هو عاد إلى نسه الأصلي؛ المقداد بن عمرو البهرائي، لكن بقي الاسم السابق مشهوراً، وحيث أنه لم يكن له قبيلة تدافع عنه، فصار حاله في احتمال تعرضه للاضطهاد حال الكثير من المسلمين الذين كانوا مملوكين لأسيادهم، وهذا ما جعل النبي ﷺ، يأمره بالانضمام إلى القافلة الثانية المهاجرة للحبشة تحت قيادة جعفر بن أبي طالب (الطياري).

وقيل إنه رجع من الحبشة إلى مكة مثلما رجع قبله بعض المسلمين الذين وردت إليهم أخبار بأن قريش قد أسلمت، فأمن هؤلاء المهاجرون ورجع قسم منهم إلى مكة، ليجدوا الخبر كاذباً، وليتحينوا الفرصة من جديد للهجرة إلى المدينة، بعدما هاجر النبي ﷺ، وحالف التوفيق المقداد عندما علم بمجيء سرية للمسلمين بعثها النبي بقيادة عبدة بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي^(٢) في ثمانين مهاجراً، ولم يكن بين الفريقين قتال لكن هذه المواجهة استفاد منها اثنان من المسلمين أحدهما المقداد لكي يتسلل إلى جانب المسلمين ويرجع معهم للمدينة.

كان من الواضح عند المقداد أن في المسلمين الذين هم حول الرسول ﷺ

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥

(٢) السهيلي: الروض الأنف ت الوكيل ٥/ ٥٢: [سَرِيَّةُ عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ]: وَهِيَ أَوَّلُ رَايَةِ عَقْدِهَا ﷺ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِي مُقَامِهِ ذَلِكَ بِالْمَدِينَةِ عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ قُصَيٍّ فِي سِتِّينَ أَوْ ثَمَانِينَ رَاكِبًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، لَيْسَ فِيهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ أَحَدٌ، فَسَارَ حَتَّى بَلَغَ مَاءَ بِالْحِجَازِ، بِأَسْفَلِ ثَنِيَّةِ الْمُرَّةِ، فَلَقِيَ بِهَا جَمْعًا عَظِيمًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ، إِلَّا أَنْ سَعَدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ قَدْ رُمِيَ يَوْمَئِذٍ بِسَهْمٍ، فَكَانَ أَوَّلَ سَهْمٍ رُمِيَ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ.

ثم انصرف القوم عن القوم، وللمسلمين حامية. وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهرائي، حليف بني زهرة، وعتبة بن غزوان ابن جابر المازني، حليف بني نوفل بن عبد مناف، وكانا مسلمين، ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار. وكان على القوم عكرمة بن أبي جهل.

بالمدينة، هم فئات ولهم اتجاهات، ففيما كان حوله منافقون وبعضهم قد مردوا على النفاق^(١)، كان هناك قسم آخر يعيشون في ظل الدعوة الإسلامية، «في رفاهية من العيش وادعون هائئون يتربصون الدوائر، وينكصون عند النزال ويفرون من القتال»^(٢)، ويعيدون إنتاج وصياغة المجتمع القرشي بطلاء جديد وبالسملة قبل كل عمل!! وكان هناك أهل بيت النبي ﷺ الذين كانوا أشد التزاماً بأوامر رسول الله ﷺ وأسرع مبادرةً إلى الجهاد ورمزهم ورأسهم هو علي بن أبي طالب ﷺ، وكان من الطبيعي أن يلتحق المقداد بهؤلاء الرساليين، ويلتصق بهم حتى صار منهم فإذا به يصبح واحداً من الأركان الأربعة في المتممين لأهل البيت ﷺ، وإذا به يكون ممن يحبه الله، ويوحى إلى نبيه أن يحبه ويحب أربعة استثنائيين^(٣)، وإذا كان الغير يشتاقي إلى الوصول إلى جنة الله الباقية، فإن الجنة كانت هي التي تشتاقي للمقداد وللنفر المذكورين.^(٤)

(١) التوبة: ١٠١ ﴿وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ...﴾

(٢) هكذا وصفت السيدة الزهراء فاطمة حالة أعيان المجتمع القرشي من المهاجرين! راجع في تحليل موقف هذه الجماعات في المجتمع المدني، كتابنا: إني فاطمة وأبي محمد.

(٣) قال السيوطي في تاريخ الخلفاء ١/ ١٣٢ «وأخرج الترمذي، والحاكم وصححه، عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أمرني بحب أربعة، وأخبرني أنه يحبهم»، قيل يا رسول الله سمهم لنا؟ قال: «عليٌّ منهم -يقول ذلك ثلاثاً- وأبو ذر، والمقداد، وسلمان» ومثله الشيخ الطوسي في اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ١/ ٨٦

(٤) الطبراني: المعجم الكبير ٦/ ٢١٥ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْجَنَّةَ تَشْتَاقُ إِلَى أَرْبَعَةٍ: عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، وَالْمَقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ». والسيد ابن طاووس في كتاب اليقين/ ١٧٩.. في حديث طويل.. فقال (علي بن أبي طالب): بأبي وأمي يا رسول الله، أعلمني أنس أنك قلت (إن الجنة مشتاقة إلى أربعة من أمتي) فمن هم؟ فأوماً إليه بيده فقال: أنت والله أولهم، أنت والله أولهم، أنت والله أولهم، ثلاثاً. فقال له: بأبي وأمي، فمن الثلاثة؟ فقال له: المقداد وسلمان وأبو ذر.



بدر ومقولة تشتري بحمر النعم

لم يكن من السهل على قريش وهي التي تحكمت في العرب، بأكذوبة الأصنام وبما زعمته من كونها مسؤولة عن المسجد الحرام، وبما فرضته على مخالفيها من عقوبات اقتصادية واجتماعية، بل وتعذيب بدني وقتل، لم يكن سهلاً عليها أن يكسر رسول الله ﷺ أنف كبريائها ويحطم جبين جبروتها، فيعلن دعوته لله تعالى مسفهاً آراء كبارها ومستقطباً عقول شبابها، محمياً بشخصية عمه مؤمن قريش أبي طالب، ثم يخرج إلى المدينة المنورة موسعاً آفاق دعوته، ومنشئاً دولة ستكون هي الأمرة الناهية، وأصعب من ذلك خروج باقي المسلمين من تحت قبضتهم بالهجرة السرية تارة، وبالعلنية الصريحة كالتي فعلها علي بن أبي طالب أخرى، لكي يكسر حاجز الرعب القرشي في نفوس الناس، ويبين لهم أن بيت قريش لهو أوهن من بيت العنكبوت.

وحصل للقرشيين فرصة الانتقام لنفسها، ومبرر للقتال عندما أرسل أبو سفيان وكان على رأس قافلة تجارية حاول المسلمون اعتراضها، خبر الاعتراض ذلك، ومع أن أبا سفيان غير طريقه واستطاع الوصول إلى مكة بها، إلا أن الاستعدادات للقتال بدأت بما عبر عنه أبو جهل بن هشام بقوله «نرد بدرأً، فنقيم بها ثلاثاً فننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف لنا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً»، ولما وصلت أخبار استعداداتهم للمدينة جمع النبي ﷺ المسلمين، ليستشيرهم في الأمر، تعليماً لهم في ذلك وأن لا يستبدوا في آرائهم لا سيما عندما يكون بعضهم رئيساً ويكون القرار الذي يراد اتخاذه متصلاً بالشأن العام. ومن جهة أخرى فإن الجمع الأكثر لما كان من الأنصار وكانت بيعتهم للنبي -عندما بايعوه في العقبة- ظاهره أنهم يحمون في المدينة مما يحمون منه

أهلهم، ولم يكن فيها بحسب ظاهرها قضية القتال خارج المدينة.

وبعد اجتماعهم أخبرهم النبي ﷺ، بعزم قريش وما يتجهزون له، وطلب منهم الرأي قائلاً: أشيروا^(١) عليّ!، فقام عمر بن الخطاب وقال: «يا رسول الله، إنها قريش وعزها، والله ما ذلت منذ عزت ولا آمنت منذ كفرت، والله لتقاتلنك»^(٢).

هنا تأتي الكلمة الذهبية للمقداد الكندي، لتعلمنا لماذا كان يحبه الله وتشتاق له الجنة؟ ولتضيء الطريق لمن بعده لكي يتكلم وتشق مسار الحماس والفداء، حتى لقد جعل عبد الله بن مسعود كلماته تلك أفضل من حمر النعم وتمنى لو أن هذا الموقف كان له، وحُقَّ له ذلك، قال عبد الله بن مسعود لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إلي مما على الأرض من شيء، قال: أتى النبي ﷺ فكان رجلاً فارساً، فقال أبشر يا نبي الله، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾^(٣) ولكن والذي

(١) اعتقادنا أن النبي ﷺ هو أكمل البشر عقلاً، مع ذلك طلب منهم المشورة وإبداء الرأي، وقد يكون لذلك جهات بالإضافة إلى ما سبق ذكره، منها أن يكتشف المسلمون قيمة الأشخاص ومدى جديتهم في نصرة النبي ودينه، ولا ينخدعوا ببعض الاعتبارات والأسماء، وكانت مواقف المقداد وكلماته وسعد بن معاذ وسعد بن عباد قد كشفت عن ثمين عنصرتهم وقوة عزيمتهم.

(٢) الذهبي، شمس الدين: سير أعلام النبلاء ط الرسالة ١/٣٤٦؛ يلحظ الباحثون أن هذا الكلام وكلام الخليفة الأول لم يكن صحيحاً كواقع ولا مناسباً كتوقيت، أما كونه غير صحيح فقد كانت قريش أذل الفئات في ذلك الوقت بالقياس إلى امبراطوية الروم والفرس وكانت تعيش على فتاتهما، وتستجدي الحماية منهما وقد عبرت الزهراء ﷺ عن حالة قريش بقولها (وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام تشربون الطرُق وتقتاتون القد أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم) وأما كونه غير مناسبة توقيتاً فإنها مما يفت في عضد المسلمين المدافعين عن المدينة، وربما لهذا السبب فقد تم تخفيف وقع الكلمات بل تغييرها في كثير من المصادر، حتى انتهت إلى اختصارها بأنه فقام أبو بكر فقال وأحسن، وقام عمر فقال وأحسن!! لكن ما هو ذلك القول؟ لكن بعض المصادر احتفظت به مخفياً.

(٣) المائة: ٢٤



بعثك بالحق لنكونن بين يديك وعن يمينك وعن شمالك ومن خلفك حتى يفتح الله ﷺ عليك. (١) وفي أسد الغابة نقل جزءاً آخر من كلامه، «يا رسول الله امض لما أمرت به فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إِنَّا معكما مقاتلون فو الذي بعثك بالحق نبياً لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله خيراً ودعا له». (٢)

أول فارس في الإسلام، وقائد الميسرة في بدر كان المقداد، ولم تكن هي الأولى ولا الأخيرة، فقد شهد مشاهد رسول الله ﷺ، وبمقدار ما كان يرتقي في عين رسول الله ﷺ ويتقدم في صفوف «النفر البيض الخماص» فقد كان يهوي في نظر التيار القرشي إلى حد أنهم لم يكونوا يرونه كفؤاً لمصاهرتهم وهو الذي يحبه الله ورسوله وتشتاق إليه الجنة! ومن هناك فقد تمت ازاحته هو نفسه من كتب هذا التيار ليبقى في بعضها في ترجمة لا تتجاوز أحيانا صفحة واحدة! وليقرن به غيره بل يقدم عليه وهو سابع المسلمين إيماناً! بل لتكاد وأنت تقرأ ما كتب عنه في هذه الكتب تحسب أنه قد مات بعد معركة بدر! فلا تجد أثراً له في سائر معارك النبي ﷺ وأما ما بعد النبي ﷺ فقد تم التعتيم عليها بشكل تام! كيف لا وهو قد صرح في غير موضع بمعارضته للخط الرسمي للخلافة؟

كيف لا وهو الذي اعترض على إزاحة أمير المؤمنين ﷺ عن موقع هو الأجدر به والأليق، أمام الخليفة الأول.

كيف لا يصنع به ذلك وهو الذي حين رأى أحدهم يمدح الخليفة عثمان حثا في

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ١٥٨/٦٠

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة ٤/٤١٠

وجهه التراب تطبيقاً لقول رسول الله ﷺ .

بلى! إنَّ للمواقف ثمنها!

رسول الله يزوجه ابنة عمته!

في الوقت الذي كان ينسجم أكثر فأكثر مع خط أهل البيت ومع سيدهم عليّ ﷺ، كان الخط القرشي ينفصل عنه بل ويحاصره حتى لقد استكثر عليه أن يكون كفؤاً لابنة أحدهم! مع أن المسلم كفو المسلمة.

لقد رفض عبد الرحمن بن عوف أن يزوجه ابنته مع ما قدمنا من ذكر في فضله!

ذكر هذه الحادثة بشكل شبه صريح ابو القاسم البغوي في كتابه معجم الصحابة، بينما عمى على الاسم وعلى تفاصيل الحادثة، أكثر من كتبها من خط الخلفاء، كابن سعد في الطبقات الذي ذكرها بأسطر قليلة من غير ذكر لاسم عبد الرحمن بن عوف! فضلاً عن تفاصيل مهمة تكشف عن شيء من المواجهة بين الطرفين بل الخطين:

«كان عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الأسود جالسين يتحدثان، فقال له عبد الرحمن: ما يمنعك أن تزوج؟ فقال له المقداد: زوجني ابنتك! قال: فأغلظ -ابن عوف- له وجهه! فسكت المقداد، قال ولم يكن يصيب أحد منهم غمٌ ولا غيظٌ ولا فتنَةٌ إلا شكاً إلى رسول الله ﷺ قال: فقام المقداد فأتى رسول الله ﷺ فنظر إليه رسول الله ﷺ فعرف الغمَّ في وجهه. قال: ما شأنك يا مقداد؟ قال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي إنِّي كنت عند عبد الرحمن بن عوف آنفاً جالساً فقال لي: ما يمنعك يا مقداد أن تزوج؟ فقلت: زوّجني أنت ابنتك فأغلظ لي وجهي! فقال رسول الله: ولكنني أزوجك ولا فخر! فزوجه ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، قال: ثابت



وكان لها من الجمال والعقل والتمام مع قرابتها من رسول الله». (١)

تكافؤ النسب أو «ليتضع النكاح»؟

هل كان المقداد جاداً في طلبه الزواج من ابنة عبد الرحمن بن عوف؟

هناك احتمالان:

الأول: أنه نعم كان جاداً ورأى الفرصة مؤاتية له عندما تحدث معه ابن عوف، وكانت العادة تجري في مثل هذه الحالات أن تتم الاستجابة وينتهي الطلب بالزواج الفعلي، وربما يحق للقائلين بهذا أن يشيروا إلى أن ظاهر ذلك الطلب من المقداد هو الجدية وأن ابن عوف لأسباب لا نعلمها رده ورفض تزويجه، ولو لم يكن الأمر جدياً لما كان هناك حاجة للرفض، بل ولكي لا يعود مرة أخرى أو يحاول توسيط أحد فإنه جبهه وأغلظ له القول.

الثاني: ألا يكون المقداد جاداً وإنما أراد امتحان عبد الرحمن بن عوف، ليرى ويرى الآخرين أن الحالة الإسلامية لم تلامس في بعض المسلمين غير القشر الخارجي من ممارسات شعائرية، وعبادات ظاهرية، وأما التغيير الحقيقي والتخلي عن الاستعلاء على الآخرين والافتخار بالنسب، والاعتقاد بأن انتماءه لهذه القبيلة أو تلك يجعله أفضل من غيره مهما كان، فكل هذا لم يتغير وإنما بقي هو القاعدة التي توجه السلوك.

وهذا الاحتمال يعززه أصحابه بأن المقداد في سيرته وطريقة حياته واعتقاداته لم يكن لينسجم مع عبد الرحمن بن عوف في سيرته واعتقاداته، وهو ليس جديداً

(١) البغوي؛ أبو القاسم: معجم الصحابة ٥/ ٢٩٢، وهذه الحادثة بهذه التفاصيل المهمة اختصرها ابن سعد في الطبقات ٣/ ١٦٢، بهذين السطرين: أَنَّ الْمَقْدَادَ بْنَ عَمْرٍو حَطَبَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَأَبَى أَنْ يُزَوِّجَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَكِنِّي أَرَوُّجُكَ صُبَاعَةَ ابْنَةِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ!».!

عليه بل عارف به ومتوقع لرده ورفضه، فلا يمكن أن يكون جاداً في ذلك الطلب. ويؤيد هذا ما ورد في بعض المرويات من طريق الامامية من أن المقداد أخبر أنه يعلم بما سيجيب به عبد الرحمن ولكنه أراد كشفه لغيره.

وفيما بقي اتجاه عبد الرحمن بن عوف فتوى رسمية لخط الخلفاء ومذهباً لمدرستهم فصار موضوع تكافؤ النسب وأصله جاهلي قرشي، بل كان عندهم نظاماً اجتماعياً، ها هو الآن يتحول إلى ممارسة دينية ثم إلى فتوى شرعية ستظل تحكم مئات السنين، وسيتم طلاق مئات الزوجات من أزواجهن المؤمنين على أساسه^(١)! بينما سيكون الخط الإسلامي الأصيل المتمثل في أهل البيت ﷺ يعمل بما قاله القرآن الكريم أولاً من قانون ﴿الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(٢) وأنه لا يرتفع أحدهم على الآخر إلا بمقدار تقواه وإيمانه، ثم ما قرره رسول الله ﷺ بشكل خاص من أن (المسلم كفو المسلمة) وأن النبي ﷺ إنما زوج المقداد من ضباعة وهي الهاشمية القرشية ابنة عم النبي (ليتضع النكاح)^(٣).

(١) كتبت صحيفة أنحاء الالكترونية/2016/01/18/ <https://an7a.com/2016/01/18/> في يناير ١٨ ٢٠١٦: «سجلت محاكم المملكة في كافة المناطق ١٧ قضية فسخ عقد النكاح لعدم تكافؤ النسب في ١٤٣٦، فيما سجلت ٣٨ قضية في ١٤٣٥» وقد أثرت هذه القضية بشكل أكبر عندما تم الحكم بطلاق زوجين بدون علمهما وبدون رغبتهما في الفراق بناء على دعوى رفعها إخوة غير أشقاء للزوج بعد وفاة والدهم من أن زواج أخيهم الذي تم برضى الطرفين وأنجبا فيه طفلين، كان من امرأة لا تتكافأ قبيلتها مع قبيلتهم، فحكم القاضي الرسمي بطلاقهما من دون علمهما، ومع إصرار الزوجين على استمرار حياتهما الزوجية ورفضهما للانفصال رفعت القضية للمحكمة العليا التي ثبتت الزواج وأبطلت تطلق القاضي!

(٢) سورة التوبة، الآية ٧١

(٣) الأزدي، الفضل بن شاذان: الإيضاح ٣٨٤ قال ﷺ: أتعلمون لم زوجت ضباعة بنت عمي من المقداد؟ -قالوا: لا، قال ﷺ: ليتضع النكاح فيناله كل مسلم ولتعلموا (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاتُمْ)..



مواقف المقداد في وجه الخلافة الرسمية

في جماعة محدودة من المخلصين لعلي بن أبي طالب كان المقداد ممن شارك في الصلاة على الصديقة الطاهرة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليهما، وفي ذلك يقول العلامة المجلسي في بحاره: فلما كان في الليل دعا عليّ ﷺ العباس والفضل والمقداد وسلمان وأبا ذر وعمّاراً، فقدّم العباس فصلّى عليها ودفنوها. فلما أصبح الناس أقبل أبو بكر وعمر والناس يريدون الصلاة على فاطمة ﷺ. فقال المقداد: قد دفننا فاطمة البارحة؛ فالتفت عمر إلى أبي بكر، فقال: ألم أقل لك إنّهم سيفعلون؟! قال العباس: إنّها أوصت أن لا تصلّيا عليها^(١).

أول ما نلتقي بالمقداد بعد وفاة رسول الله ﷺ، اعتراضه على الخليفة الأول، وبينما كانت مواقف أصحاب النبي من شيعة عليّ ﷺ متفاوتة بين الإدراك العميق وبين التساؤل عن سر سكوت الإمام الظاهري وعدم قيامه بالسيف في وجه الخلافة، وبين حائر في التوفيق ما بين شجاعة الإمام وموقفه هنا، إلا أن الذي لم يدخله شك ولا ارتياب في موقف الإمام كان هو المقداد^(٢).

وبناء على هذا فقد توجه المقداد مع أحد عشر من أصحاب النبي ﷺ وشيعة عليّ إلى المسجد واعترضوا على الخليفة ونصحوه، كما ورد في رواية عن الإمام الصادق ﷺ وكان منهم المقداد الذي خاطب الخليفة قائلاً: ارجع يا أبا بكر عن ظلمك، وتب إلى ربك، والزم بيتك، وأبك على خطيئتك، وسلم الأمر لصاحبه الذي هو أولى به منك، فقد علمت ما عقده رسول الله ﷺ في عنقك من بيعته،

(١) المجلسي؛ محمد باقر: بحار الأنوار ٢٨ / ٣٠٥

(٢) المفيد، الشيخ محمد بن النعمان: الاختصاص ٢١ عن الإمام الصادق ﷺ: فأما الذي لم يتغير منذ قبض رسول الله ﷺ حتى فارق الدنيا طرفة عين فالمقداد بن الأسود، لم يزل قائماً قابضاً على قائم السيف عيناه في عيني أمير المؤمنين ﷺ، ينتظر متى يأمره فيمضي..

وألزمك من النفوذ تحت راية أسامة بن زيد وهو مولاه... اتق الله وبادر الاستقالة قبل فوتها ذلك أسلم لك في حياتك وبعد وفاتك، ولا تركز إلى دنياك، ولا تغررك قريش وغيرها، فعن قليل تضمحل عنك دنياك، ثم تصير إلى ربك فيجزيك بعملك وقد علمت وتيقنت أن علي بن أبي طالب ﷺ صاحب هذا الأمر بعد رسول الله ﷺ فسلمه إليه بما جعله الله له، فإنه أتم لسترك وأخف لوزرك، فقد والله نصحت لك إن قبلت نصحي وإلى الله ترجع الأمور.^(١)

فلا نستغرب بعد هذا الموقف كيف غابت سيرة المقداد وتاريخه من كتب مدرسة الخلفاء وتبخرت كما قطرة ماء في صيف قاطئ! نعم تسرب من هنا وهناك ما أفلت من ناظور المراقبين، مثل موقفه يوم الشورى حينما صرح بالصوت العالي: عندما اجتمع الناس، وهم ينتظرون ما تقرره الشورى في أمر الخلافة بعد عمر حتى يبايعونه، أقبل المقداد، وقال: أيها الناس! اسمعوا ما أقول: أنا المقداد بن عمرو، إنكم إن بايعتم علياً سمعنا وأطعنا، وإن بايعتم عثمان سمعنا وعصينا، فقام عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي، فنادى: أيها الناس! إنكم إن بايعتم عثمان سمعنا وأطعنا، وإن بايعتم علياً سمعنا وعصينا، فقال له المقداد: يا عدو الله وعدو رسوله وعدو كتابه، ومتى كان مثلك يسمع له الصالحون؟

وبالفعل قد كان عبد الله بن أبي ربيعة عدواً لله ولرسوله، ومحارِباً للدين، ولولا أن أم هانئ بنت أبي طالب قد أجارته -وهي مسلمة- فيمن أجات لكان سيف ذي

(١) الطبرسي، أحمد بن علي الاحتجاج/١/١١١، وأول الحديث هكذا: عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ﷺ: جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله ﷺ أنكر على أبي بكر فعله وجلسه مجلس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم كان الذي أنكر على أبي بكر اثني عشر رجلاً من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص، وكان من بني أمية وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وبريدة الأسلمي ومن الأنصار أبو الهيثم بن التيهان وسهل وثمان ابنا حنيف وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وأبي بن كعب وأبو أيوب الأنصاري.



الفقار بيد عليٍّ قد أخذ من عنقه مأخذاً!

فهل كان يتوقع من ابن أبي ربيعة غير هذا؟

وإذ تمت الصفقة بين عبد الرحمن بن عوف وبين عثمان ولم تكن المرة الأولى التي تأمرت قريش فيها كما قال أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام، فحلب له حلباً بأمل أن يعطيه شطره! وضاعت الخلافة من جديد، الأمر الذي جعل المقداد يتألم أسفاً إلى حد يذكر بالبكاء فيقول: تالله ما رأيت مثل ما أُوتِي إلى أهل هذا البيت بعد نبهم، واعجباً لقريش! لقد تركت رجلاً ما أقول ولا أعلم أن أحداً أقضى بالعدل، ولا أعلم، ولا أتقى منه، أما والله لو أجد أعواناً...

وقد اشتهر هذا عن المقداد بحيث يظهر منه أنه كان يتكرر منه في كثير من المواقف ولذلك تعددت رواياته، فمن ذلك ما نقل من الحوار بينه وبين عبد الرحمن بن عوف وهو الذي أمال الكفة لصالح عثمان، ولا سيما بعدما فشا في الناس مقالة أبي سفيان في جمع بني أمية: تلاقفوها تلاقف الكرة! فقام عمار بن ياسر في المسجد وبين للناس ما في تأخير علي بن أبي طالب من الخطورة، وقام المقداد فقال: ما رأيت مثل ما أُوذِي به أهل هذا البيت بعد نبهم! فقال له عبد الرحمن بن عوف: وما أنت وذاك يا مقداد بن عمرو؟ فقال: إني والله لأحبهم لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم، وإن الحق معهم وفيهم، يا عبد الرحمن أعجب من قريش - وإنما تطولهم على الناس بفضل أهل هذا البيت - قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده من أيديهم، أما وأيم الله يا عبد الرحمن لو أجد على قريش أنصاراً لقاتلتهم كقتالي إياهم مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر. ^(١)

هذا بينما يرويها أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب أخبار السقيفة عن

(١) المسعودي؛ علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر ٢/ ٣٤٣

شخص آخر، وبنص غير النص السابق، فهو ينهي الرواية إلى المعروف بن سويد قال: كنت بالمدينة أيام بوبع عثمان، فرأيت رجلاً في المسجد جالساً، وهو يصفق إحدى يديه على الأخرى - والناس حوله - ويقول: واعجباً من قريش، واستشارهم بهذا الأمر، على أهل هذا البيت، معدن الفضل، ونجوم الأرض، ونور البلاد، والله إن فيهم لرجلاً ما رأيت - بعد رسول الله ﷺ - أولى منه بالحق، ولا أقضى بالعدل، ولا أمر بالمعروف، ولا أنهي عن المنكر، فسألت عنه، فقيل: هذا المقداد، فتقدمت إليه وقلت: أصلحك الله من الرجل الذي تذكر؟ فقال: ابن عم نبيك رسول الله ﷺ، علي بن أبي طالب^(١).

وبالإضافة للدعوة لأمر المؤمنين ﷺ، كان يخبر الناس بمناقب أهل البيت وفضائلهم، فقد روي عنه قوله عن رسول الله: «معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز على السراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب»^(٢).

وبينما كان أهل الدنيا يتوددون للخليفة طمعاً ورغبة، ويمدحونه بما ليس فيه تقرباً وتوسلاً، كان المقداد يواجههم بإلقاء التراب عليهم، لكي يبين أن ذلك كذب، وأنه مدح لأطماع الدنيا، فينبغي مواجهتهم بما أمر به رسول الله من أنه (إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ)^(٣).

وهذه العلاقة غير المنسجمة مع خط الخلافة والتيار القرشي تجعلنا نشكك في

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٩ / ٢١

(٢) القندوزي: ينابيع المودة لذوي القربى ١ / ٧٨

(٣) بن أبي شيبه، أبو بكر: مسند ابن أبي شيبه ١ / ٣٣٢ عن همام بن الحارث، أن رجلاً جعل يمدح عثمان رضي الله عنه، فعمد المقداد فجثى على ركبتيه، قال: - وكان رجلاً ضخماً - فجعل يحثو في وجهه الحصاة، فقال له عثمان: ما شأنك؟ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ» وضمن مسار التعمية فإن أكثر المصادر ذكرت الخبر بعنوان: أن رجلاً جعل يمدح أحد الأمراء (!!).



ما رووه من أن الخليفة عثمان هو الذي صلى عليه، ونميل إلى ما ورد من أن عماراً بن ياسر هو الذي صلى عليه، وأن عثمان لم يخبر بالصلاة عليه، فجاء وأخذ يثني عليه، فقال له الزبير بن العوام ما قال. ونعتقد أن ما ذكره الزبير بعد الانتهاء من دفن المقداد كان دقيقاً في تشخيص موقف كل من الطرفين من الآخر، فعن الحكم: أن عثمان بن عفان جعل يثني على المقداد بعدما مات، فقال الزبير:

لا أُلْفِيَنَّكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدُبِي وَفِي حَيَاتِي مَا زَوَّدْتَنِي زَادِي^(١)

وفي بعض الروايات أن عثمان قال للزبير: يا زبير؛ تقول هذا؟! أتراني أحب أن يموت مثل هذا من أصحاب محمد ﷺ وهو عليّ ساخط!!

قضى المقداد بن عمرو البهائي المشهور بالمقداد بن الأسود الكندي نحبه، سنة ٣٣ للهجرة، عن عمر مبارك ناهز السبعين عاماً. فلم يدرك ما تقر به عينه، من ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الظاهرية، ودفن في بقيع الغرقد في المدينة.



سلمان المحمدي.. واجد الحقيقة

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم، قيل يا رسول الله من هم؟ قال: علي منهم يقول ذلك ثلاثاً، وأبو ذر، وسلمان، والمقداد)^(١)

تتناول هذه الصفحات بعض جوانب التعريف بشخصية الباحث عن الحقيقة؛ من عِلْمِ عِلْمِ الأول والآخر وهو سلمان المحمدي.

سلمان بحث عن الحقيقة ثم وجد اطمئنانه في الدين الإسلامي، وهنا يعلمنا سلمان كيف نبحث عن الحقائق وكيف نعالج الإشكالات.

ذلك أننا نجد اليوم شخصيات سلبية، تتظاهر بأنها تبحث عن الحقيقة، ولكن كلامها أقرب للفوضى والتهريج من البحث عن الحقائق، سواء على الكتب أو وسائل التواصل الاجتماعي تجده بدون علم، أنا أشكك في الأمر الفلاني، وأرفض

(١) ابن عساکر: تاریخ ابن عساکر: ٢ / ١٠١، قال السيوطي في تاريخ الخلفاء ١٣٢ / ١ «وأخرج الترمذي، والحاكم وصححه، عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أمرني بحب أربعة، وأخبرني أنه يحبهم»، قيل يا رسول الله سمهم لنا؟ قال: «علي منهم -يقول ذلك ثلاثاً- وأبو ذر، والمقداد، وسلمان» ومثله الشيخ الطوسي في اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ١ / ٨٦

الاعتقاد الكذائي، يصدّم المجتمعَ كلامه، وينشغل بمواجهة المجتمع بدلاً من البحث عن الحقائق، بينما المفروض أن الباحث عن الحقيقة ينشغل بطلب الحقيقة بصمت وبمثابرة إلى أن يصل إلى النتيجة التي يمكنه الاستدلال والبرهنة عليها ثم يظهرها.

وللأسف فإن قسماً من دعوات التصحيح والتحريض على طلب الحقائق هي من هذا القبيل، وهي أشبه بوضع العربة أمام الحصان! فما كان متأخراً بحسب طبعه وهو إعلان النتيجة و(الفتوى) على الملأ العام وإشغال المجتمع بها وصنع موجة من التشكيك أحياناً بين العامة، يكون في المقدمة، وما هو في المقدمة بحسب طبعه وهو البحث والتنقيب والتحقيق وحشد الأدلة ودراسة الموضوع يكون فيما بعد ومتأخراً.. فبعد أن تحدث الزوبعة وتبدأ الردود يقوم بعض هؤلاء بالبحث عن أدلتهم على نتائجهم التي أعلنوها سلفاً! و(فتاواهم) التي قالوها سريعاً!

ولأجل هذا كان الوصول إلى الحقائق نادراً، والحصول على التهريج الاجتماعي والفوضى العامة هو الأكثر!

سلمان هو مثالٌ حول الباحث عن الحقيقة، فإنه قضى أكثر عمره في البحث عن الوصول إلى الدين القويم والحقيقة الكاملة حتى وصل إليها.

نشأته وديانته

اسم سلمان الأصلي: (روزبه) وهو رجل فارسي من أصفهان ثم أطلق الرسول ﷺ عليه سلمان، بعد إيمانه.

عاش شبابه في بيئة وأسرّة غنية، والده كان من الأغنياء ومن المهتمين بديانتهم



السابقة وهي المجوسية^(١) حيث كان عندهم بيت النار،^(٢) ومن عقائدهم: تقديس النار: فيرى المجوس في النار مصدر الإشراق والطهارة، فهي مُطَهَّرَةٌ لغيرها، لا ينالها نجاسةٌ أو رجسٌ؛ وهي مظهر لقوة خالق الخير؛ لذا تستحقُّ التقديس والتكريم، ومن هنا عدّوها أصلَ العناصر الأساسية الموجودة في الكون (التراب والماء والنار).

ومن مظاهر تكريمها وتقديسها أنهم يبقونها متقدمة دائماً لهم في أماكن يخدمها سدنةٌ موكلون بها؛ كي لا تنطفئ، لاسيما في الجبال المرتفعة وهي من مظاهر قوة الإله كما يقولون ويسمون تلك الأماكن (آتشگاه) بمعنى مكان النار. وفي بعض أجوبتهم المعاصرة يتحدثون عن النار باعتبارها مصدر النور، والنور موجود في الديانات الأخرى فالله - كما يقولون - نور للسموات! وأن النار في محل العبادة (آتشگاه) لما كانت ذات لون واحد فهي تقضي على النفاق والازدواجية! وأن النار هي مصدر الحضارة والصناعة.. إلى آخر ما قالوه في اعتقاداتهم بشأن النار.

كان والد سلمان من الموكلين بالنار تلك، وصرف قسمًا غير قليل من أمواله وكان ثريًا، في الاهتمام بما يعتقد، بل كان يُعد ابنه (روزبه) الذي سيصبح اسمه فيما بعد سلمان ويربيه؛ ليكون في هذا المسار لِمَا وجد فيه من ذكاء، وكان يحافظ عليه حتى لا يتأثر بالأفكار والمعتقدات الأخرى التي كانت في أصفهان كاليهودية والمسيحية ويحرص على ألا يختلط مع هؤلاء.

ولكن إذا أراد الله شيئاً هياً أسبابه، فقد أرسله أبوه ذات يوم لحاجة من الحاجات، فمر على كنيسة، ولما سمع أجراسهم وأناشيدهم، استوقفه هذا الأمر

(١) لمعرفة أصول الديانة المجوسية والموقف الإسلامي منها يراجع كتابنا: من قصة الديانات والرسول.

(٢) آل سيف، فوزي: قصة الديانات والرسول ٢٨١

لأن فيها كلمات عن الله تعالى، وكانت غير مألوفة لديه، وجديدة على سمعه فدخل إلى الكنيسة وبقي هناك يسألهم وهو معجب بما لديهم من أفكار، واستغرق ذلك مدة طويلة من الوقت مما جعل والده يبحث عنه، فوجده في الكنيسة. سأله: لماذا ذهبت إلى هناك؟

فقال سلمان: سمعتُ منهم كلاماً جميلاً؛ معتقد جديد ومعلومات رائعة.

ومن الطبيعي أنك حينما تقيس الدين المجوسي وما كان عليه من أفكار بالمسيحية، سوف تجد التفوق لصالح المسيحية لأن قسماً من العقائد الحقة كانت فيها، ونسبة التحريف فيها أقل، والوصايا الأخلاقية فيها أكثر ظهوراً.

وحينما قال سلمان لوالده: إنه قد أعجبه دين المسيح وإنه يراه خير دين، تعامل معه والده بقسوة وتهديد لكن سلمان بقي على أمره، ذلك أن قضايا العقائد ليست بالإجبار والاكراه بل هي بالبراهين والأدلة والفهم.

لهذا يُظلم الكثيرون بسبب معتقداتهم ولكن لا يتغيرون بل يزدادون تمسكاً، نعم في بعض الموارد قد يتعاملون بالتقية ولكن تبقى قلوبهم تنبض بالإيمان.

روزبه (سلمان) أصر على معتقده الجديد فاتخذ أبوه منه موقفاً، وعاقبه بالسجن في حجرة وقيده وبقي مدة طويلة إلى أن خف عليه القيد، واستطاع بطريقة ما إخبار من في الكنيسة بإيمانه حتى وجدوا له طريقة للخروج من اصفهان. فهرب من سجن أبيه، الديني والمنزلي، وسافر مع بعض الكهنة والرهبان إلى بلاد الشام، وكانت مركز الديانة المسيحية آنئذ.

وتفاعل سلمان مع المسيحية، ولا ريب أن في المسيحية من الصفاء والمحبة ما يجعل معتقدها يتمسك بها، ولو لا ما طرأ عليها من تحريف من تأليه المسيح مما



ذكره القرآن الكريم، لكانت على الجادة الإلهية تماما. لقد عبر القرآن الكريم عن تأثير التعاليم المسيحية على أتباعها بقول الله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ* وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ* وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾^(١).

وبالطبع هذا لا يحصل لمن يدعي التدين بالمسيحية وإلا فقد كان من قادة الحروب الصليبية^(٢) من يدعي الانتماء للمسيح بل من قادتها من كانوا رهبانًا وقساوسة!

إننا نعتقد أن الذي يعتقد بأصول الديانات الأخرى من دون تحريف وتزييف ستؤثر على قلبه وسلوكه، بل ستهديه آخر الأمر إلى منهج سيد الانبياء والرسول ﴿الرَّسُولَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾^(٣)، فإذا اجتمعت رقة القلب وصفاءه وانفتاح العقل والالتزام بما جاء في الكتب السماوية السابقة أنتج ذلك أن يهتدي

(١) سورة المائدة آية ٨٢-٨٣

(٢) الحروب الصليبية مصطلح يطلق على مجموعة من الحملات والحروب التي قام بها أوروبيون من أواخر القرن الحادي عشر حتى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر (١٠٩٦-١٢٩١)، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الذين اشتركوا فيها وكانت حملات دينية وتحت شعار الصليب من أجل الدفاع عنه كما قالوا، وذلك لتحقيق هدفهم الرئيسي وهو السيطرة على الأراضي المقدسة كبيت المقدس، ولذلك كانوا يخطون على ألبستهم على الصدر والكتف علامة الصليب من قماش أحمر. عن ويكيبيديا.

(٣) الأعراف: ١٥٧

أتباعها إلى دين رسول الله ﷺ وهذا ما سيحصل لسلمان.

وترقى سلمان في عقيدته المسيحية وتعرف عليها واختصه أحد القساوسة، وقربه إليه وأطلعته على معلومات كثيرة، ولما دنت من القس الوفاة قال سلمان للقس: قد اقترب منك الأجل فماذا توصيني؟

قال القس: سوف يظهر في هذه الأزمنة في يثرب نبي من الأنبياء وقد بشر به الإنجيل فإن استطعت أن تصل إليه فافعل.

وبالطبع لم يكن شيء أحبَّ إلى سلمان من الأخذ بنصيحة القس الأكبر ذلك لإدراك النبي المصطفى، وبعد فترة علم أن قافلة قد جاءت من العرب من بني كلاب وأنها سوف ترجع إلى يثرب، فاتفق معهم أن يرافقهم إلى يثرب مقابل أجر لكنهم كانوا خونة، فلما وصلوا بالقرب من يثرب التي صار اسمها بقدم النبي ﷺ بـ (المدينة) قال هؤلاء لليهود، عندنا عبد ذكي وعالم بالكتب المقدسة، نريد بيعه لكم، فإذا أخبركم أنه حر فلا تستمعوا له، فاشتره اليهود.

اشترى اليهود سلمان وأخذ يعمل في مزارعهم من تأبير النخيل (التلقيح) وسف الخوص، والطريف أنه انتفع بهذه الحرفة إلى أن صار والياً على المدائن، في عهد الخليفة الثاني ولم يترك عمله.

لقاؤه بالنبي ﷺ واعتناقه الإسلام

و ذات يوم.. سمع سيده اليهودي يتحدث مع أحدهم متعجباً من (حماقة) الأوس والخزرج حيث جاءوا برجل من مكة إلى يثرب ويزعمون أنه نبي من أنبياء الله ﷺ.

فتدخل سلمان وقال: نعم لعله هذا الذي بشرت به الكتب، فقال صاحب سلمان



وسيده: اسكت وانصرف إلى عملك.

هنا عزم سلمان أن يذهب إلى المدينة وقت الراحة (والعطلة) ويأخذ التمر الذي هو حصته إلى الرسول ﷺ لأن من علامات النبي أنه لا يأخذ الصدقة ويأخذ الهدية. فذهب وقت الراحة إلى المدينة ورأى النبي ﷺ مع أصحابه، فقال سلمان: عندي مقدار من التمر صدقة لكم. فرأى أنهم أكلوا إلا الرسول ﷺ لم يمد يده إليها، فقال في نفسه: هذه إحدى العلامات أنه لا يأكل الصدقة.

وهناك علامة أخرى وهي خاتم النبوة في كتفه من الخلف، فذهب سلمان خلف رسول الله ﷺ بشكل غير مباشر - والرسول عالم بما يريد - فأنزل رسول الله ﷺ رداءه عن كتفه كي يراها فلما رأى ذلك أقبل عليه وقبل رأسه وقال: أشهد ألا إله إلا الله وأنت رسول الله.

هنا أراد سلمان أن يتحدث له عن الفترة الطويلة التي كان يبحث فيها عن الدين. فقال له النبي ﷺ: تخبرني أو أخبرك؟ وفعلاً أخبره عن اسمه وعن تفاصيل ما جرى، وغير اسمه إلى سلمان، فقال سلمان: فذاك نفسي يا رسول الله.

وبالرغم من أننا لا نمتلك ما يؤكد بعض المرويات التاريخية التي تعطي سلمان عمراً طويلاً قد يصل في بعضها إلى ثلاثمائة سنة! إلا أننا نعتقد مع ذلك أنه قد صرف من الكثير من عمره للبحث عن الديانة الحق، واعتنقها بعد ذلك عن وعي ومعرفة بل ومقارنة بغيرها، وقد حصلت له معاناة كبيرة في هذه الطريق، بدءاً من سجن أبيه وانتهاء ببيعه عبداً مسخراً لخدمة سيده! وبالطبع كانت تتخللها مطالعات ونقاشات وحوارات، فبعدما استوعب المجوسية رفضها عن علم ومعرفة، وهكذا بالنسبة للمسيحية حيث لم يبق عليها، وأخيراً اليهودية دين أسياده، وبعدما جرب واستوعب كل هذه الديانات أقبل على دين الإسلام وآمن بالرسول محمد ﷺ.

تحرره من العبودية

آمن سلمان بالرسول ﷺ وهو لا يزال عبداً، لذا لم يشهد غزوة بدر ولا أحد، بالرغم من أن بدرًا وأحدًا من أهم المعارك التي شهدتها المسلمون، إلا أنه كان مرتبطاً بعقده مع اليهود ومملوكاً منهم، ومثله يحتاج إلى إذن من مالكة ولم يكن المالك ليقبل ذلك بالطبع، وفي هذا تعليم لاحترام العقود.

ولكي يملك نفسه ويتحرر اقترح على مالكة اليهودي أن يكاتبه،^(١) وكما عرف عن اليهود من قسوة وطمع فإن سيده اليهودي قد وافق على ذلك مقابل ٣٠٠ نخلة نصفها أحمر ونصفها أصفر. ومعنى ذلك في الواقع تعجيزه عن الوفاء بهذا الثمن! فقال له سلمان: اشتريتني بدراهم قليلة فلماذا هذا العدد الكبير (والمعجز) من النخل؟! فلم يقبل اليهودي إلا بهذا الشرط!

وحين جاء سلمان إلى رسول الله ﷺ حزيناً وأخبره بذلك، قام الرسول ﷺ بمساعدته بأن قال له إذا حصلت على فسيلة النخل فلا تشقها بل أنا سوف أشقها -لعله قريبٌ إلى ما يسمى اليوم استنساخاً- وبالفعل قام الرسول ﷺ وشق هذه الفسائل ثم غرسها في الأرض، وبعد سنتين صارت ٣٠٠ نخلة نصفها أحمر والنصف الآخر أصفر، ببركة الرسول ﷺ فأعطاها إياه ثم تحرر سلمان.

سلمان مع المسلمين

١. أول معركة التحق بها سلمان هي معركة الأحزاب (الخنديق) وقد أشار^(٢) إلى

(١) الكتابة: أي أن العبد يشتري نفسه من سيده بمبلغ معين ليتحرر من العبودية

(٢) في موضوع مشاورة النبي للمسلمين مع كون النبي أكمل الخلق عقلاً وأصوبهم رأياً، حقائق وإشارات بينهاها في موضع آخر.



النبي ﷺ بحفر الخندق. قال تعالى وهو يصف حال المسلمين: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾^(١).

هنا سلمان قال يا رسول الله: إنا كنا في فارس إذا ألمَّ بنا عدوُّ كنا نخندق حولنا لكي نمنع الخيل والمقاتلين. فاستحسن الرسول ﷺ الفكرة وقد عمل الرسول ﷺ والصحابة فيها وانتصر المسلمون، وشارك سلمان في بقية الغزوات.

هذا المجد وغيره مما قام به سلمان رضوان الله عليه، جعل المسلمين يتنازعون فيه، فلأنه جاء من بلاد أخرى مهاجرًا ولم تكن المدينة وطنًا له فقد قال المهاجرون: سلمان منا! وباعتبار أنه كان في المدينة فترة غير قصيرة وإن كان عند اليهود فكأنما صارت وطنًا له، لذلك قال الأنصار أهل المدينة: سلمان منا!

وحين حصل ذلك ورفع الأمر للنبي ﷺ قال: سلمان منا أهل البيت.^(٢)

٢. في المؤاخاة، أخى الرسول بين سلمان وأبي ذر الغفاري^(٣) وشرط على أبي ذر أن يسمع كلام سلمان كما في الروايات، لأن سلمان (لديه علم الأول والآخر)، وكان محيطاً بالعلوم ما لا يحتمله إلا أصحاب العقول الكبيرة إلى درجة أنه (لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله) كما تقول الروايات.

بعد وفاة الرسول ﷺ كان ملازمًا لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقيل له: كنت مقرباً من الرسول ﷺ وأنت أكبر سنًا من علي، فلماذا تبالغ في احترامه؟ فقال سلمان: لأنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أحبني فليحجب علي بن أبي طالب.

(١) سورة الأحزاب آية ١٠

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤ / ٨٣

(٣) هناك قول آخر وهو أن المؤاخاة كانت بينه وبين أبي الدرداء.

وكان أمير المؤمنين عليّ ﷺ يقرب سلمان ويختصه ويقول فيه مشيراً إلى فضله: أدرك علم الأول وعلم الآخر، بحر لا يدرك قعره، وهو منا أهل البيت،^(١) وما كان ذلك من علاقة شخصية فقط بل كان عملاً بوصية رسول الله ﷺ لعلي، حيث قال: سلمان منا أهل البيت، وهو ناصح فاتخذة لنفسك.^(٢)

ولكم خاطبه رسول الله ﷺ أمام أصحابه مبيناً فضله، ومشيراً إلى سلامة خطه حتى يتبع من بعده إذا تفرقت الخطوط واختلف الأصحاب: يا سلمان، أنت منا أهل البيت، وقد آتاك الله العلم الأول والآخر، والكتاب الأول والكتاب الآخر.^(٣)

ولإلصاقه بأهل البيت ﷺ وبرسول الله ﷺ نسباً ومنهجاً فقد جعل (منا أهل البيت) وصار (المحمدي) بدلا من الفارسي، واستمر هذا التوجيه إلى ما بعد وفاته رمزاً لشدة ارتباطه بالمنهج المحمدي والخط العلوي، فعن الحسن بن صهيب عن أبي جعفر الباقر ﷺ: ذكر عنده سلمان الفارسي فقال أبو جعفر ﷺ: مه! لا تقولوا سلمان الفارسي، ولكن قولوا سلمان المحمدي، ذلك رجل منا أهل البيت!

٣. في مقابل هذا التكريم والإعظام له فإنه لم تخل حياة سلمان من مضايقات وانتقاص منه لجهة كونه غير عربي في مكان كانت القبيلة والانتساب هو الشرف الأكبر قبل أن يقلب الإسلام هذه المعادلة ليقول ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٤).

فقد روي عن أبي جعفر الباقر ﷺ أنه قال: جلس عدّة من أصحاب رسول الله ﷺ ينتسبون، وفيهم سلمان الفارسي، وإنّ عمر سأله عن نسبه وأصله؟

(١) الريشهري؛ محمد: أهل البيت في الكتاب والسنة/ ٥٤٣

(٢) نفس المصدر ٥٤٢

(٣) نفس المصدر والصفحة

(٤) سورة الحجرات، الآية ٩



فقال: أنا سلمان بن عبد الله، كنت ضالاً فهداني الله بمحمد ﷺ، وكنت عائلاً فأغناني الله بمحمد ﷺ، وكنت مملوكاً فأعتقني الله بمحمد ﷺ، وهذا حسبي ونسبي. ثم خرج رسول الله ﷺ فحدثه سلمان وشكا إليه ما لقي من القوم وما قال لهم، فقال النبي ﷺ: يا معشر قريش! إنَّ حسب الرجل دينه ومروته، وأصله عقله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ يا سلمان! ليس لأحد من هؤلاء عليك فضل إلا بتقوى الله، وإن كان التقوى لك عليهم فأنت أفضل.

بل لقد نقل أنه خطب سلمان إلى أحد أصحاب النبي، فردّه؛ ثم ندم فعاد إليه، فقال: إنّما أردت أن أعلم ذهب حمية الجاهلية من قبلك أم هي كما هي؟

ويروى عن أمير المؤمنين ﷺ حادثة، تتجاوز في عنصرية القائم بها الشعور الداخلي وكلام الافتخار إلى حد التنحية والتحقير، فعنه ﷺ:.. ولقد حضرت النبي ﷺ وسلمان بين يديه، فدخل أعرابي، فنحاه عن مكانه وجلس فيه، فغضب النبي ﷺ حتى درّ العرق بين عينيه واحمرّت عيناه؛ ثم قال: يا أعرابي! أتتحي رجلاً يحبه الله تعالى في السماء ويحبه رسوله في الأرض؟

يا أعرابي! أتتحي رجلاً ما حضرني جبرئيل إلا أمرني عن ربي تعالى أن أقرأه السلام.

يا أعرابي! إنّ سلمان مني، من جفاه فقد جفاني، ومن آذاه فقد آذاني، ومن باعده فقد باعدني، ومن قرّبه فقد قرّبني. يا أعرابي! لا تغلظن في سلمان فإنّ الله تعالى قد أمرني أن أطلععه على علم المنايا والبلايا والأنساب، وفصل الخطاب. فقال الأعرابي: ما ظننت أن يبلغ من فعل سلمان ما ذكرت! أليس كان مجوسياً ثم أسلم؟ فقال النبي ﷺ: يا أعرابي! أخاطبك عن ربي وتقاولني: إنّ سلمان كان مجوسياً! ما

كان مجوسياً، ولكنه كان مظهرًا للشرك مضمراً للإيمان. يا أعرابي! أما سمعت عز وجل يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾؟^(١)

موقف سلمان من الخلافة الرسمية

كان من الطبيعي أن يقف سلمان المحمدي إلى جانب حق علي بن أبي طالب وأن يعارض الخليفة الأول، فإن من علم علم الأول والآخر، لا ريب سيصل إليه الكثير مما هو في أمير المؤمنين ﷺ من صفات وميزات وتقدم. وسيأتي أنه قد حدث ببعضها ونقلت عنه كما سيأتي في الصفحات القادمة.

ولأجل أنه عارض الخلافة وناصر حق علي ﷺ فقد أغفلت كتب التاريخ ومصادر مدرسة الخلفاء أي ذكر لسلمان بعد النبي ﷺ وكأنه قد مسح ملفه بالكامل فلا ذكر له، ولا حديث عنه، ولا بيان لموقف من مواقفه وكأن الزمان قد نسيه في تلك البرهة.. وهم معذورون في ذلك! فماذا يقولون؟ لو نقلوا الحقائق لخرّ عليهم السقف! ولو نقلوا خلافها لبان كذبها.. فالطريق الأسلم لهم أن يتركوا ذكره بالكامل!

لقد كان سلمان المحمدي من جملة الصحابة المعترضين على الخليفة الأول تبوأه هذا الموقع مع وجود من هو أحق بالأمر منه وهو (الوصي)، فإن الروايات تنقل أن اثني عشر منهم حضروا المسجد وكان الخليفة يخطب فاعترضوا عليه وخاطبوه بالتتابع، وكان منهم سلمان المحمدي، حيث قال كما عن الاحتجاج^(٢):
يا أبا بكر إلى من تسند أمرك إذا نزل بك ما لا تعرفه؟ وإلى من تفرع إذا سئلت عما لا

(١) التستري؛ الشيخ محمد تقي: قاموس الرجال ١٩٩/٥

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي: الاحتجاج ١/١٠٩



تعلمه؟ وما عذرك في تقدمك على من هو أعلم منك وأقرب إلى رسول الله وأعلم بتأويل كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ومن قدمه النبي ﷺ في حياته وأوصاكم به عند وفاته؟ فبنذتم قوله وتناسيتم وصيته وأخلفتم الوعد ونقضتم العهد وحللتهم العقد الذي كان عقده عليكم من النفوذ تحت راية أسامة بن زيد حذرًا من مثل ما أتيتموه وتنبهًا للأمة على عظيم ما اجترتموه ومن مخالفة أمره، فعن قليل يصفو لك الأمر وقد أثقلت الوزر ونقلت إلى قبرك وحملت معك ما كسبت يداك، فلو راجعت الحق من قريب وتلافيت نفسك وتبت إلى الله من عظيم ما اجترمت كان ذلك أقرب إلى نجاتك يوم تفرد في حفرتك ويسلمك ذوو نصرتك، فقد سمعت كما سمعنا ورأيت كما رأينا، فلم يردعك ذلك عما أنت متشبث به من هذا الأمر الذي لا عذر لك في تقلده ولا حظًا للدين ولا المسلمين في قيامك به، فالله الله في نفسك، فقد أعذر من أنذر ولا تكن كمن أدبر واستكبر.

وقد نقلت المصادر الشيعية وغيرها أن سلمان قد قال في هذا الموقع باللغة الفارسية: كرديد ونكريد وندانيد چه كرديد ومن الواضح أنها بقرينة ما ذكره من الاعتراض على الخليفة أنها في نفس السياق المعارض وإن حاول بعض كابن أبي الحديد توجيهها على خلاف هذا، وقد ذكر صاحب الأعيان ما يلي: «وقد ذكر أهل الأخبار أنه لما كان يوم السقيفة قال سلمان بالفارسية كرديد ونكريد وندانيد چكريد قال ابن أبي الحديد في شرح النهج في الجزء الرابع الصفحة ٢٢٥ ما يذكره المحدثون من قوله للمسلمين يوم السقيفة كرديد ونكريد محمول عند أصحابنا على أن المراد صنعتم شيئاً وما صنعتم، أي استخلفتم خليفة ونعم ما فعلتم إلا أنكم عدلتم عن أهل البيت فلو كان الخليفة منهم كان أولى، والامامية تقول معناه أسلمتم وما أسلمتم واللفظة المذكورة في الفارسية لا تعطي هذا المعنى وإنما تدل على الفعل والعمل لا غير. ويدل على صحة قول أصحابنا أن سلمان

عمل لعمر على المدائن فلو كان ما تنسبه الامامية إليه حقاً لم يعمل اه أقول كرديد معناه في الفارسية فعلتم، ونكرديد معناه وما فعلتم، ولكن ما هو الذي فعلوه وما فعلوه مقتضى كون سلمان من الشيعة المخلصين وكون هذا الخطاب لمن يراهم آخروا علياً عن مقامه ودفعوه عن حقه أن يكون المراد أسلمتم وما أسلمتم، أسلمتم بإظهار الشهادتين والعمل بما هو من شرط الإسلام. وما أسلمتم بترك ما أمرتم به في حق علي ﷺ يوم الغدير وغيره، وزاد ذلك وضوحاً قوله وندانيد جكرديد أي وما علمتم ما فعلتم الذي هو ظاهر في التوبيخ لهم عرفاً على ما فعلوا كمن يفعل ما لا يستحسن، فنقول له: ما علمت ماذا صنعت؟ وابن أبي الحديد لم ينقل هذه الجملة الأخيرة أصلاً..»^(١)

بالرغم من هذا فإنَّ سلمان قد اتخذ موقف الإمام علي ﷺ وهو ما عبر عنه فيما بعد بقوله: «والله لأسالمنَّ ما سلمت أمور المسلمين»، وكان هذا الموقف موقف النفس الكبيرة المتعالية على الصراعات لصالح بقاء الدين وعزة الإسلام، وفهم منه أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا مع الإمام علي ﷺ أنه لا ينوي التصعيد مع الخط القرشي، ولا الدخول في حرب أهلية لا تبقي ولا تذر للإسلام شيئاً. وانفتح بذلك خط في اتجاهين، من الخلافة نحو أصحاب عليٍّ وشيعته بأن استعانت بهم في بعض الولايات وقيادة الجيوش والافتاء، والاتجاه الآخر من أصحاب عليٍّ وشيعته بترك المقاطعة والاقبال على التعاون قدر الإمكان، فشهدنا مشاركة هؤلاء

(١) الأمين، السيد محسن: أعيان الشيعة ٧/ ٢٨٥ وقد فسرها الفضل بن شاذان كما في الإيضاح / ٥٦٢ بقوله: عن ابن عمر أنه قال: لما بايع الناس أبا بكر: سمعت سلمان الفارسي -رضي الله عنه- يقول: كرديد ونكرديد أما والله لقد فعلتم فعلة «أطمعتم فيها الطلقاء ولعناء رسول الله ﷺ قال ابن عمر: فلما سمعت سلمان يقول ذلك أبغضته وقلت: لم يقل هذا إلا بغضا «منه لأبي بكر.. وأثبتها البلاذري في أنساب الأشراف ١/ ٥٩١ بتغيير في اللفظ فقال، «قال سلمان الفارسي حين بويع أبو بكر: «كرداد وناكرداد»، أي عملتكم وما عملتكم، لو بايعوا علياً لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم.



في قيادة الجيوش و(فتح) البلدان وإدارة بعضها الآخر.

وضمن هذا الإطار شارك سلمان في بعض فتوحات فارس، وقد استفادوا منه في الترجمة فكان يذهب لبعض الحصون كحصن (بلنجر) ويكلمهم بلغتهم فاستجاب له البعض. وهذا ما نقله - في وقت متأخر - زهير بن القين البجلي فإنه بعد أن دعاه الإمام الحسين عليه السلام إلى نصرته في طريقه إلى كربلاء أنه قال لأصحابه: «.. كنا قد غزونا بلنجر ومعنا سلمان^(١) فلما رأنا ورأى فرحنا بالغنائم، فقال لنا: «كونوا إذا رأيتم سبط رسول الله وأدرتكموه في أرض نينوى وقُتِلتم بين يديه أشد فرحاً من فرحكم بهذه الغنائم»، ونلاحظ أن هذا الكلام قد أثار في زهير لكن بعد فترة طويلة، فلهذا نقول لكل مؤمن: قُل الحق! وحرّض على الخير، وازرع المعروف بالكلمة الطيبة والفعل الحسن، لعله يعطي ثماره في يوم من الأيام كما حدث لزهير.

سلمان والياً على المدائن

كان موقع سلمان المحمدي بين الصحابة مهما جداً و متميزاً، ولقد بينت الأحاديث التي ذكرناها آنفاً، جانباً من هذا الموقع، وهذا ما جعل مؤسسة الخلافة الرسمية تتطلع إلى استقطابه،^(٢) فانتخبه الخليفة الثاني والياً على المدائن وهي منطقة واسعة ومهمة من الناحية الجغرافية والاستراتيجية، ولعل قربها من الدولة الفارسية وكونها بوابة العرب على تلك الدولة كانت تقتضي وجود شخص عارف

(١) البعض ذكر أنه الباهلي دون الفارسي، وقد ذكرنا في كتابنا: أنا الحسين بن علي؛ أن الصحيح هو سلمان المحمدي (الفارسي).

(٢) قد بينا في كتابنا أعلام من الأسرة النبوية عند الحديث عن عبد الله بن عباس الأسباب التي جعلت الخليفة عمر يستعين بغير واحد من أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام في قيادة الجيوش والتولي على المناطق والافتاء، بل حتى الأخذ بأحكام الإمام عليه السلام في القضاء فيما عرف عن الخليفة قوله: لولا علي لهلك عمر..

باللغة والثقافة الفارسية بالإضافة إلى نزاهته الدينية وكفاءته الادارية.

وعندما تم تعيينه واستخبر الناس أن واليهم الجديد مقبل إليهم، خرجوا في صورة احتفالية لاستقباله كما هو المعهود في هذه الحالات، وانتظروا أن يأتي (موكب) الوالي، وإذا بهم يرون رجلاً يركب ظهر حمار وعليه ملابس متواضعة قد أقبل! فجاؤوا يسألونه إن كان قد رأى الوالي في طريقه أو لا؟ فأجابهم: إن كانوا يسألون عن الوالي فلا يعلم به وإن كانوا يسألون عن سلمان المحمدي فهو راكب الحمار ذاك!

وحين أرشده إلى قصر الامارة وهو الذي يقتتل بعض الناس للوصول إليه، ويريقون دماء الأبرياء من أجل السيطرة عليه! رفض سلمان أن يسكنه، وقال لهم إنه يبني بيته بنفسه، وكان سلمان معروفاً بالزهد. فبنى له بيتاً متواضعاً (لكي لا يتبيخ بالفقير فقره) كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام).

وبالرغم من أنه كان له راتب مقرر من بيت المال باعتباره الوالي، إلا أنه كان يعمل أيضاً في (سَفّ الخوص) ويبيعه ويأكل من ذلك، بينما يصرف على الفقراء والمحتاجين ما كان مقرراً له.

سلمان يتزوج في المدائن

يظهر من بعض الروايات التاريخية أن موضوع زواج سلمان كانت تكتنفه بعض الصعوبات الناتجة عن العقلية العربية الخاضعة لفكرة تفضيل العرب على الفرس والتي يظهر أن التعاليم الإسلامية التي رفضتها لم تؤثر أثرها الكامل في قسم من المسلمين لا سيما التيار القرشي، الذي كان يعطي للقبيلة اعتباراً فوق كل الاعتبارات وللعرب على سائر الناس كذلك! ولهذا فقد تم إعادة انتاج فكرة التفضيل هذه ضمن



الفقه الرسمي في مدرسة الخلفاء بعنوان «تكافؤ النسب» وصار أصلاً يعتمد عليه الفقهاء في مدرسة الخلفاء ويستدلون به وكأنه لا حاجة لأن يستدلوا عليه!

ولهذا بقي سلمان الذي ورد فيه ما ورد عن رسول الله ﷺ مما سبق ذكره، بقي فارسياً لا يزوج ولا يكافئ العربيّ مهما علت منزلته عند الله وعظم شأنه عند رسول الله ﷺ. وتنقل الروايات - من مصادر الامامية أو مصادر مدرسة الخلفاء - أن سلمان خطب امرأة فرّدت، تارة مع إغفال الراد والمخطوبة، وأخرى مع ذكرها. وسواء تعددت الحادثة كما ليس ببعيد أو اتحدت فهي تشير إلى هذا المعنى الذي ذكرناه.

ففي بعض هذه الروايات أنه خطب قرشية فرّدت فلما تراجع المخطوب منه لم يقدم سلمان، وقال إنه إنما أراد ان يمتحن الرجل في تخليه عن أفكاره قبل الإسلام، وفي بعضها الآخر أن أبا الدرداء ذهب إلى أسرة وخطب له امرأة منها وأخذ يذكر أوصافه ومناقبه فرفضوا ذلك، وقالوا: إن أردت أنت زوجناك دونه! وفي غيرها بغير هذه الصياغة ويذكر ابن الصلاح في كتابه هذه الرواية قائلاً: وروي أن سلمان الفارسي خطب إلى عمر بن الخطاب ابنته فأنعم له عمر فكره ذلك عبد الله بن عمر، فلقي عمرو بن العاص فأخبره بذلك، فقال أنا أكفيك هذا فلقي سلمان فقال له عمرو: هنيئاً لك! فقال بماذا؟ فقال: تواضع لك أمير المؤمنين، فقال سلمان: ألمثلي يتواضع؟ والله لا تزوجتها أبداً.^(١)

وأخيراً تزوج سلمان امرأة من كندة، فلما كان ليلة البناء عليها، جلس عندها فمسح بناصيتها ودعا لها بالبركة، وقال لها: أتطيعيني فيما أمرك؟ قالت: جلستُ مجلس المطيع، فقال: فإن خليلي ﷺ أو صاني إذا اجتمعت إلى أهلي، أن اجتمع على طاعة الله ﷻ فقام وقامت إلى المسجد فصلياً ما بدا لهما، ثم خرجا إلى منزلهما

(١) (ابن الصلاح؛ شرح مشكل الوسيط ٣/ ٥٧٨)

ففضى منها ما يقضي الرجال من النساء، فلما أصبح غدا عليه أصحابه وقالوا: كيف وجدت أهلك؟ فأعرض عنهم، ثم قال: إنما جعل الله الستور والخدور والأبواب لتواري ما فيها، حسب امرئ منكم أن يسأل عما ظهر له، فأما ما غاب عنه فلا يسألن عن ذلك، فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «التحدث عن ذلك كالحمارين يتشامان في الطريق».^(١)

وفي هذا تعليم أخلاقي عالٍ؛ فإن بعض الناس يريدون أن يظهرُوا أمام الآخرين بالفحولة أو السيطرة أو ما أشبه ذلك، مما يكشف عن نقص فيه فيتظاهر أمام الآخرين بمثل هذه الأمور، وهذا بالإضافة إلى أنه معيبٌ أخلاقياً قد لا يخلو من إشكالٍ شرعيٍّ إذا انتهى إلى أذية الزوجة بخروج أمورها الخاصة بين أصدقاء زوجها! وهو خلاف الأمانة، والتشبيه فيه من النبي ﷺ بأن من يفعل ذلك هو كالحمار الذي لا محذور لديه في أن يبدأ في مقدمات النزول على أنثاه الأتان على قارعة الطريق! غاية الأمر هذه صورة واقعية وما يفعله ذلك الرجل من الوصف صورة وصفية!

بعد عمر حافل بالفضيلة من البحث الجاد عن الحقيقة والإله الواحد والدين القويم، ثم الانسجام مع تعاليمها والذوبان فيها، وأخيراً الاستمرار على منهاج الولاية والحديث عن الولي الحق، والالتزام بمخططه، قضى سلمان المحمدي نحبه راضياً مرضياً في سنة ٣٥ للهجرة على أقرب الأقوال، ودفن في المدائن لتأخذ أحد أسمائه فيما بعد عند الناس ويكون أحد أسماء المدينة (سلمان باك) أي سلمان الطاهر.

نعم احتمال بعض الباحثين أن يكون زمان موته في آخر أيام عمر، وعلل ذلك بأنه لعدم ذكر منه في أيام عثمان ولا في يوم الشورى. ولو كان ذلك اليوم حياً لكان

(١) النوري؛ ميرزا حسين: نفس الرحمن في فضائل سلمان / ٥٥٩



حتما له مقال، كالمقداد وأبي ذرّ وعمّار، ولم يكن ذلك اليوم يوم تقيّة كيوم عمر، ولذا كان له محاجّات ذلك اليوم كيوم السقيفة..

ونقل عنه أحاديث ترتبط بأمر المؤمنين وأهل البيت ﷺ، ولما كانت لا تنقل في مصادر مدرسة الخلفاء فإننا نشير إلى بعضها:

١. النص على أن الأئمة اثنا عشر، وأن المهدي هو التاسع من صلب الحسين، وقلّ من صحابة النبي ﷺ من يعرف هذه المعارف الاعتقادية أو يصرح بها:

عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: الأئمة بعدي اثنا عشر بعدد نساء بني إسرائيل وكانوا اثني عشر، ثم وضع يده على صلب الحسين وقال: تسعة من صلبه والتاسع مهديهم، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، فالويل لمبغضهم.^(١)

٢. رواية النص على الأئمة الاثني عشر بأسمائهم: في جواب علي سؤاله النبي ﷺ عن معنى التمسك بالنجوم الزاهرة ومن هم؟ قال النبي:

«وأما النجوم الزاهرة فهم الأئمة التسعة من صلب الحسين والتاسع مهديهم، ثم قال ﷺ: إنهم هم الأوصياء والخلفاء بعدي أئمة أبرارٌ عدد أسباط يعقوب وحواريي عيسى، قلت: فسمهم لي يا رسول الله! قال: أولهم وسيدهم علي بن أبي طالب وسبطاه، وبعدهما علي زين العابدين وبعده محمد بن علي باقر علم النبيين، والصادق جعفر بن محمد وابنه الكاظم سمّي موسى بن عمران، والذي يقتل بأرض الغربة عليّ اسم ابنه محمّد، والصادقان علي والحسن، والحجة القائم المنتظر في غيبته، فإنهم عترتي من لحمي ودمي، علمهم علمي، وحكمهم حكمي، من آذاني فيهم فلا أناله الله شفاعتي». ^(٢)

(١) العاملي، محمد بن الحسن الحر: إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات ٢/ ١٥٦.

(٢) نفس المصدر ٢/ ١٥٥.

٣. النبي وعليّ ﷺ من نور واحد:

عن سلمان عن النبي ﷺ قال: كنت أنا وعليّ نورًا بين يدي الله إلى أن قال: فلم نزل في شيءٍ واحدٍ حتى افترقنا في صلب عبد المطلب، ففي النبوة وفي عليّ الخلافة. (١)

٤. عليّ وصي النبي ﷺ:

قُلْنَا لِسَلْمَانَ: سَلِ النَّبِيَّ ﷺ مَنْ وَصِيَّهُ، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ وَصِيُّكَ؟ قَالَ: «يَا سَلْمَانُ، مَنْ كَانَ وَصِيَّ مُوسَى؟» قَالَ: يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، قَالَ: «فَإِنَّ وَصِيَّيَّ وَوَارِثِي يَقْضِي دِينِي، وَيُنْجِزُ مَوْعُودِي: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ» (٢)

٥. عطاء الله لشيعته عليّ ومحبيه:

عن سلمان الفارسي رضوان الله عليه: كنت ذات يوم جالسًا عند رسول الله ﷺ، إذ أقبل عليّ بن أبي طالب ﷺ فقال له: يا عليّ، ألا أبشرك؟ قال: بلى يا رسول الله قال: هذا حبيبي جبرئيل يخبرني عن الله جل جلاله أنه قد أعطى محبيك وشيعتك سبع خصال: الرفق عند الموت، والأنس عند الوحشة، والنور عند الظلمة، والأمن عند الفزع، والقسط عند الميزان والجواز على الصراط، ودخول الجنة قبل سائر الناس من الأمم بثمانين عامًا. (٣)

(١) نفس المصدر ٣ / ٢٣٤

(٢) ابن حنبل؛ أحمد: فضائل الصحابة ٢ / ٦١٥

(٣) الصدوق، محمد بن علي بن بابويه: الأمالي ٤١٦



خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ

من خطبة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق أين عمار وأين ابن التيهان، وأين ذو الشهادتين وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية، وأُبردَ برؤوسهم إلى الفجرة).^(١)

تتناول هذه الصفحات جوانب من سيرة صحابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الذين استقاموا على منهاج النبوة، وولايتهم لعلي عليه السلام ذلك الرجل هو خزيمه بن ثابت بن الفاكه الخطمي الأنصاري المدني رضوان الله عليه المعروف بذي الشهادتين.

بداياته كانت ابراهيمية الطابع، فقد كان مع صاحب له يذهبان إلى أصنام قبيلتهم بني خطمة ويحطمونها! وكان هذا قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة. حتى إذا جاء النبي أعطاه لقباً لم يعطه غيره وهو أنه ذو الشهادتين لتكون فيصلاً في الشبهات حين يحتاج إليها لا في ثمن فرس أو جمل، وإنما في الاستشهاد على الخط المحمدي الصحيح والوصاية النبوية لأمر المؤمنين علي عليه السلام.

ومع أنه شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حروبه وغزواته؛ أهدأ وخيراً، والخندق، وفتح

مكة وكان صاحب راية قومه بني خزيمة، بل ومؤتة، وأبلى في كل واحدة بلاء حسناً، إلا أن شهرته والحديث عنه إنما يكون ضمن قصة هبة رسول الله إياه شهادتين في حادثة فريدة لم تتكرر في زمان رسول الله ﷺ ولا بعده، ليعلي النبي منزلة تصديقه المطلق الجازم حتى لا يتساءل بعضهم ببلاهة عندما يسمع النبي يبلغ عن ربه (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتُهُ) ^(١) فيتساءل هذا أو ذلك: أهذا من عندك أو من عند ربك!! أو يتردد بعضهم بمكرٍ إلى الحد الذي يرى إنه ليهجر!

خزيمة بن ثابت في رحاب رسول الله يستهدي بهداه، ويستضيء بنور علمه ويزداد في كل يوم بصيرة بمنزلة النبي المصطفى ﷺ فيعرف أن هذا الذي أخذ على الأنبياء والمرسلين السابقين من آدم ونوح وإبراهيم إلى موسى وعيسى مروراً بالآلاف الرسل والأوصياء، ميثاق تصديقه والإيمان به وإلا لما صاروا بمنزلة من الله ﷻ. يزداد معرفة بأنه هذا النبي الذي يخاطبه الله تعالى في القرآن بما لم يخاطب به عبداً من عباده، هو منتهى الكمال البشري، فلا يصير أحد إليه ولا يصل أحد إلى منزلته، وهو في أعلى درجات العصمة عن كل نقص وعجز إنساني، هو معصوم عن الذنب بل عن الخطأ والسهو أيضاً، سواء كان في تبليغه الرسالة أو حياته العادية.

وبهذا الفهم المباشر والفطري فقد اختصر خزيمة المسافات التي تاه فيها حتى بعض من تأخر من (العلماء) الذين يفترض فيهم أنهم وقد نضجت الاستدلالات وتعمقت الأبحاث أن تكون الحقائق أقرب إليهم، وأن تكون معرفتهم بنبيهم أعمق! إلا أننا وجدنا أن بعضهم ولا سيما غير المتممين لمدرسة أهل البيت ﷺ لا يعتقدون بعصمة النبي ﷺ في غير التبليغ، ^(٢) فهو في تبليغ الآيات والأحكام كما

(١) سورة المائدة، الآية ٦٧

(٢) الصنعاني؛ عبد الرزاق: تفسير عبد الرزاق ٣/ ٤١٨ عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ قَالَ: «كَانَ اللَّهُ يُنَبِّئُ نَبِيَّهُ مَا يَشَاءُ!»! وفي مدونة مالك بن أنس ١/ ١٩٦.. عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ



يقولون معصوم عن الخطأ وأما في سائر شؤونه العادية والحياتية فلا يمتنع عليه الخطأ والسهو والنسيان.

ويعتمد الامامية على ما جاء من آيات وروايات في إثبات عصمة النبي ﷺ فإنها تدل بإطلاقها على عدم حصول الخطأ منه عمدًا وسهواً ونسياناً. بالإضافة إلى أنه لو تم الالتزام بخطئه وسهوه ونسيانه فإنه يلزم من ذلك سقوط السنة الفعلية والتقريرية عن حجيتها! إذ أنه لا يجتمع الاقتداء به في أفعاله - كسنة فعلية - مع احتمال أن يكون ناسياً أو ساهياً أو خاطئاً، وكان ينبغي أن يُسأل في كل عمل يقوم به: هل أنت جادٌ وذاكرٌ في هذا العمل أو أنك ناسٍ أو ساهٍ؟ وحيث لا يتميز الأمر في أفعاله ينتهي هذا إلى سقوط السنة الفعلية النبوية. فإذا ركب الناقه وطاف عليها وجعل الكعبة على يساره لا نستطيع بناءً على هذا أن نقتدي به على وجه الالتزام فلعله كان ساهياً أو ناسياً في ذلك!

بن عوفٍ ﴿أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى بِالنَّاسِ يَوْمَ الصُّبْحِ فَقَرَأَ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان ١] فَأَسْقَطَ آيَةً، فَلَمَّا قَرَعَ قَالَ: أَفِي الْمَسْجِدِ أَبِي بَنُ كَعْبٍ قَالَ: نَعَمْ، هَا أَنَا ذَا يَارَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَفْتَحَ عَلَيَّ حِينَ اسْقَطْتَ؟ قَالَ: خَشِيتُ أَنَّهَا نُسِخَتْ، قَالَ: فَإِنَّا لَمْ نُنْسَخْ».

وفي مصنف ابن أبي شيبة ٣٨٣/١.. صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةً فَرَادًا أَوْ نَقْصًا، فَلَمَّا سَلَّمَ وَأَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ بِوَجْهِهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدَّثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ قَالَ: «وَمَا ذَاكَ» قَالُوا: صَلَّيْتُ كَذَا وَكَذَا، فَتَنَى رِجْلَهُ، فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَوْ حَدَّثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ أَنبَأْتُكُمْ بِهِ، وَلَكِنِّي بَشَّرْتُ أَنْسَى كَمَا تَنْسُونَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي، فَإِذَا سَهَا أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ، فَلْيَتِمَّ عَلَيْهِ فَإِذَا سَلَّمَ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ!»

وقصة من سمي بذئ اليمين أو ذئ الشمالين مشهورة في كتب القوم! وهي وإن كانت موجودة في بعض مروياتنا إلا أن علماءنا ردوها بأدلة نقلية ثابتة بل وبأدلة عقلية.

ذو الشهادتين

هذه الحادثة التي جرت والتي عرف بها خزيمة بذو الشهادتين ترتبط بموضوع عصمة النبي ﷺ وقد ذُكرت في مصادر الإمامية ومدرسة الخلفاء: وهي أن رسول الله ﷺ اشترى فرساً من أعرابي، فحسد بعض المنافقين رسول الله ﷺ في شرائه، فقالوا للأعرابي: لو تبلغت به إلى السوق بعته بأضعاف هذا فدخل الأعرابي الشره والطمع، فقال: ألا أرجع فأستقيل؟ فقالوا: لا، ولكنه رجل صالح فإذا جاء بنقدك فقل ما بعته بهذا، فإنه سيرده عليك. فلما جاء النبي ﷺ أخرج إليه النقد فقال: ما بعته بهذا، فقال النبي ﷺ: والذي بعثني بالحق لقد بعثني بهذا. وعندما أنكر الأعرابي ذلك وقال: أبغني شاهداً، قام خزيمة بن ثابت فقال: يا أعرابي أشهد لقد بعث رسول الله ﷺ بهذا الثمن، فقال الأعرابي: لقد بعته وما معنا من أحد، فقال رسول الله ﷺ لخزيمة: كيف شهدت بهذا؟ فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي تخبرنا عن الله وأخبار السماوات فنصدقك، ولا نصدقك في ثمن هذا؟ فجعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين فهو ذو الشهادتين^(١).

ذو الشهادتين والاعتراض على بيعة السقيفة

إننا نعتقد أن جعل النبي ﷺ شهادة خزيمة بن ثابت شهادتين لم يكن الغرض الأقصى منها تملك فرس من الأعرابي مهما كانت قيمة ذلك الفرس! وإنما هي تنسجم تماماً مع الفكرة عما كان يذكره النبي ﷺ لبعض أصحابه من فضائل ومناقب، وهي أن هذه المناقب والفضائل يقصد منها الدلالة على الخط الصحيح والمسار

(١) ابن سعد، محمد: الطبقات الكبرى ط العلمية ٤/ ٢٧٩ والمفيد؛ محمد بن النعمان في الإختصاص



السليم في المستقبل. فمع كثرة أصحاب النبي ﷺ وتعدد اتجاهاتهم إلى حد التضاد والتضارب بل التقاتل فيما بعد لا بد أن ينصب النبي ﷺ علامات ارشادية توضح الطريق لمن يريد معرفة الحق و(لئلا يقول أحد لولا أرسلت إلينا رسولا هاديا فنتبع آياتك من قبل أن نذلل ونخزي)^(١) فكان أن ترك فيهم من الأحاديث و﴿الأنبياءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾^(٢) لمن أراد التعدي، والهداية لمن أراد التمسك، وأوضح ذلك حديث الغدير والولاية، وحديث الثقلين^(٣) العاصم عن الغواية.

فإذا تحدث النبي عن عمار وعن نهاية حياته شهيداً وقال (آخر شرابك ضياح من لبن وتقتلك الفئة الباغية) فلا يراد من ذلك بيان فوائد اللبن أو أنه آخر ما يشربه عمار، وإنما بيان الفئة الباغية التي تقاتل الفئة الهادية، فاعلموا أيها الناس أن من يقاتل علياً هو باغٍ! ومن يكون معه هو مهتدٍ.

فشهادة عمار ستكون فيصلاً بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وهذه الشهادة حاسمة لا مجال فيها للتأويل!

وإذا قال النبي ﷺ عن أبي ذر أنه: (ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر)^(٤) فذلك لا يراد منه أحاديثه العادية في البيع والشراء وإنما حين يعرض عليهم كلام الخليفة مقابل كلام أبي ذر، وخط الخلافة في مقابل خط الإمامة، وغير علي ﷺ في مقابله فيشهد أبو ذر في كل ذلك لصف أمير المؤمنين علي موالياً ومدافعاً وناطقاً!

وهكذا كانت شهادة خزيمه.. لا من أجل فرس ودراهم فقط! ولهذا نقل عن

(١) الحسن بن سعيد؛ السيد ابن طاووس: إقبال الأعمال / ١ / ٥٠٥

(٢) سورة القمر، الآية ٤

(٣) كلا الحديثين رواهما ذو الشهادتين وشهد عليهما.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ط العلمية ٤ / ١٧٢ وأمالى الشيخ الطوسي ص ٨٣

رسول الله ﷺ قوله أنه بعد ما شهد خزيمة قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ خُزَيْمَةٌ فَحَسْبُهُ»^(١).

كان خزيمة بن ثابت من السابقين إلى ولاية أمير المؤمنين علي ﷺ ومن جملة المعترضين على الخلافة في عهد الأهل، وتكلم بالإضافة إلى أحد عشر شخصاً من أجلة أصحاب رسول الله، في وجه الخليفة كما نقلته مصادر الامامية^(٢)، وأشرنا إليه في بعض المواضع، مروياً عن الإمام محمد بن علي الباقر، فإنه قام بين الناس وخطبهم قائلاً: أيها الناس أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قَبِلَ شهادتي ولم يُرد معي غيري؟ فاشهدوا أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أهل بيتي يفرقون بين الحق والباطل وهم الأئمة الذين يقتدى بهم)^(٣). فإذا ضمنا هذا الكلام والشهادة إلى ما نقلوه عن النبي من قوله «مَنْ شَهِدَ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ خُزَيْمَةٌ فَحَسْبُهُ»^(٤) وأن النبي جعل شهادته شهادتين.. فماذا يصنع خط مدرسة الخلفاء؟

ولكن جرت الأمور بما لا تهوى أنفس المخلصين فراحت أنفسهم تذوب حسرات بين حرمان الأمة ممن قالت عنه الزهراء «وتالله لو تكافوا عن زمام نبذه إليه رسول الله ﷺ لاعتلقه، ولسار إليهم سيراً سجحاً، لا يكلم خشاشه، ولا يتتبع راحبه، ولأوردهم منهلاً نميماً فضفاضاً يطفح صفتاه، ولأصدرهم بطاناً قد تحرى بهم الري، غير متحل منه بطائل، إلا بغمر الناهل، وردعة سورة الساعب، ولفتح

(١) الاصبهاني؛ أبو نعيم: معرفة الصحابة ٢/ ٩١٣.

(٢) سيأتي أن من جملة ما صنعه خط مدرسة الخلفاء في تعويم وصف ذي الشهادتين هو أنهم أغفلوا ذكر موقفه تماماً من الخليفة الأول واعتراضه عليه، وذلك لأنهم لو أثبتوه مع ما جاء في حق خزيمة سيقعون في حرج كبير!

(٣) الأمين، السيد محسن: أعيان الشيعة ٦/ ٣١٨

(٤) مسند ابن أبي شيبة ١/ ٣٧



عليهم بركات من السماء الأرض»^(١) وبين عدم قدرتهم على الانتصاف له والانتصار لحقه حفاظاً على وحدة المسلمين وبقاء الإسلام سليماً من ترصب أعدائه، وقد عبر حذيفة عن هذا بما نسب إليه من الشعر:

ما كنت أحسب هذا الأمر منصرفاً من هاشم ثم منها عن أبي حسن
أليس أول من صلى لقبلتهم وأعلم الناس بالفرقان والسنن
من فيه ما فيهم لا يمترون وليس في القوم ما فيه من الحسن^(٢)

هذا الموقف الذي اتخذته خزيمة أعقبه كما كان متوقفاً الإبعاد الاجتماعي والسياسي والديني من جهة جهاز الخلافة بل حتى من المؤرخين والمحدثين فغابت عن كتب الحديث أحاديثه، كما غابت عن كتب السيرة والتاريخ أخباره، فلا تكاد تسمع بخبر عنه من بعد وفاة رسول الله ﷺ وموقفه أمام الخليفة أبي بكر، إلى زمان أمير المؤمنين عليّ ؑ وهي فترة تصل إلى نحو ربع قرن من الزمان! نعم تمت معاقبته قديماً وحديثاً وهذا ما حصل لنظرائه من أنصار علي أمير المؤمنين من أصحاب رسول الله. ولذلك نعتقد وكما قلنا سابقاً أن ادعاء علماء مدرسة الخلفاء أنهم يكرمون الصحابة ويوقرونهم لا يصح إلا فيمن انسجم من الصحابة مع الخلفاء الثلاثة الأول، وأما من خالفهم بنحو من الأنحاء فقد سلط عليه سيف الإلغاء والحذف وأعطى مكانه ومكانته لغيره ممن يوالي الخلفاء!

نعم بقي خزيمة يمارس حياته ويخدم الإسلام بما يستطيع، إلى زمان أمير المؤمنين ؑ حيث قرّت عينه برؤية الخلافة الظاهرية قد عادت إلى أبي الحسن

(١) الجوهري: السقيفة وفدك ١٢٠

(٢) الوافي بالوفيات، ج ١٣، الصفدي، ص ١٨٨ / وكذلك فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ٤ / ١٢٤ — السخاوي، شمس الدين هذه المصادر وغيرها من مصادر الإمامية ذكرتها ناسبة إياها إليه، وبعض المصادر نسبتها إلى العباس بن عتبة بن أبي لهب الهاشمي.

علي، وانتهى انصرافها عنه إلى أن أتى المسلمون إليه ينادون البيعة البيعة!
 فها هو أمير المؤمنين علي كلما قبض يده زهداً فيها بسطوها احتياجاً إليه.. وقام
 أصحاب النبي يعربون عن سعادتهم بهذا وبعد أن بايعه وقرت عينه بصعود أمير
 المؤمنين على منبر رسول الله فـ «لما بويع علي بن أبي طالب ﷺ على منبر رسول
 الله ﷺ قال خزيمة بن ثابت وهو واقف بين يدي المنبر (شعراً):

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا أبو حسن مما نخاف من الفتن
 وجدناه أولى الناس بالناس انه أطب قريش بالكتاب وبالسنن
 وان قريشاً ما تشق غباره إذا ما جرى يوماً على الضمر البدن
 وفيه الذي فيهم من الخير كله وما فيهم كل الذي فيه من حسن^(١)

وقام الخطباء من أنصاره يؤرخون تلك الساعة المباركة، فقام منهم ثابت بن
 قيس وقال: واللّه يا أمير المؤمنين لئن تقدموك في الولاية فما تقدموك في الدين،
 ولئن كانوا سبقوك إليها أمس لقد لحقتهم اليوم، وكنت لا يخفى موضعك، ولا
 تجهل مكانتك، يحتاجون إليك فيما لا يعلمون، وما احتجت إلى أحد مع علمك.

وقام خزيمة ذو الشهادتين مرة أخرى فقال: يا أمير المؤمنين ما أصبنا لأمرنا هذا
 غيرك، ولا كان المنقلب إلا إليك، ولو صدقنا أنفسنا فيك لأنت أقدم الناس إيماناً،
 وأعلم الناس باللّه، وأولى المؤمنين برسول اللّه، لك ما لهم وليس لهم ما لك..^(٢)

وكان ينبغي أن تكفيهم شهادة ذي الشهادتين لكن ها هو الخط القرشي الذي
 زواها عنه في أول الأمر يعلنها عليه حرباً في آخر الأمر بل حروباً!

(١) النيسابوري، الحاكم: المستدرک ٣/ ١١٥

(٢) يعقوبي؛ أحمد بن واضح: تاريخ يعقوبي ٢/ ١٧٩



فتحالف القرشيون الذين (نقموا من أبي الحسن شدة وطأته ونكاله وقعته وتنمره في ذات الله) على آبائهم وأجدادهم، وهم الذين يعملون بما اعتادوه في حياتهم من أنه:

وقد نبئت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وانضم إليهم من تغلبت المصلحة الشخصية عندهم والطموحات الدنيوية على قواعد الدين وآداب الإسلام، فلما (نهض بأمر القيادة نكثت طائفة)، وكان لا بد أن يدافع أهل الإيمان عن إيمانهم، وقيادتهم كما دافعوا عن رسول الله ﷺ، وانبعث خزيمة بن ثابت على رأس قبيلته بني خطمة، فها هو أحدهم يصفه ويصف مقدمه البصرة، قائداً لفرسان قبيلته مناصراً لأمر المؤمنين ﷺ فيقول: لما قدم عليّ ﷺ البصرة، دخل ممّا يلي الطفّ، فأتى الزاوية «فخرجت أنظر إليه، فورد موكب نحو ألف فارس يقدمهم فارس على فرس أشهب (إلى أن قال) ثم تلاهم فارس آخر عليه عمامة صفراء وثياب بيض متقلد سيفاً متنكب قوساً معه راية على فرس أشقر في نحو ألف فارس، فقلت: من هذا؟ فقيل: هذا خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين..»^(١).

وكان يقاتل مع قبيلته ضد أعداء أمير المؤمنين ﷺ وهو ينشد:

ليس بين الأنصار في جمجمة الحر ب وبين العداة إلا الطعان
وقراع الكمامة بالقضب البيض إذا ما يحطم المرآن
فادعها تستجب فليس من الخز رج والأوس يا علي جبان
يا وصي النبي قد أجلت الحر ب الأعادي وسارت الاطعان
واستقامت لك الأمور سوى الشام وفي الشام يظهر الإذعان

(١) المسعودي؛ علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر ٢/ ٣٥٩

حسبهم ما رأوا وحسبك منا هكذا نحن حيث كنا وكانوا^(١)

وحين تأخر محمد بن الحنفية ولم يستطع أن يتجاوز صفوف مقاتلي أعداء الإمام وقد احتفوا بالجمل والذي كان رمز المعركة، وكان لا بد من عقره أو طعنه، الأمر الذي لم يستطعه محمد بن الحنفية، فأخذ أمير المؤمنين ﷺ منه الراية، وقال له: أدركك عرق من أمك!^(٢)

وجاء ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت إلى علي ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين، لا تنكس اليوم رأس محمد، واردد إليه الراية، فدعا به، وردّ عليه الراية، وقال:

اطعنهم طعن أبيك تحمد لا خير في الحرب إذ لم توقد

بالمشرفي والقنا المسدد^(٣)

ومن هذا يعلم أن الإمام علياً ﷺ كان يجلب مقام خزيمة، ورأى أن رأيه سليم في هذه الجهة فرد الراية إليه.

في صفين في مواجهة الفئة الباغية

كما كان في الحرب ضد أصحاب الجمل نافذ البصيرة يقاتل الناكثين فقد كان حاله مع القاسطين الظالمين من أتباع معاوية أوضح، وهذا ما يشير إليه ما روي عن

(١) ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة: ج ١ / ١٦٩

(٢) نفس المصدر / ٢٦٧ دفع أمير المؤمنين ﷺ يوم الجمل رايته إلى محمد ابنه ﷺ، وقد استوت الصفوف، وقال له: احمل، فتوقف قليلا، فقال له: احمل، فقال: يا أمير المؤمنين، أما ترى السهام كأنها شأبيب المطر! فدفع في صدره، فقال: أدركك عرق من أمك، ثم أخذ الراية فهزها، ثم قال:

أطعن بها طعن أبيك تحمد لا خير في الحرب إذا لم توقد

(٣) المسعودي؛ علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر ٢ / ٣٦٧



ابن أبي ليلى فقد قال: كنت بصفين فرأيت رجلاً أبيض اللحية معتمًا مثلثًا ما يرى منه إلا أطراف لحيته، يقاتل أشد قتال، فقلت يا شيخ تقاتل المسلمين! فحسر لثامه، وقال: نعم أنا خزيمة بن ثابت سمعت رسول الله ﷺ يقول: قاتل مع عليٍّ جميع من يقاتله^(١)..

كان يقاتل قتالاً شديداً حتى إذا استشهد عمار، عزم على ألا يرجع فذهب وجدد الاغتسال وحمل على القوم وانغمس فيهم وهو يقول:

قد مر يومان وهذا الثالث هذا الذي يبحث فيه الباحث
هذا الذي يلهث فيه اللاهث يوم عبوس والعبوس كارث
كم ذا يرجى أن يعيش الماكث والناس موروث وفيهم وارث
هذا عليٌّ من عصاه ناكث^(٢)

فاستشهد في صفين لكي يذهب إلى ربه حاملاً شهادات متعددة؛ شهادة لرسول الله ﷺ في أول إسلامه بشهادتين، وشهادتين مع عليٍّ ﷺ، أحدهما عندما شهد في رحبة مسجد الكوفة لعليٍّ بأنه سمع من رسول الله ﷺ حديث الغدير وتنصيب الإمام في ذلك اليوم ولياً ومولى للمسلمين، وبايعه القوم بالولاية وسلموا عليه.

ولكن الرجال تبايعوها فلم أر مثلها حقاً أضيعاً

وشهادة عمدتها بدمه الشريف في صفين، ليذكره -والصفوة من أصحابه- بها أمير المؤمنين في خطبة خطبها بعد صفين متأسفاً ومتلهفاً عليهم (أين اخواني الذين

(١) الطبراني: المعجم الكبير ٤/ ١٧٢ قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «أَمَرَنِي بِقِتَالِ ثَلَاثَةِ النَّاكِثِينَ، وَالْقَاسِطِينَ، وَالْمَارِقِينَ...» وفي كتاب أصحاب أمير المؤمنين ﷺ والرواة عنه ١/ ١٩١ الشيخ محمد هادي الأميني، النص المذكور.

(٢) الكوفي، أحمد بن أعثم: الفتوح ٣/ ١٧٨

ركبوا الطريق ومضوا على الحق أين عمار وأين ابن التيهان وأين ذو الشهادتين؟
ولا ريب أن الذين استشهدوا مع أمير المؤمنين ﷺ و ﷺ في هذه المعركة كانوا
كثيرين ومنهم من كان من أصحاب رسول الله ﷺ، لكن تخصيص هؤلاء - ومنهم
خزيمة - بالذكر دون غيرهم يبين منزلتهم عند الإمام ﷺ.

بقي أن نشير إلى نقطتين إحداهما ترتبط بتفصيل يذكره بعضهم في شهادة خزيمة
في صفين، والأخرى ترتبط بطريقة تعامل مدرسة الخلفاء مع (معضلة) خزيمة!

أما النقطة الأولى فإنه قد نقل حديث في مصادر مدرسة الخلفاء يشير إلى أن
خزيمة كان كافاً سلاحه في الجمل وصفين حتى قتل عمار بن ياسر فحينها قاتل،
وكأنه يراد القول بأن خزيمة كان مشككاً في موقف أمير المؤمنين في الحربين
وما استبان له إلا بقتل عمار.. وسيأتي أن هذا هو جزء من معضلة مدرسة الخلفاء
وورطتها مع ذي الشهادتين!!

أما الخبر فهو ما نقله إمام الحنابلة أحمد في مسنده عن يونس وخلف بن الوليد
قالا حدثنا أبو معشر، عن محمد بن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: ما زال جدِّي
كافاً سلاحه يوم الجمل حتى قتل عمار بصفين، غسل سيفه فقاتل حتى قتل قال:
سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتل عماراً الفئة الباغية».^(١)

والأعجب منه الصياغة الأخرى للخبر كما في طبقات ابن سعد عن محمد بن
عمر، عن عبد الحارث بن الفضيل، عن أبيه، عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال:
شهد خزيمة بن ثابت الجمل وهو لا يسل سيفاً. وشهد صفين وقال: أنا لا أصلي
أبدًا حتى يقتل عمار، فانظر من يقتله، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «تقتله الفئة

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥ / ٢١٤)، وتبعه بعد ذلك أكثر الذين كتبوا عن خزيمة حتى بعض



الباغية» قال: فلما قتل عمار بن ياسر قال خزيمة: قد بانت لي الضلالة، واقترب فقاتل حتى قتل.^(١)

والتعليق عليه - بما يتناسب مع الاختصار ووضع الكتاب - في جهتين:
الأولى: سنده وهو ضعيف.^(٢)

والثانية: متنه ودلالته، وفيه من الملاحظات الكثير، فقد يفهم أن يقول لا أقاتل حتى يقتل عمار، أما أن يقول لا أصلي أبداً حتى يقتل عمار، فماذا يعني ذلك؟ وهل معناه أنه كان لا يصلي مع الإمام علي عليه السلام طيلة خلافته الظاهرية أو في وقت الحرابين فقط؟

ثم إن هذا يتعارض مع ما ذكره الرواة عن وصف تفصيلي لقيادته قبيلته بني خطمة ودخوله البصرة ليشهد قتال أهل الجمل، ثم قتاله في ذلك اليوم كما نقلنا ذلك في السطور الماضية فهل خرج هذه المسافة الطويلة وقاد قبيلته من المدينة إلى البصرة حتى يضع رجلاً على رجل ويكف سيفه؟ ولنعم ما قاله السيد الأمين في الأعيان بعد أن نقل الخبر المذكور: «ولكن ما يأتي من أشعاره يوم الجمل وصفين وما رواه المرزباني عن ابن أبي ليلي وجملة من اخباره ينافي ذلك»^(٣).

وهكذا الحال بالنسبة إلى صفين.. فإن من يكون غير ذي بصيرة في أمير

(١) ابن سعد في الطبقات ٣ / ٢٥٩

(٢) قال ابن حجر العسقلاني في المطالب العالمة ١٨ / ١٩٨: هذا الإسناد ضعيف، لأن فيه أبا معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي، وهو ضعيف، وشيخه محمد بن عمارة بن خزيمة الأنصاري ذكره البخاري في التاريخ الكبير وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً وذكره ابن حبان في الثقات على قاعدته، وعليه فهو مجهول. (انظر في ترجمته: التاريخ الكبير ١ / ١٨٦، الجرح والتعديل ٨ / ٤٤، الثقات لابن حبان ٧ / ٤٣٦، تعجيل المنفعة ٢٧٣).

(٣) الأمين: أعيان الشيعة ٦ / ٣١٨

المؤمنين ﷺ وقتاله فإنه لا يخرج قاطعًا هذه المسافة الطويلة ومتكبدًا هذا العناء حتى ينتظر هناك متى يقتل عمار؟ ومن أخبره أن عمارًا يقتل في هذه المعركة أو تلك أو التي بعدها؟

ثم إننا لا نجد فرقًا كبيرًا بين تصريحات عمار بن ياسر في الدفاع عن حق أمير المؤمنين ﷺ وبين تصريحات ذي الشهادتين^(١)! شعرًا ونثرًا! أيام السقيفة أو أيام الخلافة أو أيام الحروب! حيث نقل -وهو الصادق الذي تعدل شهادته الواحدة شهادتين لتكتمل البينة الشرعية- عن رسول الله ﷺ قوله: قاتل مع عليٍّ جميع من يقاتله! أو في روايات مدرسة الخلفاء كما نقل الطبراني: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «أَمَرَنِي بِقِتَالِ ثَلَاثَةِ النَّاكِثِينَ، وَالْقَاسِطِينَ، وَالْمَارِقِينَ».

فهل من يعارض الخليفة الأول مدافعًا عن حق علي بن أبي طالب، ويشهد له بحديث الغدير في مسجد الكوفة، ويروي حديث الثقلين وغيره يظل طول هذه المدة مشككًا لا يعرف أن عليًا هو الفئة الهادية أو الباغية؟ أيُّ استخفاف بالعقول أسوأ من هذا؟!!

أسوأ من هذا هو ما نقل من قوله المزعوم إنه بعد مقتل عمار، قال: الآن بانت لي الضلالة!! يعني أن معاوية وقومه طوال هذه المدة لم يظهر منهم أي شيء يدل على ضلالتهم! بحيث لم يتبين له منها شيء! فلما قتل عمار تبين له أنهم ضالون!!

(١) ذكر الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ ذا الشهادتين في جملة أصحاب النبي الذين مضوا على منهاج نبهم ولم يغيروا أو يبدلوا فقال كما عن الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا ﷺ، ج ٢ / ١٣٤ في كتاب الإمام الرضا للمأمون عن محض الإسلام «..والولاية لأمر المؤمنين ﷺ والذين مضوا على منهاج نبهم ﷺ ولم يغيروا ولم يبدلوا مثل سلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وحذيفة اليماني وأبي الهيثم بن التيهان وسهل بن حنيف وعبادة بن الصامت وأبي أيوب الأنصاري وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وأبي سعيد الخدري وأمثالهم رضي الله عنهم ورحمة الله عليهم..»



معضلة مدرسة الخلفاء مع شهادة خزيمة

لو كان خزيمة ضمن الخط القرشي أو موالياً له لكان له اسم محلق في كل مكان، وذكر يملأ كل كتاب! ولكن مشكلته كانت أنه صار في الخط العلوي، ولم يكن ممكناً إنكار قضية شهادته.. فماذا صنع الخط القرشي مع شهادتي خزيمة؟ لقد سلك هذا الخط مسالك متعددة لجعل هاتين الشهادتين وهذا الشاهد على خطأ الاتجاه القرشي وخلافته محيِّداً وغير ذي أثر في واقع المسلمين:

١. جعل أثر هذه الشهادة في قضية جزئية وهي الشهادة على آية في القرآن الكريم! في واقعة هي غير تامة فقد ذكروا عن زيد بن ثابت لما كُلف بجمع القرآن أنه فقد آية من سورة الأحزاب فما وجدها إلا مع خزيمة فقبلها منه ولم يطلب معه شاهداً كما طلب من غيره، لأن شهادته بشهادتين. كما نقله البخاري، عن «زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: «نَسَخْتُ الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ، فَفَقَدْتُ آيَةً مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ بِهَا، فَلَمْ أَجِدْهَا إِلَّا مَعَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ الَّذِي جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهَادَتَهُ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ»، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾. (١)(٢)

وقد بيّنا في كتابنا معارف قرآنية أن فكرة جمع القرآن بعد رسول الله ﷺ سواء كانت في زمان الخليفة الأول أو الثاني أو الثالث لا تستقيم، وأن الصحيح هو أن القرآن كان مجموعاً في زمان رسول الله ﷺ، وأن أمير المؤمنين ﷺ قد رتبته في شكل واحد بعد وفاة النبي ﷺ، وأن من أعظم الانتقادات التي توجه للإسلام

(١) صحيح البخاري ١٩/٤

(٢) الأحزاب ٢٣

والقرآن هو القبول بفكرة جمع القرآن كما تعرضها مدرسة الخلفاء، فليراجع في ذلك الكتاب.^(١)

٢. أغفل الخط القرشي والتيار الرسمي موضوع شهادة خزيمة ضد خلافة أبي بكر كما أغفل خطب باقي الاثني عشر من أصحاب النبي الذين اعترضوا على خلافته، فلم يذكرها في مصادره لما تسبب لهم من احراج كبير!

٣. ولتتمة القضاء على أي أثر لشهادته في المسائل الأصلية التي تعين المسار الصحيح والآخر الباطل، فقد تلاعبوا بتاريخ وفاته، وابتكر بعضهم خزيمة آخر وقال إن خزيمة بن ثابت مات في زمان الخليفة عثمان، ومعناها أنه لم يشهد حرب الجمل ومن باب أولى أنه لم يقتل في حرب صفين وإنما الذي قتل في حرب صفين هو خزيمة آخر غير ذي الشهادتين!! والدافع إلى كل هذا العناء وتزوير التاريخ هو أنه لكيلا يُحرج هذا الخط مع الحديث المعروف في شأن حذيفة أن النبي ﷺ أمره أن يقاتل جميع أعداء عليّ ﷺ، وأيضاً مع حديث النبي في شأن عمار وأنه تقتله الفئة الباغية!

والأصل فيه سيف بن عمر حيث «اختلق صحابياً آخر باسم خزيمة بن ثابت ليكون هو المقتول في صفين بسيف أمية وليس الصحابي ذا الشهادتين، ووضع من الحديث ما أخرجه الطبري في تاريخه عن سيف عن محمد وطلحة أن علياً لما رأى من أهل المدينة ما لم يرض، جمع وجوه أهل المدينة وخطب فيهم وطلب منهم أن ينصروه قال: «فأجابه منهم رجلان من أعلام الأنصار: أبو الهيثم بن التيهان -وهو بدري- وخزيمة بن ثابت وليس بذئ الشهادتين، مات ذو الشهادتين زمان عثمان وروى بعدها عن محمد -وقيل هو العرزمي- عن عبيد الله عن الحكم

(١) آل سيف، فوزي: معارف قرآنية فصل رؤية مدرسة الخلفاء في جمع القرآن.



وهو ابن عتيبة - قال: قيل له: أشهد خزيمة ذو الشهادتين «الجميل»؟ قال: ليس به، ولكنه غيره من الأنصار، مات ذو الشهادتين في زمان عثمان وعزز هاتين الروايتين بأخريين عن الشعبي^(١).

خاتمة المطاف

انتقل ذو الشهادتين مع النبي بشهادة ثالثة مع الوصي في مسجد الكوفة، ورابعة إلى رحاب ربه تشييعه كلمات أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته بعد صفين، وندبة ساخنة من ابنته ضبيعة ترثي بها أباهما، قائلة:

عين جودي على خزيمة بالدمع قتل الأحزاب يوم الفرات
قتلوا ذا الشهادتين عتوا أدرك الله منهم بالترات
قتلوه في فتية غير عزل يسرعون الركوب في الدعوات
نصروا السيد الموفق ذا العد ل ودانوا بذلك حتى الممات
لعن الله معشرا قتلوه ورماهم بالخزي والآفات^(٢)

(١) العسكري؛ السيد مرتضى: خمسون ومائة صحابي مختلق ٢/ ١٧٦

(٢) ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح النهج ٢/ ٢٨٠



مصعب بن عمير العبدي.. فاتح المدينة بالقرآن

قال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُكَ بِمَكَّةَ وَمَا بِهَا أَحَدٌ أَرْقُ حُلَّةً، وَلَا أَحْسَنُ لِمَةً مِنْكَ، ثُمَّ أَنْتَ شَعِثُ الرَّأْسِ فِي بُرْدَةٍ»^(١)

بطاقة شخصية

هو: مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي، يلقب بـ (مصعب الخير). أمه: خناس بنت مالك، كانت شديدة العداوة للدعوة النبوية.

زوجته: حمنة بنت جحش؛ وهي أخت زينب بنت جحش زوجة النبي ﷺ، وأمها عممة النبي أميمة بنت عبد المطلب.

وفاته: شهيداً في معركة أحد مدافعاً عن دين الله ورسوله ﷺ.

نلتقي بمصعب بن عمير شاباً يافعاً مرفّهاً، يلهو بما يلهو به أقرانه القرشيون في

(١) ابن سعد؛ الطبقات الكبرى ٣/ ١٢٢

حياة خالية من الهدف والمحتوى، إلى أن يتسرب إلى سمعه ذكر عن رسول الله ﷺ الذي بدأ في مكة يدعو سرًّا إلى رب واحد لا إله سواه، وينعى على الآخرين عبادة ما لا يضر ولا ينفع! ولقد تساءل مصعب كما تساءل غيره، غير مرة عن ماذا يمكن للأصنام أن تصنع وهي لا تتكلم ولا تسمع؟!!

وإذا كان غيره ممن أسلم قد دعاه آخرون، فإن مصعبًا قد (دعا نفسه) وتسلسل إلى حيث يجتمع المسلمون في دار الأرقم بن أبي الأرقم في الصفا، في جوف الليل ليسمع بعض آيات القرآن العظيم، ويصغي إلى ما سيغير حياته من كلام الرسول الكريم. وعاد من تلك الجلسة ليعود إليها مرارًا حتى خالط الإيمان لحمه ودمه، وأعلن إسلامه وتشهد الشهادتين عند رسول الله ﷺ.

ولم تكن هذه الحركات، بل ولا الشخصية الجديدة التي صار فيها لتخفى على من يراقب أمره، لكي يخبروا والديه عن أنه (صبأ) وآمن بمحمد!

وإذا كان أبوه قد أخفى ذلك درءًا للفضيحة! أمام القرشيين ولا سيما أمام أبي جهل -أبي الحكم- بن هشام الذي فقد السيطرة على نفسه من شدة عداوته للنبي ورسالته. ومع ذلك لم يسلم عمير زرارة العبدري والد مصعب من تهكم أبي جهل وتهجمه!

لم يكن الأمر كذلك عند أمه خناس التي ما أن سمعت بذلك حتى حرمته طعامه وشرابه ولباسه، فإذا بذلك الشاب الأنيق المترف المدلل الذي قيل إنه كان لكثرة ما كان يسكب العطر على ملابسه، وتبقى رائحته فيها كان بعض الشباب يعطي للقصّار وغسال الملابس مألًا ليغسل ملابسه في فضل ماء مصعب حتى تتعطر! فإذا به يحرم من الطعام والشراب فضلًا عن سائر الكماليات! كل ذلك من أجل أن يرجع عن إيمانه برسول الله ﷺ!



وطرد من منزله لينضم إلى المسلمين المحاصرين في شعب أبي طالب، وليطول الحصار سنة بعد أخرى وتضعف الأبدان وتنحل لكن العزائم تقوى وتتجبر! يتحدث عنه رسول الله صلى الله عليه واله فيقول: لقد رأيت بين أبيه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، فدعاه حب الله وحب رسوله إلى ما ترون.^(١)

وما ترون بعضه كان السجن والتقييد، وبعضه كان الحرمان من المنزل والطعام والشراب، وبعضه هو ما نقله سعد بن أبي وقاص في قوله: «كان مصعب بن عمير أترف غلام بمكة بين أبويه، فلما أصابه ما أصابنا لم يقو على ذلك، ولقد رأيت وإن جلده ليتطير عنه تطاير جلد الحية، ولقد رأيت يتقطع به، فما يستطيع أن يمشي، فنعرض له القيسي، ثم نحمله على عواتقنا».^(٢)

وإذا كان قد بلغ به الجهد إلى هذا المقدار فقد كان يقيس نفسه بباقي إخوته المؤمنين برسول الله ﷺ ممن عذبوا وأوذوا بل وقتلوا كوالدي عمار، وغيرهما فيصبره ذلك ويقويه.

لا بلاء يدوم في الدنيا ولا نعيم يستمر

ها هو حصار الشعب يتحطم بما أطلع الله نبيه عليه من أكل الأرضة وحشرة الأرض موثيق قريش وكأنه يريد أن يقول لهم إن قوة قريش واعتبارها وموثيقها واتفاقاتها لا تساوي جهد حشرة الأرض ولا تقاومها، فكيف تقاوم أمر الله تعالى؟ وحين أطلع النبي ﷺ عمه أبا طالب ﷺ على ما جرى أنهى أبو طالب بحواره معهم الحصار وخرج المسلمون ومعهم رسول الله ﷺ وهم أقوى من ذي قبل، والكل

(١) الأصبهاني؛ أبو نعيم حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١/١٠٨.

(٢) الذهبي، شمس الدين: سير أعلام النبلاء ط الرسالة ١/١٤٨.

يتناقل القصة والحادثة من قرشيين ومسلمين.^(١)

وبقدر ما خرج هؤلاء واثقين فقد تنمر كفار قريش عليهم، مقسمين بأن يكسروا شوكة المسلمين وأن ينفوا هذا الدين وأهله! لا سيما وقد توفي حامي الرسول ﷺ والرأس المطاع والشخصية المهابة أبو طالب بن عبد المطلب.

قبل ذلك كان مصعب بن عمير قد هاجر، فيمن هاجر من المسلمين المضطهدين إلى الحبشة حيث الملك العادل هناك، وما لبثوا غير برهة من الزمان حتى وصلت الأخبار إليهم بأن قريشاً قد فشا فيها الإسلام، وأن وضع المسلمين قد تحسن في مكة.. فعلام إقامتهم في الغربة؟ انتشر هذا الخبر بين المهاجرين انتشار النار في الهشيم، وعزم غير واحد من المهاجرين على العودة إلى مكة سريعاً فيما آثر آخرون الانتظار والتريث واستطلاع الأمر على حقيقته أو حتى انتظار أمر النبي ﷺ.

وكان في العائدين مصعب، يحدوه الشوق الكبير في أن يرى والديه وقد أضاء قلبهما نور الإسلام ويطمع في أن يمتع ناظره بوقوفهما بين يدي الله خاشعين.. لكن كما صدم غيره فقد صدم لكون الخبر مكذوباً وأنه لا حقيقة له! بل لقد سمع أن «أمه حلفت حين أسلم وهاجر ألا تأكل ولا تشرب ولا تستظل بظل حتى يرجع إليها، فكانت تقف للشمس حتى تسقط مغشياً عليها، وكان بنوها يحشون فاهها بشجار، وهو عود فيصبون فيه الحساء لئلا تموت»^(٢)

إننا لا نستبعد - وإن كنا لا نملك وثائق واضحة - أن يكون كفار قريش وكبارها قد سربوا هذا الخبر المكذوب لاسترجاع المسلمين من الحبشة ليكونوا في قبضتها تفتنهم عن دينهم، فلا يتحقق للدين الإسلامي انتشار خارج مكة، بل يتقلص حتى

(١) تعرضنا بشكل مفصل للحادثة عند الحديث عن أبي طالب في كتابنا: أعلام من الأسرة النبوية.

(٢) السهيلي؛ عبد الرحمن: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية ت الوكيل ٤ / ٩٧



في داخلها بالقضاء على أتباعه أو حبسهم.

لكن إذا أُغلق بابٌ، فتح الله برحمته سبعين، فلا تياس ولا تقنط وتفتح هذه الأبواب من حيث لم تكن تحتسب ولا تتوقع، ها هي يثرب الأوس والخزرج ثانية المدينتين الكبيرين في الحجاز، تنتظر أن يأتيها مصعب فاتحًا عقول أبناءها لدين الله، وقلوبهم للرحمة ليصبحوا بنعمته إخوانا بعدما كان السيف والرمح هو الذي يربط بينهم.

لقاء أسعد بن زرارة مع رسول الله

لقد نقل المرحوم الشيخ الطبرسي في كتابه إعلام الوري بأعلام الهدى، عن تفسير علي بن ابراهيم القمي الخبر الذي يتبين منه ما قام به مصعب بن عمير من حكمة في فتح المدينة بالقرآن، وإسلام أهلها على يديه، وأن هذا الشاب الواعي الذي كان محل ثقة النبي ﷺ، قد صدق تلك الثقة وحسن ظن النبي ﷺ به. وبالرغم من طول الخبر إلا أننا سننقله بنصه من الكتاب المذكور: «قدم أسعد بن زرارة، وذكوان بن عبد قيس في موسم من مواسم العرب، وهما من الخزرج، وكان بين الأوس والخزرج حرب قد بقوا فيها دهرًا طويلاً، وكانوا لا يضعون السلاح لا بالليل ولا بالنهار، آخر حرب بينهم يوم بعث، وكانت للأوس على الخزرج، فخرج أسعد بن زرارة وذكوان إلى مكة في عمرة رجب يسألون الحلف على الأوس، وكان أسعد بن زرارة صديقاً لعتبة بن ربيعة (الأموي)، فنزل عليه فقال له: إنه كان بيننا وبين قومنا حرب وقد جئناك نطلب الحلف عليهم.

فقال له عتبة: بعدت دارنا من داركم ولنا شغلٌ لا نتفرغ لشيء.

قال: وما شغلكم وأنتم في حرمكم وأمنكم؟

قال له عتبة: خرج فينا رجلٌ يدعي أنه رسول الله، سفه أحلامنا، وسب إلهتنا، وأفسد شباننا، وفرق جماعتنا.

فقال له أسعد: من هو منكم؟

قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، من أوسطنا شرفاً، وأعظمتنا بيتاً.

وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم -النضير وقريظة وقينقاع -: أن هذا أوان نبي يخرج بمكة يكون مهاجره بالمدينة، لنقتلنكم به يا معشر العرب. فلما سمع ذلك أسعد وقع في قلبه ما كان سمع من اليهود، قال: فأين هو؟

قال: جالسٌ في الحجر، وإنهم لا يخرجون من شعبهم إلا في الموسم، فلا تسمع منه ولا تكلمه فإنه ساحر يسحرك بكلامه. وكان هذا في وقت محاصرة بني هاشم في الشعب.

فقال له أسعد: فكيف أصنع وأنا معتمر، لا بد لي أن أطوف بالبيت؟

قال: ضع في أذنك القطن.

فدخل أسعد المسجد وقد حشا أذنيه بالقطن، فطاف بالبيت ورسول الله ﷺ جالس في الحجر مع قوم من بني هاشم، فنظر إليه نظرة فجازاه، فلما كان في الشوط الثاني قال في نفسه: ما أجد أجهل مني، أيكون مثل هذا الحديث بمكة فلا أتعرفه حتى أرجع إلى قومي فأخبرهم؟ ثم أخذ القطن من أذنيه ورمى به وقال لرسول الله ﷺ: أنعم صباحاً.

فرجع رسول الله ﷺ رأسه إليه، وقال: (قد أبدلنا الله به ما هو أحسن من هذا، تحية أهل الجنة السلام عليكم).



فقال له أسعد: إن عهدك بهذا لقریب، إلى ما تدعو يا محمد؟

قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، وأدعوكم إلى ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. (١)

فلما سمع أسعد هذا قال له: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أنا من أهل يثرب من الخزرج، وبيننا وبين إخوتنا من الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بك فلا أجد أعز منك، ومعى رجل من قومي، فإن دخل فى هذا الأمر رجوت أن يتمم الله لنا أمرنا فىك، والله يا رسول الله لقد كنا نسمع من اليهود خبرك، ويبشروننا بمخرجك، ويخبروننا بصفتك، وأرجو أن تكون دارنا دار هجرتك، وعندنا مقامك، فقد أعلمنا اليهود ذلك، فالحمد لله الذى ساقنى إليك، والله ما جئت إلا لنتطلب الحلف على قومنا، وقد آتانا الله بأفضل مما أتيت له.

ثم أقبل ذكوان فقال له أسعد: هذا رسول الله الذى كانت اليهود تبشرنا به وتخبرنا بصفته، فهلم فاسلم، فأسلم ذكوان ثم قال: يا رسول الله ابعث معنا رجلاً يعلمنا القرآن ويدعو الناس إلى أمرك.

فقال رسول الله ﷺ لمصعب بن عمير، وكان فتى حدثاً مترفاً بين أبويه يكرمانه ويفضلاناه على أولادهما، فلما أسلم جفاه أبواه، وكان مع رسول الله ﷺ فى الشعب حتى تغير وأصابه الجهد، فأمره رسول الله ﷺ بالخروج مع أسعد، وقد كان تعلم

من القرآن كثيراً، فخرجا إلى المدينة ومعهما مصعب بن عمير فقدموا على قومهم وأخبروهم بأمر رسول الله ﷺ وخبره، فأجاب من كل بطن الرجل والرجلان، وكان مصعب نازلاً على أسعد بن زرارة، وكان يخرج في كل يوم فيطوف على مجالس الخزرج يدعوهم إلى الإسلام فيجيبه الأحداث، وكان عبد الله بن أبي شريقاً في الخزرج، وقد كان الأوس والخزرج اجتمعوا على أن يملكوه عليهم لشرفه وسخائه، وقد كانوا اتخذوا له إكليلاً احتاجوا في تمامه إلى واسطة كانوا يطلبونها، وذلك أنه لم يدخل مع قومه الخزرج في حرب بعث ولم يعن على الأوس، وقال: هذا ظلم منكم للأوس ولا أعين على الظلم، فرضيت به الأوس والخزرج، فلما قدم أسعد كره عبد الله ما جاء به أسعد وذكوان وفتروا أمره. فقال أسعد لمصعب: إن خالي سعد بن معاذ من رؤساء الأوس، هو رجل عاقل شريف مطاع في بني عمرو بن عوف، فإن دخل في هذا الأمر تم لنا أمرنا، فهل نأت محللتهم.

فجاء مصعب مع أسعد إلى محلة سعد بن معاذ فقعده على بئر من آبارهم واجتمع إليه قوم من أحداثهم وهو يقرأ عليهم القرآن، فبلغ ذلك سعد بن معاذ فقال لأسيد بن حضير وكان من أشرفهم: بلغني أن أبا أمامة أسعد بن زرارة قد جاء إلى محللتنا مع هذا القرشي يفسد شباننا، فآته وانته عن ذلك.

فجاء أسيد بن حضير، فنظر إليه أسعد فقال لمصعب: إن هذا رجل شريف، فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتم أمرنا فأصدق الله فيه.

فلما قرب أسيد منهم قال: يا أبا أمامة يقول لك خالك: لا تأتنا في نادينا، ولا تفسد شباننا، وأحذر الأوس على نفسك.

فقال مصعب: أو تجلس فنعرض عليك أمراً، فإن أحببته دخلت فيه، وإن كرهته نحينا عنك ما تكرهه.



فجلس فقرأ عليه سورة من القرآن، فقال: كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الأمر؟

قال: نغتسل ونلبس ثوبين طاهرين ونشهد الشهادتين ونصلي ركعتين.

فرمى بنفسه مع ثيابه في البئر، ثم خرج وعصر ثوبه، ثم قال: أعرض فعرض عليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالها، ثم صلى ركعتين، ثم قال لأسعد: يا أبا أمامة، أنا أبعث إليك الآن خالك وأحتال عليه في أن يجيئك.

فرجع أسيد إلى سعد بن معاذ، فلما نظر إليه سعد قال: أقسم أن أسيدا قد رجع إلينا بغير الوجه الذي ذهب من عندنا، وأتاهم سعد بن معاذ فقرأ عليه مصعب (حم) * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(١) فلما سمعها، قال مصعب: والله لقد رأينا الإسلام في وجهه قبل أن يتكلم، فبعث إلى منزله وأتى بثوبين طاهرين واغتسل وشهد الشهادتين وصلى ركعتين ثم قام وأخذ بيد مصعب وحوله إليه وقال: أظهر أمرك ولا تهابن أحداً.

ثم جاء فوقف في بني عمرو بن عوف وصاح: يا بني عمرو بن عوف لا ييقين رجل ولا امرأة ولا بكر ولا ذات بعل ولا شيخ ولا صبي إلا خرج، فليس هذا يوم ستر ولا حجاب.

فلما اجتمعوا قال: كيف حالكم عندكم؟

قالوا: أنت سيدنا والمطاع فينا ولا نرد لك أمراً فمرنا بما شئت.

فقال: كلام رجالكم ونسائكم وصبيانكم عليّ حرام حتى تشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فالحمد لله الذي أكرمنا بذلك وهو الذي كانت اليهود

تخبرنا به.

فما بقي دار من دور بني عمرو بن عوف في ذلك اليوم إلا وفيها مسلم أو مسلمة، وحوّل مصعب بن عمير إليه وقال له: أظهر أمرك وادع الناس علانية.

وشاع الإسلام بالمدينة وكثر، ودخل فيه من البطينين جميعاً أشرفهم، وذلك لما كان عندهم من أخبار اليهود.

وبلغ رسول الله ﷺ أن الأوس والخزرج قد دخلوا في الإسلام، وكتب إليه مصعب بذلك.^(١)

ملاحظات في ظلال النص المتقدم:

١. بين الآيات المكية والمدنية^(٢):

بالرغم من وجود فكرة بين المفسرين خلاصتها أن الآيات المكية تتناول قضايا العقيدة والتوحيد وأصول الإيمان بالرسول ويوم القيامة وما يرتبط بهذه القضايا من أدلة وتفصيل، وهذه بعض ميزاتها من جهة الموضوع بالإضافة إلى وجود ميزات لها من جهة الأسلوب واللغة، بينما تتناول الآيات المدنية في الغالب قضايا التشريع والأحكام سواء في الأمور العبادية أو المعاملاتية أو الأحوال الشخصية، وهذه من ميزات مواضعها بالإضافة إلى ميزات أسلوبية، إلا أننا نجد في هذه الآيات المباركات التي تلاها النبي ﷺ على أسعد بن زرارة ومن معه، فقد جاء فيها قضية التوحيد، وبالإضافة إلى ذلك فقد عدد ثمانية تشريعات وأحكام، أغلبها اجتماعي.. ما يعني أن الفكرة المشهورة والمذكورة آنفاً عن الآيات المكية لا كلية لها، وإنما

(١) الطبرسي: إعلام الوری بأعلام الهدى ١ / ١٤١، والسيرة النبوية لابن هشام الحميري ت السقا

(٢) لتفصيل هذا الموضوع يمكن مراجعة كتابنا: معارف قرآنية.



هي (في الجملة) هكذا.

٢. اختيار النبي لمصعب بن عمير:

في طلب أسعد بن زرارة قال: يا رسول الله ابعث معنا رجلاً يعلمنا القرآن ويدعو الناس إلى أمرك..

إننا نلاحظ أن صفتين كانتا مطلوبتين فيمن سيبعثه رسول الله، المعرفة بالقرآن ومعرفة الدعوة والتبليغ إلى أمر الدين، وكلا الأمرين مهم، فقد تجد شخصاً ذا إمكانيات مادية قوية في التبليغ، كمحطة إذاعة أو قناة فضائية لكنه يفسد أكثر مما يصلح، إما لقلة المحتوى العلمي والمعرفة بالقرآن، أو لأن أسلوب الدعوة والتبليغ عنده غير حسن!

فالتبليغ له فنونه وأساليبه، وليس كل شخص عالم هو قادر بالضرورة على القيام به.

اختار النبي ﷺ مصعباً وهو العارف بأصحابه، ليكون سفيره ووافده إلى المدينة ووجهه الذي يراه الناس به، وكان مصعب خير ممثل لرسول الله ﷺ، ولك أن ترجع إلى النص المذكور لترى كيف استطاع أن يفتح المدينة ولم ترق في ذلك قطرة دم، وإنما كانت أنهار حكمة.

ولم يكن هذا المستوى الذي وصل إليه إلا بعد معاناة استمرت سنين في سبيل الإسلام، تخللها هجرة واغتراب ثم حصار وفقر وجوع إلى حد يقرب من الإغماء، ولكن هذا الفتى (المترب سابقاً) أبان عن معدن رسالي عظيم يشتمل عليه قلبه ووجدانه.

نعم هاجر مصعب إلى يثرب برفقة أسعد بن زرارة، وخلال مدة غير طويلة أصبحت البلدة تلك مؤمنة بأوسها وخزرجها، نساؤها ورجالها، وشهدت أول صلاة

جمعة في الإسلام، كما شهدت حلقات قراءة القرآن، وتعليم سورته، وتفقه الناس بالأحكام..

وها هو موسم الحج الثاني يقترب ليتجهز مصعب بن عمير رضوان الله تعالى عليه، من المدينة مع سبعين حاجًا من أهلها من الأوس والخزرج الذين آمنوا بالله فأصبحوا بنعمته إخوانًا، وليفد الجميع على رسول الله ﷺ ومعهم أيضا طليعة الركب ومضيف مصعب أسعد بن زرارة.. وجاء مصعب إلى منزل رسول الله ﷺ، ولم يذهب إلى منزل أبيه، وجعل يخبر النبي عن الأنصار وسرعتهم إلى الإسلام، ويبين له شدة اشتياقهم لمقدم النبي، فسرَّ ذلك رسول الله ﷺ.

«وحين بلغ أمه أنه قد قدِمَ أرسلت إليه: يا عاق، أتقدم بلدًا أنا فيه لا تبدأ بي؟ فقال: ما كنت لأبدأ بأحدٍ قبل رسول الله ﷺ، ولما ذهب إليها قالت: إنك لعلي ما أنت عليه من الصِّبَاةِ بعد!»

قال: أنا على دين رسول الله وهو الإسلام الذي رضي الله لنفسه ولرسوله.

قالت: ما شكَّرتَ ما رثيتُك (رحمتك)، مرة بأرض الحبشة ومرة بيثرب، فقال: أفرُّ بديني إن تفتنوني. فأرادت حبسه، فقال: لئن أنتِ حبستيني لأحرصن على قتل من يتعرض لي، قالت: فاذهب لشأنك، وجعلت تبكي، فقال مصعب رضي الله عنه: يا أمه إنني لك ناصحٌ عليك شفيقٌ، فاشهدي أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، قالت: والثواقِبِ لا أدخل في دينك فيزري برأيي، ويضعفَ عقلي! (١)

حوالي شهرين ونصف بقي مصعب مع النبي ﷺ في مكة ليعود إلى المدينة مستمرًا في عمله التبليغي وليهيئ لمجيء النبي ﷺ بعد وصوله بحوالي اثني عشر

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ط دار صادر ١١٩/٣



يومًا.

مصعب في ميدان الجهاد العسكري

كما كان لمصعب الدور الأكبر في إيمان أهل المدينة وإقبالهم على الدين، فقد كان له دور مشابه في أول معركتين خاضهما النبي، بدرٍ وأحدٍ.

شارك مصعب في معركة بدر مع رسول الله ﷺ وكان الوحيد من بني عبد الدار في مكة ومعه شخص آخر يقال سويط، فقد كانت قبيلة عبد الدار من القبائل العنيفة في معاداتها للإسلام حتى قيل إن الآية الكريمة: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١) نزلت فيهم وشبهتهم بالدواب الذين لا يسمعون كلاماً ولا يتفاعلون مع الهداية،

وكان دفاعهم عن أصنامهم بحيث قيل إن الإمام علياً عليه السلام قتل في بدر خمسة إخوة من بني عبد الدار! كان الواحد منهم يحمل الراية الكافرة فإذا طعن آلى الآلّا تسقط بل يعطيها لأخيه، وهذا بدوره يقاتل من أجلها، فإذا أوشك على السقوط دفعها لثالث إخوته وهكذا!

وفي المقابل كان مصعب بن عمير (وهو من بني عبد الدار) قد أكرمه النبي بأن حمل راية رسول الله ﷺ.

وقد أكرم الله المسلمين بالنصر في بدر وهم أذلة من حيث قتلهم عدداً وضعفهم عدة، ومع ذلك أسر المسلمون سبعين رجلاً من كفار قريش سوى من قتلوهم منهم، ويُنقل أن أبا سعيد بن عمير وهو أخو مصعب، كان من ضمن الأسرى، فمر عليه

ويده في يد أحد المسلمين، وقال: شُدَّ يده، فإن لأمه ما لا كثيرًا!

معركة أحد وشهادة مصعب

في معركة أحد التي كانت فيها شهادته، ثبت مصعب بينما فرَّ غيره. أصحاب الأسماء واللافئات العريضة، لم يكن همة أحدهم أكثر من النجاة بنفسه، لما حلت الهزيمة الأولى بالمسلمين على أثر التفاف خالد بن الوليد على ذلك الجبل، وبدأ المسلمون يتراجعون وينهزمون.

قلَّة كانوا بمثابة الدرع الحامي لرسول الله ﷺ، والنبي يقاتل ويدفع، وعليَّ يصول ويجول، وأبو دجانة ضرب المثل الأعلى، بل ونسيبة بنت كعب الأنصارية! امرأةٌ ولكنها بخمسين رجلاً من الذين فرُّوا، حتى لقد نقل عن النبي قوله: «لَمَقَامُ نُسَيْبَةَ بِنْتِ كَعْبٍ خَيْرٌ مِنْ مَقَامِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ فَسَمَى جَمَاعَةً مِنَ الَّذِينَ فَرُّوا»^(١) وكان مصعب على موعد مع الشهادة هناك، مدافعاً عن حياة النبي فلا يهمه أن يقتل هو ويسلم النبي!

استأسد المشركون على أثر فرار الكثير من المسلمين من المعركة ورأوها الفرصة السانحة للقضاء على رسول الله ﷺ والتخلص من دعوته فشددوا من هجماتهم على النبي والثلة القليلة التي كانت معه، «وكان أربعة من قريش قد تعاهدوا وتعاهدوا على قتل رسول الله ﷺ وعرفهم المشركون بذلك - عبد الله بن شهاب، وعتبة بن أبي وقاص، وابن قميئة، وأبي بن خلف» وجاء ابن قميئة منفلاً كثور هائج، وهو يقول: أين محمد لا نجوت إن نجا! ليعترضه مصعب بن عمير،

(١) السرخسي: شرح السير الكبير ١/ ٢٠٠.. ولنا أن نتساءل: من كان له مصلحة في إخفاء الأسماء؟ ومن هم فلان وفلان؟ لا تجد في مصادر مدرسة الخلفاء جواباً.



ويختلف معه ضربات أتت إحداها على يد مصعب اليمنى الذي واصل القتال بيده اليسرى قائلاً (وما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) ليكر عليه ابن قميئة فيقطعها ثم يثلث ذلك بضربة على رأسه، وهو -إذ ذاك- يظن أنه يقاتل رسول الله وأنه قد قتله، فرجع صارخاً بأنه قتل محمداً! ولم يعلم أنه لم يصل إلى النبي ﷺ.

أما مصعب فقد صدق الله ما عاهده عليه، وقضى نحبه بعد حياة حافلة بالإيمان والجهاد.

وعندما انتهت المعركة، وجاءت أخبارها إلى حمنة بنت جحش زوجة مصعب، فقيل لها: قتل أخوك، قالت: رحمه الله، إنا لله وإنا إليه راجعون، فقيل لها: قتل خالك حمزة، فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقيل لها: قتل زوجك، قالت: واحزننا، فقال رسول الله ﷺ: «إن للزوج من المرأة لشعبة ما هي لشيء».



أبو ذر الغفاري.. سلطان الكلمة الصادق

جاء في الخبر عن رسول الله ﷺ قوله عن الصحابي أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه):

«مَا أَظَلَّتِ الْخَضِرَاءُ، وَلَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ، وَلَا أَوْفَى مِنْ أَبِي ذَرٍّ شَبِهَ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ...». وَرَوَى بَعْضُهُمْ: «أَبُو ذَرٍّ يَمْشِي فِي الْأَرْضِ بِزُهْدِ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ». وَرَدَتْ صَيْغٌ أُخْرَى لِلْحَدِيثَيْنِ فِي الْمَصَادِرِ، وَكُلُّهَا بِنَفْسِ الْمَعْنَى. ^(١)

مَنْ هُوَ أَبُو ذَرٍّ؟

أبو ذر: كنية، واسمه الأصلي: جُنْدَب، ^(٢) بن جنادة، من قبيلة (غفار).

ولكن غلبت كنيته وعُرف بها، وقد تشتهر الكنية لأسباب ويعرف الشخص بها بدلاً من اسمه الأصلي، كاشتهار كنية والد أمير المؤمنين (أبي طالب)، والذي قلما يعرف الناس اسمه الأصلي.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ط العلمية ٤/ ١٧٢ وأمالى الشيخ الطوسي ص ٨٣
(٢) أو جُنْدُب بن جنادة بفتح الدال أو ضمها، فكلا الصيغتين واردتان في اللغة العربية.

ومن المهم ونحن نستعرض شخصية هذا الصحابي الجليل أن نتوقف ملياً عند محطات حياته، لكي نميط اللثام الذي فرض على حياته الحافلة بالجهاد والكلمة الصادقة والأمر بالمعروف، ونتعرف أكثر على شخصية كان لها أدوار مهمة في التاريخ الإسلامي.

وإذا عدنا للحديث الذي افتتحنا به، فإنه يشير إلى أن الخضراء (يعني السماء) لم تُظلل على أحد مثلما أن الغبراء (يعني الأرض) لم تحمل أحداً هو أصدق لهجة من أبي ذر الغفاري. وبعبارة أخرى فإنه الأصدق بين الناس بعد المعصومين (عليه السلام).^(١)

ولذلك فمن الغريب أننا لا نجد ما يروى عن هذا الأصدق على وجه الأرض (في زمانه باستثناء المعصومين)، فأين رواياته؟ وأين أقواله؟ إننا لو قارنا ما جاء في مصادر مدرسة الخلفاء من أحاديث لوجدنا أنه لا تصل إلى ١٪ مما أسند إلى أبي

(١) الصدوق، محمد بن علي بن بابويه: معاني الأخبار / ١٧٩ أشار إلى هذا المعنى في الاستثناء ما جاء في الرواية عن إسماعيل الفراء، عن رجل، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أليس قال رسول الله صلى الله عليه وآله في أبي ذر -رحمة الله عليه-: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر؟» قال: بلى.

قال: قلت: فأين رسول الله وأمير المؤمنين؟ وأين الحسن والحسين؟

قال: فقال لي: كم السنة شهراً؟

قال: قلت: اثنا عشر شهراً، قال: كم منهما حُرْمٌ؟

قال قلت: أربعة أشهر.

قال: فشهْرُ رَمَضانِ منها؟

قال قلت: لا.

قال: إن في شهر رمضان ليلةً أفضل من ألف شهر، (إننا أهل بيت لا يُقاس بنا أحد).

وبالرغم من الأرسال في الرواية فإنها ليست إلا شاهداً على المعنى المذكور وإلا فهو من اوليات الاعتقاد عند شيعة أهل البيت (عليهم السلام) بل عند عموم المسلمين، في تقدم النبي وعلي والحسين (عليهم السلام) على أبي ذر في قضية الصدق بل مطلقاً.



هريرة الدوسي^(١) مثلاً، مع أن مدة ملازمة أبي ذر للنبي ﷺ تصل إلى ثلاثة أضعاف ملازمة أبي هريرة! وذلك أن أبا ذر وإن كان قد آمن برسول الله ﷺ في مكة أوائل بعثته إلا أنه التحق به في المدينة في حوالي السنة الخامسة للهجرة وبقي معه فيها يشهد مشاهدته إلى أن توفي رسول الله ﷺ، يعني أنه بقي معه وفي صحبته ورفقته القريبة نحو خمس سنوات! وتنقل عن النبي ﷺ في مصادر الامامية وصية طويلة له يرويها هو عن النبي ﷺ.

ما هي ديانة أبي ذر قبل إسلامه؟

كان أبو ذر من المتألهين، والمتألهون (الحنفاء) هم الذين بقوا على الديانة الإبراهيمية في الجزيرة العربية، حيث تنقلت هذه الديانة عبر الأوصياء.

ويعتقد باحثون أن عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ، ربما كان أحد الأوصياء الذين ورثوا الكتب السابقة، وأكدوا على الأصول الإبراهيمية في قضايا التوحيد والإيمان بالآخرة ورفض عبادة الأصنام،^(٢) وفي تحليل الطيبات والتحلي بالأخلاق والفضائل، وتحريم الخبائث كالزنا والخمر، وأبقوا ما يمكن من مناسك الحج الإبراهيمي.

وربما لم تكن لديهم الصورة بنفس الوضوح الذي صار لدى المسلمين بعد نزول القرآن، ولكن أصول هذه الديانة كانت موجودة.

(١) نقلوا عن أبي ذر أقل من خمسين حديثاً وعن أبي هريرة أكثر من خمسة آلاف! وبشكل دقيق فقد «أخرج له في الصحيحين ثلاثة وثلاثون حديثاً، المتفق عليه منها اثنا عشر، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بتسعة عشر». الإفصاح عن معاني الصحاح ١٤٣/٢ ابن هُبَيْرَة

(٢) راجع كتابنا من أعلام الأسرة النبوية

وهناك قسم آخر من المستقيمين، وإن لم يكونوا من الحنفاء والمتألّهين بهذا المعنى، لكن كان لديهم حكمة عقل تهديهم إلى أن الحجر والخشب والتمر والصنم، وكل ما يُعبد من دون الله لا يضر ولا ينفع.

ويعد أبو ذر الغفاري من أولئك الذين رفضوا عبادة الاصنام قبل بعثة النبي ﷺ، وكان يعبد الله سبحانه وتعالى.

فلما سمع أنه قد بعث نبي بمكة أرسل أخاه أنيسًا. وقال له: اذهب إلى مكة، وانظر هذا الرجل الذي يقال أنه نبي، واختبر ميزانه، ثم أخبرني بم تجده.

وهلّمّا معي أخي القارئ أختي القارئة لنستمع إلى أبي ذر نفسه راويا قصة إسلامه كما نقلها البخاري والحاكم النيشابوري باسنادهما عن ابن عباس عنه وهو صحيح على مبانيهم، قال أبو ذرّ: كُنْتُ رَجُلًا مِنْ غِفَارٍ فَبَلَّغْنَا أَنَّ رَجُلًا خَرَجَ بِمَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَقُلْتُ لِأَخِي: انْطَلِقْ إِلَيَّ هَذَا الرَّجُلُ فَكَلِّمَهُ وَائْتِنِي بِخَبْرِهِ، فَانْطَلَقْتُ، فَلَقِيَهُ، ثُمَّ رَجَعْتُ، فَقُلْتُ: مَا عِنْدَكَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَيَنْهَى عَنِ الشَّرِّ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ يَشْفِينِي مِنَ الْخَيْرِ، قَالَ: فَأَخَذْتُ جِرَابًا وَعَصَا، ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى مَكَّةَ، فَجَعَلْتُ لَا أَعْرِفُهُ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُ، وَأَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، وَأَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ، قَالَ: فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ فَقَالَ: كَأَنَّ الرَّجُلَ غَرِيبٌ، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ إِلَى الْمَنْزِلِ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ، وَلَا أُخْبِرُهُ، قَالَ: ثُمَّ لَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ لِأَسْأَلَ عَنْهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُخْبِرُنِي عَنْهُ بِشَيْءٍ، فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ، فَقَالَ: أَمَا إِنَّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْرِفَ مَنْزِلَهُ بَعْدُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: انْطَلِقْ مَعِي، فَقَالَ: مَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ الْبَلَدَةَ؟ قُلْتُ لَهُ: إِنْ كَتَمْتَ عَلَيَّ أَخْبَرْتُكَ؟ قَالَ: فَإِنِّي أَفْعَلُ، قُلْتُ لَهُ: بَلَّغْنَا أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ هَاهُنَا رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَرْسَلْتُ أَخِي لِيُكَلِّمَهُ، فَرَجَعَ وَلَمْ يَشْفِينِي مِنَ الْخَيْرِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَلْقَاهُ، قَالَ: أَمَا إِنَّكَ قَدْ رَشِدْتَ، هَذَا وَجْهِي، فَاتَّبَعْنِي، وَادْخُلْ حَيْثُ ادْخُلْ،



فِيَّيْنِي إِنْ رَأَيْتُ أَحَدًا أَخَافُهُ عَلَيْكَ قُمتُ إِلَى الْحَائِطِ أَصْلِحْ نَعْلِي وَامضِ أَنْتَ، قَالَ: فَمَضَى وَمَضَيْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلْتُ، وَدَخَلْتُ مَعَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْرِضْ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ، فَعَرَضَ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ فَأَسَلَمْتُ مَكَانِي، قَالَ: فَقَالَ لِي: يَا أَبَا ذَرٍّ، اكْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ، وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ قَالَ: فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَجَاءَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَقُرَيْشٍ فِيهِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَيَّ هَذَا الصَّابِيُّ، فَقَامُوا فَضْرِبْتُ لِأَمُوتَ، فَأَدْرَكَنِي الْعَبَّاسُ، فَأَكَبَّ عَلَيَّ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: وَيَلِكُمْ تَقْتُلُونَ رَجُلًا مِنْ بَنِي غِفَارٍ، وَمَتَجَرُّكُمْ وَمَمَرُّكُمْ عَلَى غِفَارٍ، فَأَقْلَعُوا عَنِّي، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ الْغَدَ، رَجَعْتُ فَقُلْتُ مِثْلَ مَا قُلْتُ بِالْأَمْسِ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَيَّ هَذَا الصَّابِيُّ، فَأَدْرَكَنِي الْعَبَّاسُ، فَأَكَبَّ عَلَيَّ، وَقَالَ: مِثْلَ مَقَالَتِهِ بِالْأَمْسِ.^(١)

وبهذا يقال إنه أول من أعلن الإسلام بعد بيت النبوة. وكأنه بإعلانه هذا يريد أن يكسر هيبة قريش ويفتتها مثل الفخار. لذلك ما إن سمع القرشيون نداءه، حتى تكالبوا عليه، وضربوه ضرباً شديداً حتى أدموا وجهه وأنفه.

وعاد في اليوم الثاني إليهم بوجه منتفخ، وكرر مقولته فتهجموا عليه، وفي اليوم الثالث تكرر نفس الفعل، وتدخل العباس بن عبد المطلب، فقال لهم: يا معشر قريش! هل أنتم مجانين؟! إنه من قبيلة غفار، وهم -مثل نقطة تفتيش- على قوافلكم إلى الشام، وكل أموالكم وتجاركم ستذهب سدى لو علموا ما فعلتم به، فلماذا تتورطون في هذا الرجل؟ فتركوه.. وأشار عليه بالخروج من مكة، لكي لا يعرض نفسه للأذى، وكان النبي ﷺ قد أشار إليه أن يرجع إلى قومه حتى يدعوهم إلى دين الله ويبلغهم دعوة النبي.

(١) النيشابوري الحاكم أبو عبد الله، المستدرک علی الصحیحین ٣/ ٣٨٢

وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «كان ربع الإسلام». يعني أنه من أوائل من أسلم.

أبو ذر بعد إسلامه

بقي أبو ذر في منطقة غفار، يدعو قومه وأهله إلى أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وبقي فيها، ولم يهاجر أبو ذر إلى المدينة إلا بعد معركة الخندق (فلم يشهد بدرًا ولا أحدًا ولا الخندق والأحزاب). فالتصق برسول الله ﷺ من اليوم الأول، وكان واضحاً لديه أن هناك خطأ مفضلاً لدى رسول الله ﷺ - وهو عليه حريص - وهو الخط الأصيل الذي يمثل علي بن أبي طالب عليه السلام رأسه وأساسه، فارتبط أبو ذر بأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، وصار باستمرار يتحدث عنه كما يتابع مسيرته ويناصرها.

وفي رواياتنا هناك الكثير من أحاديث أبي ذر في شأن أمير المؤمنين علي عليه السلام؛ بل في روايات العامة ينقلون أنهم رأوا أباذر الغفاري وقد أخذ بعضادة باب الكعبة في رواية، وفي رواية أخرى وهو ملتصق بأستار الكعبة. ويلاحظ اختياره الدقيق للمكان من حيث قداسته من جهة واجتماع الناس من جهة أخرى.

ويتبين من خلال تعدد الرواة، وتعداد بعض المواصفات أن الحادثة متكررة.

الحديث الأول:

يقول رأينا أبو ذر الغفاري وهو متعلق بعضادة باب الكعبة، وهو يقول:

أيها الناس! من عرفني فقد عرفني، أنا جندب بن جنادة الغفاري (أبو ذر) صاحب رسول الله ﷺ، أسمعتم قول النبي: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي



لهجة أصدق من أبي ذر؟

فيجيب بعض الحاضرين: بلى سمعنا ذلك. فيقول بعد هذا الإستشهاد:

فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»^(١).

فلاحظ التشبيه بسفينة نوح، حيث هي المنجية في لجج المياه العارمة، وأنه لا عاصم من جبلٍ أو غيره إلا لمن احتوى بتلك السفينة دون سواها. والنبى المصطفى ﷺ يريد أن يشير إلى هذا المعنى في قضية العقائد وفي قضية الأديان، فالمنجي الوحيد هو ولاية آل محمد.

الحديث الثاني:

«عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: كنّا ذات يوم عند رسول الله ﷺ في مسجد قبا ونحن نفر من أصحابه إذ قال: معاشر أصحابي إنه يطلع عليكم من هذا الباب رجل هو أمير المؤمنين وإمام المسلمين قال: فنظروا وكنت فيمن نظر فإذا نحن بعلي بن أبي طالب قد طلع، فقام النبي ﷺ إلى أن قال: فقال: هذا إمامكم من بعدي، طاعته طاعتي ومعصيته معصيتي وطاعتي طاعة الله، ومعصيتي معصية الله»^(٢).

ومن الطبيعي حينها أن نفهم أنه لما كانت أحاديثه في هذه المضامين، فقد تمت محاصرة تلك الأحاديث بالرغم من أن النبي أشار إليه باعتباره الأصدق بين أصحابه باستثناء من ذكرنا، واختزلت من حيث العدد وانتقيت من حيث المعاني ولو تتبعنا

(١) الطبراني: المعجم الأوسط ٣٠٦/٥

(٢) العاملي؛ محمد بن الحسن الحر: إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ٣/ ٧١

أحاديثه في مصادر مدرسة الخلفاء وعناوينها لتساءلنا هل كان يحتاج النبي ﷺ إلى أن يشير إلى هذه الأصدقية عنده؟

وينقل بعضهم: مررنا على أبي ذر في المدينة، وأردنا أن نغادر المدينة، فقلنا له: أنت صاحب رسول الله، بمَ تنصحنا وتوصينا؟

فقال: أوصيكم بلزوم علي بن أبي طالب، التزموا به وبطريقته.

وقد استمر على هذا الأمر من التوصيات حتى توفي رسول الله ﷺ.

وقد كان بعد وفاة النبي من الذين أنكروا على الخلافة مقامها الذي سلبته من مقام أمير المؤمنين عليّ ﷺ.

وقد ذكرت بعض الأخبار أن أبا ذر كان يشير لعلي بعنوان (أمير المؤمنين) في زمن الخلفاء، فسأله بعضهم: أتقصد الخليفة الثالث؟

وهذا السؤال ينبىء عن حالة استغراب يرونها في علاقته المتشججة مع الخليفة الثالث؛ فكيف يوصي به (بناء على استعماله لقب أمير المؤمنين)؟.

وكان يجيب بصراحة وشجاعة: أقصد علياً بن أبي طالب صلوات الله عليه.

أبو ذر في مواجهة الثقافة اليهودية

كانت علاقة أبي ذر بخلفاء تلك الفترة بعد وفاة رسول الله ﷺ غير مستقرة، ويعود أحد الأسباب في تشنج علاقاته بالخلفاء، إلى سياستهم الخاطئة في تمكين مسلمي أهل الكتاب من مواقع التوجيه والارشاد الكبرى في حياة المسلمين! تصور -عزيزي القارئ- لو أن وزير التربية والتعليم، ووزير الثقافة والارشاد كانا



يهوديين أو مسيحيين في دولة مسلمة في هذا الزمان وكانت أبواب القنوات الفضائية والجرائد الرسمية وغيرها وخطب المساجد تحت توجيههم! هذا بالضبط ما كان يحصل في تلك الفترة.

فإنه مع إبعاد أمير المؤمنين عليه السلام عن الخلافة، ولعدم تمكن من جاء مكانه من ملء الفراغ التشريعي والعقدي بالمعارف الدينية اشتدت حاجتهم لمن يملأه. وباقي الصحابة المسلمين لا يتميزون عن أهل الخلافة بشيء مهم في المعارف الدينية بل بحسب رأي مدرسة الخلفاء فإن الخلفاء أعلم من سائر الصحابة! فكان أن اتجهوا -بدلاً من الاستعانة بسفينة النجاة وعرة النبي- بمسلمة أهل الكتاب ككعب الأحرار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام، باعتبارهم قد قرأوا الكتب السماوية السابقة واطلعوا عليها فكان لهم بهذا ميزة على الخلفاء وكثير من الصحابة، فتمكنوا من أن يصبحوا أساتذة المسجد النبوي، ومراجع الفتيا، وكان ذلك بدءاً من عصر الخليفة الثاني.

وترافق هذا مع منع الخليفة الثاني من تدوين وكتابة ومن ثم نشر سنن رسول الله وأحاديثه بمبررات لا تصح مثل: حسبنا كتاب الله! أو امحضوا كتاب الله! أو لكيلا يختلط القرآن بسواه! فصارت لثقافة مسلمة أهل الكتاب القادمة من الكتب اليهودية سوق رائجة، ونفذ الكثير من أفكارهم في العقائد بل والتشريعات وطريقة فهم القرآن، فضلاً عن قصص المرسلين إلى عقول وأذهان المسلمين.

وإعطائهم دوراً كبيراً في نشر الإسرائيليات^(١) وسط الدولة الإسلامية، يضاف

(١) السبحاني؛ الشيخ جعفر: بحوث في الملل والنحل، ج ١، ص ٧٧ نقل ما قاله الشهرستاني: «وضع كثير من اليهود الذين اعتنقوا الإسلام، أحاديث متعددة في مسائل التجسيم والتشبيه، وهي كلها مستمدة من التوراة» وقد تتبع الشيخ السبحاني في ذلك الكتاب تسريب اليهود ثقافتهم وأحاديث كتبهم إلى الساحة الإسلامية بشكل مفصل فليراجع.

لذلك منعهم من تدوين قول رسول الله ﷺ.

ولما كان ذلك كله بحماية مؤسسة الخلافة وكان أبو ذر يصطدم بهؤلاء المتحدثين والخطوط الوافدة على الثقافة الإسلامية النقية، فقد اعتبر الخلفاء ذلك معارضة لهم! وكان ينبغي لهم أن يتذكروا كلام رسول الله عند مقارنتهم أولئك اليهود والنصارى الذين أسلموا بأصدق الناس لهجة على الأرض وتحت السماء فلا يبيعوا كلامه بسعر التراب. وإنما كان ينبغي أن يجعلوه هو الفيصل حين الاختلاف ما دام النبي قد كشف عن صدقه ومطابقتها للحقيقة!

موقف أبي ذر من السياسة المالية للخليفة عثمان

أضيف إلى التغيير في المركز القيادي الذي سنه الخليفة الأول والثاني بإبعاد أمير المؤمنين ﷺ، شيء آخر في زمان الخليفة الثالث وهو التعامل مع بيت المال وكأنه ملك شخصي للخليفة وأهله. وهذا شيء لم يكن في عهد من سبقه من الخلفاء! الأمر الذي جر معارضة عدد من الصحابة كابن مسعود الذي رمى مفاتيح بيت المال لما رأى هذه التجاوزات! واستثار بنو أمية الذين قاموا «يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع» كما يقول أمير المؤمنين ﷺ، وكان لا بد له من تغطية شرعية ودينية فقرب إليه مسلمة أهل الكتاب مثل كعب الأبحار وهؤلاء لم يكن في وارد خاطرهم أن يعارضوا ما يقوم به الخليفة، بينما صرح أصحاب النبي المخلصون بأن ذلك مما لا يحق للخليفة، وبمقدار ما أبعدت الخلافة هؤلاء فقد قربت أولئك. فترى كعب الأبحار جليس الخليفة على مسنده بينما يحجب أبو ذر الغفاري صادق اللهجة من الدخول في المجلس!

قال أهل الحديث: «بينما أبو ذرٌّ عند بابِ عثمانَ لم يُؤذَنَ له إذ مرَّ به رجُلٌ من



قَرِيشُ فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ! مَا يُجْلِسُكَ هَا هُنَا؟ قَالَ: يَا بِي هُوَ لَأَنْ يَأْذُنُوا لِي، فَدَخَلَ الرَّجُلُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! مَا بَالُ أَبِي ذَرٍّ عَلَى الْبَابِ لَا يُؤْذَنُ لَهُ؟ فَأَمَرَ فَأُذِنَ لَهُ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ نَاحِيَةَ الْقَوْمِ وَمِيرَاثُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ يُقَسِّمُ، فَقَالَ عَثْمَانُ لِكَعْبٍ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ: أَرَأَيْتَ الْمَالَ إِذَا أُدِّيَ زَكَاتُهُ هَلْ يُخْشَى عَلَى صَاحِبِهِ فِيهِ تَبَعْتُهُ؟ قَالَ: لَا، فَقَامَ أَبُو ذَرٍّ وَمَعَهُ عَصَا فَضْرَبَ بِهَا بَيْنَ أُذُنَيْ كَعْبٍ، ثُمَّ قَالَ: يَا بَنَ الْيَهُودِيَّةِ تَزْعُمُ أَنَّهُ لَيْسَ (عَلَيْهِ) حَقٌّ فِي مَالِهِ إِذَا أُدِيَ الزَّكَاةَ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ فَجَعَلَ يَذْكُرُ نَحْوَ هَذَا مِنَ الْقُرْآنِ، فَقَالَ عَثْمَانُ لِلْقُرَشِيِّ، إِنَّا نَكَرُهُ أَنْ نَأْذَنَ لِأَبِي ذَرٍّ مِنْ أَجْلِ مَا تَرَى.^(١)

ولم يكن أبو ذر الغفاري هو الوحيد الذي اصطدم مع الخليفة عثمان من الصحابة، بل كان هناك عبد الله بن مسعود الذي توفي على أثر عقوبة قام بها غلمان الخليفة حيث «أمر عثمان به فأخرج من المسجد إخراجاً عنيفاً، وضرب به عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأرض، ويقال بل احتمله يحموم غلام عثمان ورجلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الأرض فذق

(١) جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير» ١٦/٨١٥ السيوطي، ولا نعتقد أن القضية كانت ضمن هذه الحدود؛ فإنه يلحظ أن منهج الاتجاه الرسمي لمدرسة الخلفاء يظهر أبا ذر بصورة الفوضوي الذي لا يراعي أمور النظام والاستقرار ولا يستطيع الانسجام مع الحالة المدنية للمجتمع! والشاهد على أن القضية لم تكن ضمن هذه الحدود المذكورة في الحديث أعلاه، هو كلام رسول الله وتثمين أمير المؤمنين ﷺ لحركته وقوله وأمره بالمعروف. فإن ما سبق ذكره في الحديث لو أخذ على علاته فإنه يخطئ أبا ذر وكلامه والحال أنه أصدق لهجة من كل أحد بنص النبي! بينما أقل الناس يعرف بأن من أدى زكاة أمواله فلا حرج عليه بعد ذلك إذا أنفقه في المعروف.. وإنما الكلام الأصلي هو في بيت مال المسلمين الذي يكاد يجمع المؤرخون على القول بأن الخليفة الثالث أباحه لأقاربه من بني أمية وكان ذلك سبب الثورة عليه..

ضلعه»^(١) ومات وأوصى أن لا يصلي عليه الخليفة، وإنما عمار بن ياسر فلما علم الخليفة بذلك أغلظ لعمار! واصطدم معه.

وقد أكثر من تلاوته لقول الله تعالى - وفيها رسائل لا تخفى على المتأمل -:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتَكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾^(٢).

التفسير إلى الشام

على أثر معارضته لسياسة الخليفة المالية في محاباة أقاربه، وإعطائهم من بيت مال المسلمين^(٣) ما لا يستحقون، ومواجهته لتغول التيار الثقافي الوافد من كتب اليهود، تم استدعاؤه وتعنيفه لموقفه المعارض، وتقرر بعدها ترحيله إلى الشام ليكون تحت رقابة معاوية بن أبي سفيان. «ولما أخرج عثمان أبا ذر الغفاري رحمه الله من المدينة إلى الشام كان يقوم في كل يوم فيعظ الناس ويأمرهم بالتمسك

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ٥/ ٥٢٥

(٢) التوبة ٣٤- ٣٥

(٣) ذكر البلاذري في أنساب الأشراف ٥/ ٥٢٧ جانباً من ذلك ونقل شعر بعض من نقموا على الخليفة أفعاله في قوله:

دعوت اللعين فأذنيته خلافا لسنة من قد مضى

يعني الحكم بن العاص الذي لعنه النبي وطرده من المدينة

وأعطيت مروان خمس العباد ظلما لهم وحميت الحمى

ومال أتاك به الأشعري من الفياء أنهبته من ترى



بطاعة الله، ويحذره من ارتكاب معاصيه، ويروي عن رسول الله ﷺ ما سمعه منه في فضائل أهل بيته عليه وﷺ ويحضهم على التمسك بعترته، فكتب معاوية إلى عثمان: أما بعد فإن أبا ذر يصبح إذا أصبح ويمسي إذا أمسى وجماعة من الناس كثيرة عنده، فيقول: كيت وكيت، فإن كان لك حاجة في الناس قبلي فأقدم أبا ذر إليك، فإنني أخاف أن يفسد الناس عليك. والسلام.

فكتب إليه عثمان: أما بعد فاشخص إليّ أبا ذر حين تنظر في كتابي هذا. والسلام. فبعث معاوية إلى أبي ذر فدعاه وأقرأه كتاب عثمان، وقال له: النجا! الساعة! فخرج أبو ذر إلى راحلته فشدّها بكورها وأنساعها، فاجتمع إليه الناس فقالوا له: يا أبا ذر رحمك الله أين تريد؟ قال: أخرجوني إليكم غضبًا (أو غضبًا) علي. (١)

فمضى حتى قدم عثمان، فلما دخل عليه قال له: لا قرب الله بعمر وعينًا، فقال أبو ذر: والله ما سماني أبوي عمرًا، ولكن لا قرب الله من عصاه، وخالف أمره، وارتكب هواه، فقام إليه كعب الأبحار فقال له: ألا تتقي الله يا شيخ تجبه أمير المؤمنين بهذا الكلام؟ فرفع أبو ذر عصًا كانت في يده فضرب بها رأس كعب، ثم قال له: يا ابن اليهوديين، ما كلامكم مع المسلمين؟ فوالله ما خرجت اليهودية من قلبك بعد، فقال عثمان: والله لا جمعتني وإياك دار! قد خرفت وذهب عقلك! أخرجوه من بين يدي حتى تركبوه قتب ناقته بغير وطاء، ثم انجوا به الناقة وتعتوه حتى توصلوه الربذة، فانزلوه بها من غير أنيس، حتى يقضي الله فيه ما هو قاض، فأخرجوه متعتًا ملهوزًا بالعصي، وتقدم ألا يشيعه أحدٌ من الناس، فبلغ ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فبكى حتى بل لحيته بدموعه، ثم قال: أهكذا يصنع بصاحب رسول الله ﷺ؟ إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم نهض ومعه الحسن والحسين ﷺ وعبد الله بن العباس والفضل وقثم وعبيد الله حتى لحقوا أبا ذر

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٢٢ / ٣٩٥؛ عن مجالس المفيد

فشيوعه، فلما بصر بهم أبو ذر رحمه الله حنَّ إليهم وبكى عليهم، وقال: بأبي وجوهٌ إذا رأيتها ذكرت بها رسول الله ﷺ وشملتني البركة برؤيتها، ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إني أحبهم، ولو قطعت إرباً إرباً في محبتهم ما زلت عنها ابتغاء وجهك والدار الآخرة، فارجعوا رحمكم الله والله أسأل أن يخلفني فيكم أحسن الخلافة، فودعه القوم ورجعوا وهم يبكون على فراقه.

وفي هذا المقام قال له الإمام عليٌّ ؑ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ، فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ، إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ، وَخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ، وَاهْرُبْ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ؛ فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَيَّ مَا مَنَعْتَهُمْ، وَأَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ! وَسَتَعَلَّمُ مِنَ الرَّابِحِ غَدًا، وَالْأَكْثَرُ حُسْدًا.»

وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ كَانَتَا عَلَى عَيْدٍ رَتَقًا، ثُمَّ اتَّقَى اللَّهُ، لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجًا! لَا يُؤْنَسَنَّ إِلَّا الْحَقُّ، وَلَا يُوْحَشَنَّ إِلَّا الْبَاطِلُ، فَلَوْ قَبِلَتْ دُنْيَاهُمْ لِأَحْبُوكَ، وَلَوْ قَرَضَتْ مِنْهَا لِأَمْنُوكَ. (١)

التفسير الثاني ونهاية حياته غريباً

تورط مؤرخو مدرسة الخلفاء^(٢) في موضوع التفسير إلى الربذة،^(٣) وأنه كيف مات فيها؟ وهنا حتى مواقع القبور^(٤) تكون شواهد على ما حدث لأصحابها، لذلك

(١) الشريف الرضي: نهج البلاغة؛ من كلام الامام علي ص ١٨٨

(٢) وتخلص الطبري في تاريخه ٢٨٣ / ٤، من ذلك بالقول «قد ذكر في سبب إشخاصه إياه منها إليها (من) المدينة إلى الربذة) أمور كثيرة كرهت ذكر أكثرها»

(٣) الربذة: جنوب شرقي المدينة المنورة، وتبعد عنها حوالي ٢٠٠ كيلومتر.

(٤) هل لهذا ارتباط بالعلاقة المتشنجة التي يحملها أتباع المدرسة السلفية لقضية القبور؟ فوق ما يدعون من أن زوارها يدعون المدفونين فيها؟ نعم قد يكون القبر شاهداً على التاريخ، فقبر فاطمة ؑ باختفائه وغيابه المتعمد يصبح دليل سخط على من سلبها حقها، وتفرق قبور أهل البيت يميناً وشمالاً في غير



اقترحوا حلًّا مضحكًا وهو أن يكون ذلك بطلب من أبي ذر نفسه! واقتراحه على الخليفة أن يبعثه هناك! حيث لا زرع ولا ضرع ولا أنيس! فإذا كان ذلك باقتراحه فلماذا يُنهى عن تشييعه حين خروجه إلى حد التهديد بالعقوبة لمن يفعل؟! هل هناك عاقل يخرج من جوار رسول الله ﷺ حيث المعنى الأكبر للبركة والرحمة، ومن بيته في المدينة حيث الراحة النسبية، ليخرج وهو قد تجاوز السبعين من العمر مع زوجته وابنته ليضرب في الصحراء خيمته ويعيش منتظرًا أجله!

ولم يكن معه بعد ذلك إلا ابنته وزوجته (وفي رواية أن زوجته توفيت قبله)، حينما حانت منه الوفاة، فأوصاها بأنه سيأتي ركب إليه لجنائزته، كما أخبره بذلك النبي ﷺ في حديثه المعروف بين الفريقين: «رحمك الله يا أبا ذر، تعيش وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك».

وبينما جنازته في داخل الخيمة «إذا برهط قد أقبلوا من بيت الله الحرام، منهم الأحنف بن قيس التميمي وصعصعة بن صوحان العبدي ومالك الأشتر النخعي وآخرين.. فطلبت منهم تجهيزه كما أخبرها أبو ذر قبل موته، فاستجابوا لها وباشروا في تجهيزه، ولما سووا عليه التراب قام الأشتر على قبره فحمد الله وأثنى عليه وذكر نبيه محمدًا صلوات الله عليه، ثم قال: اللهم! هذا أبو ذر جندب بن جنادة بن سكن الغفاري صاحب رسولك محمد ﷺ، اتبع ما أنزلت من آياتك، وجاهد في سبيلك، ولم يغير ولم يبدل، ولكن رأى منكراً فأنكره بلسانه وقلبه، فحُقر وحُرم حتى افتقر وضيّع حتى مات غريباً في أرض غربة، اللهم! فأعطه من الجنة حتى يرضى، واقصم من طرده وحرمه ونهاه من مهاجره حرم رسولك محمد ﷺ»^(١).

بلادهم يكون رمزا لمظلوميتهم، فلم لا يكون قبر أبي ذر كذلك؟ وهو في وسط صحراء مهجورة؟

(١) بن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح ١١٢/٢

ملحق في وصية النبي لأبي ذر الغفاري

روى الشيخ الصدوق في كتابه الأمالي بسنده عن أبي الأسود الدؤلي قال: قدمت الربذة فدخلت على أبي ذر جندب بن جنادة فحدثني أبو ذر، قال: دخلت ذات يوم في صدر نهاره على رسول الله ﷺ في مسجده، فلم أر في المسجد أحدًا من الناس إلا رسول الله ﷺ وعلي ﷺ إلى جانبه جالس، فاغتنمت خلوة المسجد، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي أوصني بوصية ينفعني الله بها. فقال: نعم! وأكرم بك يا أبا ذر، إنك منا أهل البيت، وإني موصيك بوصية إذا حفظتها فإنها جامعة لطرق الخير وسبله، فإنك إن حفظتها كان لك بها كفلان.

يا أبا ذر، اعبد الله كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه ﷻ يراك، واعلم أن أول عبادته المعرفة به فإنه الأول قبل كل شيء فلا شيء قبله، والفرد فلا ثاني معه، والباقي لا إلى غاية، فاطر السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من شيء، وهو الله اللطيف الخبير، وهو على كل شيء قدير، ثم الإيمان بي والاقرار بأن الله ﷻ أرسلني إلى كافة الناس بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، ثم حب أهل بيتي الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا.

واعلم يا أبا ذر، أن الله تعالى جعل أهل بيتي كسفينة النجاة في قوم نوح، من ركبها نجا، ومن رغب عنها غرق، ومثل باب حطة في بني إسرائيل من دخلها كان آمنًا. يا أبا ذر، احفظ ما أوصيتك به تكن سعيدًا في الدنيا والآخرة.

يا أبا ذر، نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ.

يا أبا ذر، اغتتم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك. يا أبا ذر، إياك



والتسوية بأملك، فإنك بيومك ولست بما بعده، فإن يكن غدٌ لك تكن في الغد كما كنت في اليوم له، وإن لم يكن غدٌ لك لم تندم على ما فرطت في اليوم. يا أبا ذر، كم من مستقبلٍ يومًا لا يستكملُه ومنتظرٌ غدًا لا يبلغه. يا أبا ذر، لو نظرت إلى الأجل ومسيره لأبغضت الأمل وغروره.

يا أبا ذر، كن في الدنيا كأنك غريب وكعابر سبيلٍ، وعد نفسك في أهل القبور. يا أبا ذر، إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من صحتك قبل سقمك، ومن حياتك قبل موتك، فإنك لا تدري ما اسمك غدًا.

يا أبا ذر، إياك أن تدرك الصرعة عند الغرة فلا تُمكن من الرجعة، ولا يحمدك من خلقت بما تركت، ولا يعذرک من تُقدم عليه بما به اشتغلت. يا أبا ذر، ما رأيت كالنار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها.

يا أبا ذر، كن على عمرک أشحَّ منك على درهمك ودينارك. يا أبا ذر، هل ينتظر أحدكم إلا غنى مطغياً، أو فقراً منسياً، أو مرضاً مضنياً، أو هرمًا مفندًا، أو موتًا محيرًا أو الدجال فإنه شر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر.

يا أبا ذر، إن شر الناس عند الله تعالى يوم القيامة عالمٌ لا ينتفع بعلمه، ومن طلب علمًا ليصرف به وجوه الناس إليه لم يجد ربح الجنة.

يا أبا ذر، إذا سئلت عن علم لا تعلمه فقل: لا أعلمه. تنج من تبعته، ولا تُفت الناس بما لا علم لك به تنج من عذاب يوم القيامة.

يا أبا ذر، يطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم من أهل النار يقولون: ما أدخلكم النار، وإنما دخلنا الجنة بفضل تادييكم وتعليمكم! فيقولون: إنا كنا نأمركم بالخير

ولا نفعله.

يا أبا ذر، إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد، وإن نعم الله ﷻ أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أمسوا تائبين وأصبحوا تائبين.

يا أبا ذر، إنكم في ممر الليل والنهار في آجال منقوصة وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة، فمن يزرع خيراً يوشك أن يحصد رغبة، ومن يزرع شراً يوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع ما زرع.

يا أبا ذر، لا يسبق بطيء بحظه، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له، ومن أعطي خيراً فالله ﷻ أعطاه، ومن وقى شراً فإن الله وقاه.

يا أبا ذر، المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة. يا أبا ذر، إن المؤمن ليرى ذنبه كأنه تحت صخرة يخاف أن تقع عليه، والكافر يرى ذنبه كأنه ذباب مر على أنفه.

يا أبا ذر، إن الله إذا أراد بعبد خيراً جعل الذنوب بين عينيه ممثلة. يا أبا ذر، لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى من عصيت. يا أبا ذر، إن نفس المؤمن أشد تقلباً وخيفة من العصفور حين يقذف به في شرك.

يا أبا ذر، من وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب حظه، ومن خالف قوله فعله فذلك المرء إنما يوبخ نفسه. يا أبا ذر، إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه. يا أبا ذر، إنك إذا طلبت شيئاً من الآخرة واتبعته تيسر لك، وإذا رأيت شيئاً من أمر الدنيا واتبعته عسر عليك، فإنك على حال خشيته. يا أبا ذر، لا تنطق فيما لا يعينك فإنك لست منه في شيء وأحرز لسانك كما تحرز رزقك.

يا أبا ذر، إن الله ﷻ ليدخل قوماً الجنة فيعطيهم حتى تنتهي أمانتهم، وفوقهم



قومٌ في الدرجات العلى، فإذا نظروا إليهم عرفوهم فيقولون: ربنا إخواننا كنا معهم في الدنيا، فبم فضلتهم علينا؟ فيقال: هيهات، إنهم كانوا يجوعون حين تشبعون، ويظمأون حين تروون، ويقومون حين تنامون، ويشخصون حين تخفضون.

يا أبا ذر، إن الله تعالى جعل قرّة عيني في الصلاة وحبها إليّ كما حبب إليّ الجائع الطعام، وإلى الظمآن الماء، فإن الجائع إذا أكل الطعام شبع، وإذا شرب الماء روي، وأنا لا أشبع من الصلاة.

يا أبا ذر، إن الله تعالى بعث عيسى بن مريم بالرهبانية، وبعثت بالحنيفية السمحة، وحببت إليّ النساء والطيب، وجعلت في الصلاة قرّة عيني.

يا أبا ذر، أيما رجل تطوع في يوم اثنتي عشرة ركعة سوى المكتوبة، كان له حقاً واجباً بيت في الجنة.

يا أبا ذر، صلاة في مسجدي هذا تعدل مائة ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة في غيره، وأفضل من هذا كله صلاة يصلّيها الرجل في بيته حيث لا يراه إلا الله ﷻ يطلب بها وجه الله تعالى.

يا أبا ذر، إنك ما دمت في الصلاة فإنك تقرع باب الملك، ومن يكثر قرع باب الملك يفتح.

يا أبا ذر، ما من مؤمن يقوم إلى الصلاة إلا تناثر عليه البرّ ما بينه وبين العرش، ووكل به ملك ينادي: يا بن آدم، لو تعلم ما لك في صلاتك ومن تناجي ما سئمت ولا التفت. يا أبا ذر، طوبى لأصحاب الألوية يوم القيامة، يحملونها فيسبقون الناس إلى الجنة، ألا وهم السابقون إلى المساجد بالأسحار وغيرها.

يا أبا ذر، لا تجعل بيتك قبراً، واجعل فيه من صلاتك يضيء بها قبرك..^(١)

كما أن شيخ الطائفة أيضاً نقل عنه وصية أخرى مختصرة، سمعها من النبي ﷺ، وهو جالس في المسجد وحده بينما كانت تلك الأولى معه عليّ ﷺ، وهنا لا توجد إشارة إلى وجود الإمام ﷺ، وعباراتها مختلفة عن الأولى، بالإضافة إلى أنه هذه مختصرة كما قلنا بالقياس للأولى.

وبحسب ما جاء في هاتين الوصيتين من حرص أبي ذر على كلام النبي ﷺ، وحرص النبي على بيان منزلة أبي ذر حيث هو (مناً أهل البيت) ويلحظ أن النبي بدأ معه في الوصية الأولى من العقائد الأصلية من التوحيد والإيمان بالنبي ثم الاعتقاد بأهل البيت والسير على منهاجهم وهذا الأخير هو جوهر الصراع بعد النبي، وأساس حركة أبي ذر الغفاري.

وكذلك نلاحظ اهتمام أبي ذر بالاستفادة من فرصة خلو المسجد ليأخذ من النبي توجيهها ووصية قد لا يحظى بها في غير هذه الفرصة وقد لا يهتم بها غيره حتى في هذه الفرصة.

ومن خلال ما جاء في هذه الوصية نلتقي مع شخصية علمية متقدمة في الفهم العقائدي، ومستقبلية للتربية الروحية والأخلاقية، على خلاف ما يصوره كتاب ومؤرخو مدرسة الخلفاء من إظهاره بمظهر الثائر الفوضوي البغيض!^(٢)

(١) الطوسي؛ محمد بن الحسن: الأمالي ٥٥٧، والوصية طويلة نقلنا منها أقل من ربعها. وقد شرحنا

الوصية في كراس خاص، كما استشهد بمضامينها فقهاء الطائفة في مواضع مختلفة

(٢) ذكرنا في كتابنا من قصة الديانات والرسول، وعند الحديث عما كان في كتب الأنبياء السابقين ولا سيما صحف إبراهيم وموسى شيئاً عن هذا ونحيل إليه حيث جاء فيه: «إن أبا ذر الغفاري وخلاًفاً للصورة التي يصورها عنه كتاب التاريخ الأموي والرسمي، في المسلمين من أنه كان شخصية فوضوية عنيفة، لكي يدافعوا بذلك عن معاوية بن أبي سفيان وربما عن مواقف الخليفة عثمان.. يظهر بصورة عالم



والوصية الثانية كذلك بل هي أوضح في إظهار الشخصية العلمية لأبي ذر الغفاري فإليك بعض سطور تلك الوصية:

الوصية النبوية الثانية لأبي ذر

قال أبو ذر رضي الله عنه: ودخلت يوماً على رسول الله ﷺ وهو في المسجد جالس وحده، فاغتنمت وحدته فقال: يا أبا ذر، إن للمسجد تحية. قلت: وما تحيته، يا رسول الله؟ قال: ركعتان تركعهما. ثم التفت إليه فقلت: يا رسول الله، أمرتني بالصلاة، فما الصلاة؟ قال: خير موضوع، فمن شاء أقل، ومن شاء أكثر.

قلت. يا رسول الله، أي الأعمال أحبُّ إلى الله ﷻ؟ قال: الإيمان بالله، ثم الجهاد في سبيله. قلت: يا رسول الله، أي المؤمنين أكملهم إيماناً؟ قال: أحسنهم خلقاً. قلت: فأَيُّ المؤمنين أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من يده ولسانه. قلت: أي الهجرة أفضل؟ قال: من هجر السوء. قلت: فأَيُّ الليل أفضل؟ قال: جوف الليل الغابر. قلت: فأَيُّ الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت. قلت: فأَيُّ الصدقة أفضل؟ قال: جهد من مُقِلَّ إلى فقير في سر. قلت: فما الصوم؟ قال: فرَضٌ مجزٍ وعند الله أضعاف ذلك. قلت: فأَيُّ الزكاة أفضل؟ قال: أعلاها ثمناً، وأنفسها عند أهلها. قلت: فأَيُّ الجهاد أفضل؟ قال: من عقر جواده، وأهرق دمه. قلت: وأي آية أنزلها الله عليك أعظم. قال: آية الكرسي. قلت يا رسول الله، فما كانت صحف إبراهيم ﷺ؟ قال: كانت أمثالاً كلها وكان فيها: أيها الملك المسلط المبتلى، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردّها وإن كانت من كافر أو فاجر فجوره على نفسه.

دقيق النظر وساع وراء المعرفة من رسول الله ﷺ ذلك أن سؤال المرء هو ترجمان عقله، وأسئلة أبي ذر تلك تنبي عن عقله ومعرفته»

وكان فيها أمثال: وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات. ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يتفكر في صنع الله تعالى، وساعة يحاسب فيها نفسه فيما قدم وأخر، وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال في المطعم والمشرب، وعلى العاقل ألا يكون ظاعناً إلا في ثلاث: تزود لمعاد، أو مرمة لمعاش، أو لذة في غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، فإن من حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه. قلت: يا رسول الله، فما كانت صحف موسى ﷺ؟ قال: كانت عبراً كلها، وفيها: عجب لمن أيقن بالنار ثم ضحك، عجب لمن أيقن بالموت كيف يفرح، عجب لمن أبصر الدنيا وتقلبها بأهلها حالاً بعد حال ثم هو يطمئن إليها، عجب لمن أيقن بالحساب ثم لم يعمل! قلت: يا رسول الله، فهل في الدنيا شيء مما كان في صحف إبراهيم وموسى ﷺ مما أنزل الله عليك؟ قال: اقرأ يا أبا ذر ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾^(١). قلت: يا رسول الله، أوصني. قال: أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس أمرك كله. فقلت: يا رسول الله، زدني. قال: عليك بتلاوة القرآن، وذكر الله ﷻ، فإنه ذكر لك في السماء، ونور لك في الأرض. قلت: يا رسول الله، زدني. قال: عليك بالجهاد، فإنه رهبانية أمتي. قلت: يا رسول الله، زدني. قال: عليك بالصمت إلا من خير، فإنه مطرد الشيطان عنك، وعون لك على أمور دينك. قلت: يا رسول الله، زدني. قال: إياك وكثرة الضحك، فإنه يميت القلب، ويذهب بنور الوجه. قلت: يا رسول الله، زدني. قال: انظر من هو تحتك، ولا تنظر إلى من هو فوقك، فإنه أجدر ألا تزدرى نعمة الله عليك. قلت: يا رسول الله، زدني. قال: صل قرابتك وإن قطعوك، وأحب المساكين، وأكثر مجالستهم. قلت: يا رسول الله،



زدني. قال: قل الحق وإن كان مُرًّا. قلت: يا رسول الله، زدني. قال: لا تخف في الله
لومة لائم. قلت: يا رسول الله، زدني. قال: يا أبا ذر، ليحجزك عن الناس ما تعرف
من نفسك، ولا تجد عليهم فيما تأتي، فكفى بالرجل عيباً أن يعرف من الناس ما
يجهل من نفسه، ويجد عليهم فيما يأتي.

قال: ثم ضرب على صدري وقال: يا أبا ذر، لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالکف،
ولا حسب كحسن الخلق.^(١)

(١) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٥٧١



عمار بن ياسر: راية الفئة الهادية

استشهد في صَفْرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال:

(عمار ملاً إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه)^(١)

من هو عمار بن ياسر؟

عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة من مذحج اليمن، جاء أبوه وعمّاه إلى مكة بحثاً عن أحد أقاربهم، وبينما رجع العمّان إلى اليمن بقي ياسر في مكة، وحالف أبا حذيفة بن المغيرة المخزومي، وزوجه أبو حذيفة إحدى جواريه سمية بنت خياط فولدت له عمّاراً في نفس الفترة التي ولد فيها النبي محمد ﷺ، فهو من أتراب النبي وأقرب الناس له في عمره. وعرف عمار بأبي اليقظان.

(١) الواحدي النيسابوري: أسباب نزول الآيات ص ٩٠ وكل من وصل إلى آية (إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) ذكره، وفي فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢/ ٨٥٨ بهذا النص: «عمارٌ ملىءَ إيماناً إلى مُشاشِهِ».

وعاش حياته في دائرة بني مخزوم وضمن حياتهم العادية، إلى أن بعث رسول الله ﷺ بالنبوة ودعا الناس لعبادة ربهم وترك عبادة الأصنام. وهزّت تلك الدعوة المجتمع المكي هزة عنيفة، حيث صارت حديث الكبار والصغار والسادة والمستضعفين، أولئك خوفاً على مصالحهم وسيطرتهم وهؤلاء تطلعاً إلى حياة كريمة وطلباً للانسجام بين عقولهم وبين ممارساتهم العبادية..

وضمن هذا الإطار فقد اتجه عمار باحثاً عن النبي ودعوته، وحيث بلغه أنه يجلس مع المسلمين في دار الأرقم بن أبي الأرقم وهي محل سري وخاص، صادف عند مجيئه الدار صهيب بن سنان الرومي، فسأل كل منهما الآخر عن سبب قدومه إلى هذا المكان.

فسأل صهيب عماراً عن ذلك، فأجابه عمار: بأنه جاء لسمع من محمد ﷺ ويرى ماذا يقول؟

فقال صهيب بأنه جاء لذات السبب أيضاً.

فدخلوا معاً واستمعا من رسول الله ﷺ فأمنوا به وبرسالته، فخرج عمار إلى والديه -ياسر وسمية- وأبلغهما بدعوة النبي ومبادئه وما قرأه عليه، وحين أعلننا إسلامهما كإسلامه جُنّ بنو مخزوم، إذ كان آل ياسر بمثابة العبيد بالنسبة للقبيلة المخزومية، ولم يكن إيمان العبيد أو كفرهم بذاته مهماً لبني مخزوم وإنما كان يقلقهم ذلك لما يشكله من نقطة ضعف لها في وقت كانت تتنافس على الرئاسة مع سائر القبائل في قريش، وكان إيمان أحد أفراد هذه القبيلة أو غلمانها يُعد سوء إدارة وعدم سيطرة ويمكن القبائل الأخرى من الاحتجاج عليها بالقول: كيف لكم أن تديروا مجتمعاً وتصبحوا رؤساء فيه وأنتم لا تستطيعون السيطرة على غلمانكم؟!!



ولكي تثبت هذه القبيلة أنها جديرة بالثقة، لا بد لها من أن تصب ألوان العذاب على من يؤمن برسول الله ﷺ من أبنائها أو حلفائها أو عبيدها. وإلا فلم تكن عبادة الأصنام عند سادة القبائل جادة إلى هذا المقدار!

لهذا صبت بنو مخزوم جام غضبها على أسرة عمار - هو ووالديه - بعدما عرفت بإسلامهم، فأذاقوهم صنوف العذاب فكانوا يلبسونهم أدرع الحديد ويخرجونهم في حر الظهيرة ويلقون بهم على الرمضاء فتصهرهم حرارة الشمس إضافة إلى تعريضهم للجلد، فنالوا من العذاب ما نالوا، إلى أن مرّ عليهم رسول الله ﷺ فتأثر لحالهم وقال لهم: (صبراً يا آل ياسر، فإنّ موعدكم الجنة)، وقال لهم أيضاً (صبراً يا آل ياسر، اللهم اغفر لآل ياسر، وقد فعلت).

فلم يلبث الوالد ياسر أن مات تحت التعذيب، وأما والدته - سمية - فكانت أكثر مقاومةً حيث لم تمت تحت التعذيب فأزعجت هؤلاء القرشيين بأنها لم تتكلم بكلمة واحدة ضد رسول الله ﷺ وكان بعض زعماء قريش يمرون بها ومنهم أبو جهل - عمرو بن هشام المخزومي وهو المرشح لرئاسة القبيلة - فيهددونها كي تقول كلمة واحدة فقط تشتم فيها محمداً أو تذكر الهتهم بخير لكي لا تكسر كبرياءهم بصمتها، وهي تصر على صمتها صامدة فتفتت بذلك هيكل شخصياتهم أمام غيرهم، فاستشاط أبو جهل غضباً وأخذ حرباً وطعنها في قلبها فذهبت شهيدة إلى ربها.

أما عمار فبلغ منه الألم مبلغه وكان وقت ذلك في نحو الأربعين عاماً وكاد يموت تحت التعذيب حيث كان يرمس وجهه في الماء ويمنع من التنفس حتى يكاد يختنق ثم يُرسل وهكذا فأعطاهم ما يريدون من لسانه وذكر الهتهم بخير.

وحين جاء عمار في اليوم الثاني إلى رسول الله ﷺ باكياً وهو في شدة الأسى والحزن يخفي وجهه عن النبي، وهو يقول: يا رسول الله ما تركوني إلا بعد أن ذكرت آلهتهم بخير، في حين جاء بعض المُزايدين يتتقدونه ويعيرونه بالقول: لقد كفر عمار! فإذا بالنبي يقول: (عمار مُلئ إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه).

إسلام عمار وبداية أهم التشريعات الدينية

حادثة تعذيب عمار كانت بداية تشريع ديني هو من التشريعات الدينية للمؤمنين وهو تشريع التقية، وقد نزل بها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١) التي يقول عنها الإمام الصادق ﷺ: (التقية ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقية له)^(٢). فهي دينٌ ومن لا تقية له لا دين له.

ولا يخفى أن بعض المخالفين لمذهب أهل البيت ﷺ وهم يعيرون على الشيعة الإيمان بالتقية والعمل بها، في الغالب لم يفهموا حقيقتها واعتبروها من النفاق!! مع أنها تعاكسه تماماً. وفي كثير من الأحيان يكون هؤلاء المخالفون للتقية ممارسين لها إذا صارت ظروفيهم تقتضيها، فهم يمارسونها من دون أن يأتوا باسمها!

ولو نظر المخالفون في تاريخ قاداتهم الدينيين لوجدوا أنهم عملوا بالتقية في زمان الحجاج الثقفي، وفي زمان المأمون والمعتصم العباسي في قضية (خلق القرآن) ومعاقبة من يظهر خلاف رأي الخليفة.

(١) النحل: ١٠٦

(٢) لمراجعة أحاديث التقية ينظر الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٣٦



مكانة عمار لدى النبي ﷺ

كانت حفاوة النبي ﷺ بعمار لا حدود لها، فبعد أن هاجر النبي إلى المدينة، وتبعه عمار أقبل عمار على تنفيذ أوامر رسول الله ﷺ في بناء المجتمع المسلم بكل قوته، وكان النبي يلحظ ذلك، فلا غرابة أن اختار له للمؤاخاة حذيفة بن اليمان^(١) والذي كان عارفاً بأسماء المنافقين والخطوط المنحرفة في الأمة، وكان لا يترك مناسبة إلا وأشاد بفضله، فمنذ الأيام الأولى كان عمار قد اقترح أن يصنع للرسول ﷺ عريشة ما لبثت أن تطورت وأصبحت مسجد قباء، وفي بناء المسجد النبوي كان هو الأكثر حماساً ونشاطاً بالرغم من كونه حينها قد تخطى الثالثة والخمسين، فبينما كان الشباب من الصحابة يرفعون لبنة واحدة، كان عمار يحمل لبنتين، ويهرول بهما بهمة الشباب وهو يرتجز:

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعداً

ومن يرى عن التراب حائدا

وحين تهدده بعض المنعمين الأثرياء من المسلمين بأنه سيكسر أنفه بالعصا ظاناً أن عماراً يعرض به، انتصر الرسول لعمارٍ وقال: مالهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار.

وحين اشتبك معه أحدهم وشاتمته قال النبي: من يعادٍ عماراً يعاده الله!

وإذا رآه مقبلاً قال مرحباً بالطيب بن الطيب!.

(١) المستدرک للنیشابوری ٣ / ٤٣٥؛ نعتقد في المؤاخاة أن النبي ﷺ قد اختار الأشخاص للمؤاخاة في الجملة على أساس التشابه الفكري والنفسي بينهم، فلا غرابة أن اختص علياً بن أبي طالب لنفسه أخصاً.. وبالطبع هذه الفكرة تحتاج إلى مقدار أكبر من التأمل والتتبع.

شهد عمار مع النبي ﷺ مشاهده كلها، فكان النبي ﷺ يلاحظه ويبيدي علاقته به ويشير إلى محبته وكان النبي ﷺ يكرر تقتلك الفئة الباغية آخر شرابه ضياح من لبن وتقتله الفئة الباغية..

ومن فم رسول الله ﷺ تعلم عمار التشيع والمناصرة لأمير المؤمنين ﷺ والتزم بهذا النهج إلى آخر أيام حياته مبلغاً عنه وموصياً الأمة بانتهاجه فكم أثر عنه القول: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «أَوْصِي مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَصَدَّقَنِي بِوِلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، مَنْ تَوَلَّاهُ فَقَدَ تَوَلَّانِي، وَمَنْ تَوَلَّانِي فَقَدَ تَوَلَّى اللَّهَ، وَمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ فَقَدَ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي فَقَدَ أَحَبَّ اللَّهَ ﷻ»» (١).

مشاركة عمار في قتال مسيلمة الكذاب أيام الخليفة الأول

لما توفي النبي ﷺ كان عمار قد بلغ نحو ٦٣ سنة وكان من جملة النفر الذين اعترضوا على الخليفة الأول وقد سبق أن نقلنا بعض أقوالهم، ولكن ذلك لم يمنعه من المشاركة في قتال مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة.

نعم لم يشارك في الحروب الخاطئة التي كانت من حيث الأصل تحمل مشاكل أو من حيث التنفيذ والقيادة، كالذي حصل مع مالك بن نويرة التميمي اليربوعي وقومه، وهو من خيرة صحابة رسول الله ﷺ حتى لقد ورد عن النبي ﷺ فيه: من أحب أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة فليُنظر إلى هذا الرجل، فلم يشترك فيها عمار ولا نعلم عن مشاركة أحد من أصحاب أمير المؤمنين ﷺ، بل لقد أقسم بعض الصحابة الذين رأوا تصرف قائد الحملة العسكرية على قوم مالك بن نويرة أن لا

(١) الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار ١١٦/١



يكونوا في جيش يكون أميره خالد بن الوليد.^(١)

أما قضية المعركة مع مسيلمة الكذاب فهي معركة واضحة المعالم ففيها هناك ادعاء كاذب وواضح للنبوة من قبل مسيلمة وكانت تهدد بنحو من الأنحاء الوجود الإسلامي فالمسلمون جميعا مخاطبين للحفاظ على الكيان الإسلامي فشارك فيها عمار فقال بعضهم: رأيت عمار يقاتل وينادي بالناس وقد قطعت إحدى أذنيه في تلك المعركة. فالرجل لم يمنعه الموقف المبدئي تجاه الخليفة الأول وهو موقف وقفه أمير المؤمنين عليه السلام.

أيام الخليفة الثاني واليًا على الكوفة

وقد يشير هذا التعيين وذاك التفاعل في زمان الخليفة الأول أسئلة حول الموقف الحقيقي لعمار وأضرابه من المخلصين للإمام علي عليه السلام، في تفسير هذه الخطوات من الطرفين؛ تعيين الخليفة لمثل عمار، وسلمان، وقبول هؤلاء هذا التعيين والتجاوب معه.

وقد سبق أن أشرنا إلى جانب من الجواب عند الحديث عن سلمان الفارسي، ونكمل الحديث هنا، فنقول:

يفسر بعض الباحثين هذه الخطوة من الخليفة وقبول أصحاب علي بها، بأن الخليفة الثاني وهو يستعرض أسماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، رأى أن أكثر الناس أمانة وتدينًا وكفاءة هم أولئك الذين كانوا في ركاب علي عليه السلام، فهم الذين كانوا أكثر

(١) ذكر ذلك عن أبي قتادة الأنصاري وهو من كبار صحابة النبي كما في مصنف عبد الرزاق الصنعاني ١٠ / ١٧٤ قال بعد أن ذكر قصة خالد مع زوجة مالك بن نويرة، «فَكَانَ أَبُو قَتَادَةَ يَحْلِفُ لَا يَعْزُومَعَ خَالِدٍ

تضحية ابتداءً من أيام البعثة ومرورًا بسنوات الهجرة والمعارك، وهؤلاء ضحوا وعملوا في سبيل الله ولم ينتظروا جزاءً ولا شكورًا فمبدأهم الأمانة والإخلاص، لذلك قام بتوليّتهم باعتبار أنهم الأفضل ويستشهدون بقول الخليفة نفسه^(١): إنما وليت عماراً لتحقيق قول الله ﷻ فيه ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٢) وهذا الرأي يتوافق مع التاريخ الرسمي والنظرة الإيجابية لعمل الخلفاء وغالبًا ما يتبنى هذا الرأي اتباع مدرسة الخلفاء.

ويستشهد أصحاب هذا الرأي بما كتبه الخليفة لأهل الكوفة كما ورد: «قُرِيَ عَلَيْنَا كِتَابُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ أَمِيرًا وَابْنَ مَسْعُودٍ مُعَلِّمًا وَوَزِيرًا. وَقَدْ جَعَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ عَلَى بَيْتِ مَالِكُمْ. وَإِنَّهُمَا لَمِنَ النَّجْبَاءِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ. فَاسْمَعُوا لَهُمَا وَأَطِيعُوا وَاقْتَدُوا بِهِمَا. وَقَدْ أَثَرْتُكُمْ بِابْنِ أُمِّ عَبْدِ (ابن مسعود) عَلَى نَفْسِي وَبَعَثْتُ عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ عَلَى السَّوَادِ».^(٣)

ويذهب آخرون إلى رأي آخر هو: أن الخليفة عمل موازنة سياسية؛ فلم يكن يريد أن يعين الولاة والموظفين العاميين من طيف واحد بل من أطراف مختلفة وتوجهات متباينة فأعطى بني أمية الشام وأعطى بعض أتباع أمير المؤمنين ﷺ مثل سلمان الفارسي المدائن وعمار الكوفة وما شابه ذلك، فالقضية تأتي في نظر هؤلاء ضمن إرادة سياسية فإن أي خليفة وحاكم عندما يريد أن ينجح في إدارته وحاكمه يعين من كل الاتجاهات.

بل ربما ذهب أصحاب هذا الرأي بعيدًا في القول بأن كون المقربين من الإمام

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ١/ ١٦٣

(٢) سورة القصص، الآية ٥

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/ ١٩٣



علي في داخل الحكومة يمنع من العمل ضدها بل قد يظهر أن رجال هذا التيار حالهم في الإقبال على الدنيا إذا حصلت لهم كحال غيرهم، وبالتالي فادعائهم الانصراف عن الدنيا والزهد فيها إنما هو لأنهم لم يحصلوا عليها.

عمار في زمن الخليفة الثالث

كان الوضع في زمن الخليفة عثمان متأزماً ومتشنجاً بين مؤسسة الخلفاء وبين أكثر المسلمين وكان الكثير من الصحابة ينقمون على الخليفة مُحاباته لأقربائه وهؤلاء في الغالب إما كانوا من أعدى أعداء رسول الله - حتى لقد طرد بعضهم من المدينة وأهدر دم بعضهم الآخر -^(١) أو على الأقل لم يكونوا في نصرته الإسلام لا في العير ولا في النفير..

وقد ذكر المؤرخون الكثير مما نقمه المسلمون آنئذ على الخليفة،^(٢) وإن تفاوتت

(١) منهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح - أخو عثمان من الرضاعة - وعندما أسلم هذا في بداية الأمر قيل طلب منه أن يكتب ما ينزل من الوحي بالقرآن، في وقت كان من يتقن الكتابة قليلون، فلما استقدم للكتابة كان خائناً فربما أملى عليه رسول الله ﷺ ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ١٨١] فكتب «عَلِيمٌ حَكِيمٌ». فافتتن عبد الله بن سعد وقال: ما يدري محمد ما يقول، إنني لأكتب له ما شئت، هذا الذي كتبت يوحى إلي كما يوحى إلى محمد!! وهكذا كان يبذل الآيات كما أقر بذلك حين ارتد ورجع إلى مكة، فأهدر النبي ﷺ دمه فلما فتحت مكة جاء به أخوه عثمان وادخله على رسول الله باعتراب القرابة. وقد كان النبي ﷺ ينتظر احداً ليقوم ويقتله باعتبار أن دمه مهدور فلم يقم احد فخرج عثمان ومعه عبد الله فسألهم النبي ما منعكم أن تقوم رجل منكم إلى هذا الكلب فيقتله، أو قال: «الفاسيق»؟ فقال عبادة بن بشر: ألا أومأت إلي يا رسول الله؟ فوالذي بعثك بالحق، إنني لأتبع طرْفك في كل ناحية، رجاء أن تُشير إلي فأضرب عنقه.. مختصراً من الطبقات الكبرى ١/٤٤٨.. وهو نفسه الذي سوغه الخليفة عثمان خراج مصر يصنع به ما يشاء! وأعطاه في افريقيا.

(٢) وقد تعرض لها العلامة الأميني في كتابه الغدير ضمن الحديث عن حياة الخليفة عثمان فليراجع. وقد نقل المرحوم الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه الشيعة في الميزان ص ٧٠ إلى ٧٤ عن كتاب يوم الإسلام، للدكتور أحمد أمين المصري بصورة مختصرة ما نقمه المسلمون عليه، فجاء بثلاثة عشر

ردود فعلهم، وكان أكثر الناس نصحًا له أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، بالكلام الطيب والموعظة الحسنة، بينما اجتمع صحابة آخرون وعزموا على كتابة كتاب للخليفة يخبرونه فيه بما نقمه الناس عليه، وكان منهم عمار بن ياسر والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسلمان الفارسي وكتبوا اعتراضاتهم على الخليفة فأخذها إليه عمار فاستأذن عليه، فأذن له في يوم شاتٍ، فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم وأهله من بني أمية، فدفَع إليه الكتاب فقراءه، فقال له: أنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: نعم، قال: ومن كان معك؟ قال كان معي نفر تفرقوا فرَّقًا منك، قال: من هم؟ قال: لا أخبرك بهم. قال: فلم اجترأت عليّ من بينهم؟

فقال مروان: يا أمير المؤمنين إن هذا العبد الأسود -يعني عمارًا- قد جرأ عليك الناس، وإنك إن قتلته نكلت به من وراءه، قال عثمان: اضربوه، فضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه، فغشي عليه، فجروه حتى طرحوه على باب الدار، فأمرت به أم سلمة زوج النبي ﷺ، فأدخل منزلها، وغضب فيه بنو المغيرة وكان حليفهم، فلمَّا خرج عثمان لصلاة الظهر، عرض له هاشم بن الوليد بن المغيرة،

عنوانا هكذا: وقال أحمد أمين في ص ٥٨: « وكان أهم ما نقم الناس على عثمان:

١- طلب منه عبد الله بن خالد بن اسيد الاموي صلة، فأعطاه اربعمائة الف درهم. ٣- أعاد الحكم بن العاص بعد أن نفاه رسول الله، وأعطاه مائة ألف درهم. ٣- صدق رسول الله بموضع سوق المدينة على المسلمين، فأعطاه عثمان للحارث الأموي. ٤- أعطى مروان فدكا، وقد كانت فاطمة طلبتها بعد أبيها، فدفعت عنها. ٥- حمى المراعي حول المدينة كلها من مواشي المسلمين كلهم إلا عن بني أمية. ٦- أعطى عبد الله بن أبي السرح جميع ما أفاء الله من فتح إفريقيا بالمغرب، من غير أن يشرك فيه أحدا من المسلمين. ٧- أعطى أبا سفيان مائتي ألف ومروان مائة ألف من بيت المسلمين في يوم واحد. ٨- أتاه أبو موسى الاشعري بأموال كثيرة من العراق، فقسمها كلها في بني أمية. ٩- زوج الحارث بن الحكم، فأعطاه مائة ألف من بيت المال. ١٠- نفى أبا ذر رحمه الله إلى الربذة، لمناهضته معاوية في كنز الذهب والفضة. ١١- ضرب عبد الله بن مسعود، حتى كسر أضلاعه. ١٢- عطل الحدود، ولم يرد المظالم، ولم يكف الايدي العادية. ١٣- كتب إلى عامله في مصر يأمره بقتل قادة الثورة..



فقال: أما والله لئن مات عمار من ضربه هذا لأقتلنَّ به رجلاً عظيماً من بني أمية، فقال عثمان: لست هناك»^(١).

ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي واجه عمار تعنيفاً من سلطة الخلافة ولا المرة اليتيمة التي ضُرب فيها، فقد سبقتها أخرى حين جاء نعي أبي ذر الغفاري، «وبلغ ذلك عثمان فقال: رحمك الله يا أبا ذر! فقال عمار بن ياسر: فرحم الله أبا ذر من كل قلوبنا! قال: فغضب عثمان ثم قال: يا كذا وكذا^(٢) أتظن أنني ندمت على تسييره إلى ربذة؟ قال عمار: لا والله ما أرى ذلك! قال عثمان: ادفعوا في قفاه، وأنت فالحق بالمكان الذي كان فيه أبو ذر ولا تبرحه أبداً ما بقيت وأنا حيٌّ، فقال عمار: والله إن جوار السباع لأحب إلي من جوارك، ثم قام عمار فخرج من عنده. قال: وعزم عثمان على نفي عمار»^(٣).

عمار في أيام أمير المؤمنين عليه السلام

وجاءت أيام أمير المؤمنين عليه السلام ليتنفس عمارُ الصعداء بعد هذا المسير المتعب والمنهك لما يقارب الـ ٢٥ عاماً من زمن وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، فهشَّ لها عمار وبشَّ واستبشر، ورأى أن الحق وصل لأصحابه ورجعت الخلافة إلى حيث ينبغي أن تكون. فشارك مع أمير المؤمنين عليه السلام بحماسة الشباب وهو في التسعين من العمر. فتألق عمار في هذه الفترة، وله أشعار تعبر عن انشراح صدره وخاطره في وصول الخلافة لأمر المؤمنين عليه السلام بعدما تأخرت كل هذه الفترة الزمنية الطويلة.

(١) الدينوري، ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، (تحقيق الزيني) ١/ ٣٦

(٢) كلمة شتيمة قبيحة

(٣) ابن أعثم الكوفي، أحمد: الفتوح ٢/ ١١٢

ففي فترة التحشيد لمعركة الجمل^(١) أقبل إلى الكوفة وقد سمع أبا موسى الأشعري (وكان لا يزال والياً على الكوفة) يخذّل عن أمير المؤمنين ﷺ، فلما رآه كذلك وقد بعثه الإمام في جماعة ومعهم الإمام الحسن المجتبي ﷺ، وكان أبو موسى يروي عن النبي أنه قال بأن ستكون هناك فتنة يكون القعود فيها خيراً من القيام، ولا ينبغي المساهمة فيها وقد طبق ذلك على معارك أمير المؤمنين ﷺ، فجاءه عمار وقال: يا أبا موسى أنشدك الله ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول: مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وأنا سائلك عن حديثٍ فإن صدقت وإلا بعثتُ عليك من أصحاب رسول الله ﷺ مَنْ يُقَرِّرُكَ بِهِ، أنشدك الله، أليس إنما عنك رسول الله ﷺ أنت نفسك، فقال: إنها ستكون فتنة بين أمّتي أنت يا أبا موسى فيها نائماً خيراً منك قاعداً، وقاعداً خيراً منك قائماً، وقائماً خيراً منك ماشياً، فخصّك رسول الله ﷺ ولم يعمّ الناس، فخرج أبو موسى ولم يرّدّ عليه شيئاً^(٢).

فشارك في حرب الجمل مشاركة فعالة ومهمة كما شارك في صفين، وله فيها قولاته المشهورة إضافة إلى صولاته على كبر سنه، فقد قال عنه من رآه في تلك المعركة «رأيتُ عمّار بن ياسرٍ يومَ صفينَ شيخاً طوّالاً أخذَ الحربَ بيده ويدهُ ترعدُ، فقال: «والذي نفسي بيده، لقد قاتلتُ بهديه مع رسولِ الله ﷺ ثلاثَ مرّاتٍ، وهذه

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١/ ٩ كان أمير المؤمنين قد بعث محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر الكوفة، استنفرا الناس، فدخل قوم منهم على أبي موسى ليلاً، فقالوا له أشر علينا برأيك في الخروج مع هذين الرجلين إلى علي ﷺ، فقال أما سبيل الآخرة فالزموا بيوتكم، وأما سبيل الدنيا فاشخصوا معهما فمنع بذلك أهل الكوفة من الخروج وبلغ ذلك المحمدين، فأغلظا لأبي موسى، فقال أبو موسى: والله إن بيعة عثمان لفي عنق عليّ وعنقي وأعناقكما، ولو أردنا قتالا ما كنا لنبدأ بأحد قبل قتلة عثمان فخرجا من عنده.. فأرسل أمير المؤمنين ﷺ ابنه الحسن وعمارا بن ياسر وزيد بن صوحان وقيس بن سعد بن عبادة، لعزل أبي موسى الأشعري عن الكوفة.. ويفترض أن نقاش عمار لأبي موسى وتوجيهه حديث رسول الله إليه خاصة كان في هذه القضية.

(٢) ابن عساکر؛ أبو القاسم: تاريخ دمشق ٣٢/ ٩٢، والسيوطي: الجامع الكبير ٢١/ ٢٨٤



الرَّابِعَةُ» ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ ضَرَبُونَا حَتَّى يَبْلُغُوا بِنَا سَعَفَاتِ هَجَرَ لَعَرَفْتُ أَنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ»^(١): أن هذه الـراية -راية معاوية- قاتلتها ثلاث مرات مع رسول الله، وهذه هي المرة الرابعة؛ قاتلته في بدر وأحد والأحزاب والآن مع أمير المؤمنين عليه السلام هذه المعركة ليست أقل من تلك المعارك، فهي نفس المعركة ونفس الجبهة ونفس الجنود.

وكان عمار في هذه المعركة عنواناً للحق، فكما كان في حياته مقياساً للحق مع أمير المؤمنين عليه السلام كانت شهادته عنواناً ومقياساً وكما قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: آخر شرابك من الدنيا ضياح من لبن وتقتلك الفئة الباغية.

فلما استشهد عمار وقتله أبو العادية من جنود معاوية، تذكر من كان في صفوف معاوية هذا الحديث.

وهذا بقدر ما كان منقبة لعمار بن ياسر أنه يصبح علامة على (بغي) معاوية وعمرو بن العاص لبقى ذلك مصباحاً ينفع المستضيئين في طول التاريخ الإسلامي حول شخصية هذين الرجلين، ويحدد الموقف من الفئة الباغية بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو مثلبة ليس فقط للفئة التي بقيت باغيةً واستمرت عاديةً وإنما حتى لمن تغير موقفهم بعد شهادة عمار وأبصروا الحق! وكونه مثلبة ومنقصة لهم لأن عيناً لا تبصر حق أمير المؤمنين وعدالة قضيته من خلاله وإنما من خلال أتباعه هي عين عشواء، لا بصيرة فيها. إن عماراً مهما كانت منزلته ليس إلا تابعاً لأمر المؤمنين عليهم السلام، وإنما بلغ تلك المنزلة لأنه اتبع أمير المؤمنين وإلا بدون ذلك سوف يكون كآلاف من شهد الرسول وصحبه ثم لم يحسن الصحبة ولم يواصل الدرب الصحيح!

ولكن كما ذكرنا فإن المناقب والأحاديث التي كان يقولها رسول الله صلى الله عليه وسلم في

حق الأشخاص كان يراد منها تصحيح المسيرة وهداية الناس بعده ولم يكن النبي كـبعض القادة الذين يوزعون الألقاب وأنواط الشجاعة هكذا! وعلى كل حال فإنه بعد استشهاد عمار وهو يناهز الـ ٩٤ عاماً تحيّد قسم من جيش الشام عن المعركة لما بلغهم عن رسول الله ﷺ .

وينقل المؤرخون حوادث متعددة تشير إلى تلك الحالة، فمن ذلك ما نقل أن عبد الله بن عمرو بن العاص وهو يعد عندهم من أوعية العلم وحفظ الحديث حتى انتهره بعض القرشيين^(١) على كثرة اهتمامه بحديث رسول الله (لأن ذلك سوف يحرجهم ويقف أمام اجتهاداتهم!!).

فعن أبي عبد الرحمن السلمي: شهدنا صفين فكنّا إذا تواعدنا دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء، وهؤلاء في عسكر هؤلاء، فرأيت أربعة يسيرون: معاوية بن أبي سفيان، وأبو الأعور السلمي، وعمرو بن العاص وابنه فسمعت عبد الله بن عمرو يقول لأبيه عمرو: قد قتلنا هذا الرجل، وقد قال رسول الله ﷺ فيه ما قال: قال: أي الرجل؟ قال: عمار بن ياسر أما تذكر يوم بنى رسول الله ﷺ المسجد، فكنّا نحمل لبنه لبنه، وعمارٌ يحمل لبنتين لبنتين، فمرّ على رسول الله ﷺ يحمل لبنتين لبنتين وأنت ممن حضر، قال: «أما إنك ستقتلك الفئة الباغية، وأنت أهل الجنة» فدخل عمرو على معاوية، فقال: قتلنا هذا الرجل، وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، فقال: اسكت فوالله ما تزال ترخص في بولك، نحن قتلناه إنما قتله علي وأصحابه جاءوا به حتى ألقوه بيننا!.

(١) حنبل؛ أحمد بن: مسند أحمد مخرجا ١١/٤٠٦.. عن عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ، أريد حفظه، فنهتني فريش عن ذلك، وقالوا: تكتب ورسول الله ﷺ يقول في الغضب والرضا؟ فأمسكت، حتى ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ؟ فقال: «أكتب، فوالذي نفسي بيده، ما أخرج منه إلا حق»..



وكذلك الحال فيما نقل عن عمرو بن حزم، فإنه: لَمَّا قُتِلَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ: دَخَلَ عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ عَلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ: قُتِلَ عَمَّارٌ وَقَدْ سَمِعْتُ، رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ» فَقَامَ عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ حَتَّى دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: مَا سَأَلْتَنِي؟ فَقَالَ: قُتِلَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، فَقَالَ: قُتِلَ عَمَّارٌ، فَمَاذَا؟ قَالَ عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ» فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: أَنْحَنُ قَتْلَانَهُ إِنَّمَا قَتَلَهُ عَلِيٌّ وَأَصْحَابُهُ؟ جَاءُوا بِهِ حَتَّى أَلْقَوْهُ بَيْنَ رِمَاحِنَا أَوْ، قَالَ: سَيُوفِنَا»^(١).

أقول: كان جيش الشام -ولا يزال يسير على نفس تلك الخطى الاتجاه الأموي في المؤرخين والمؤلفين- يستفيد من الخديعة في الدين والتلبيس على الناس للحصول على الدنيا، وإلا فإن معنى ما قاله معاوية بن أبي سفيان عن أن من قتل عماراً هو الذي أخرجه يعني علياً أمير المؤمنين، معنى ذلك أن يكون قاتل حمزة بن عبد المطلب هو رسول الله ﷺ لأنه أخرجه للقتال وليس وحشياً بأمر هند! وأنه ﷺ هو قاتل شهداء المسلمين في بدر وأحد وخيبر والأحزاب وسائر المعارك، لأنهم إنما خرجوا بأمره!

وهذه الخديعة بالرغم من وضوح خطلها وخللها إلا أنها انطلت على أولئك الحمقى الذين قال عنهم معاوية نفسه أنه يقاتل بقوم لا يفرقون بين الناقة والبعير!^(٢) ونفس هذا الاتجاه الأموي المعاصر يكرر ذات الخديعة عندما يقول بأن الذي

(١) النيشابوري ٣/ ٤٣٧ قال: صَحِيحٌ عَلَى شَرِطِهِمَا، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِهَذِهِ السِّيَاقَةِ

(٢) المسعودي؛ علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر ٣/ ٣٢ «دخل رجل من أهل الكوفة على بعير له إلى دمشق في حالة منصرفهم عن صفين فتعلق به رجل من دمشق فقال: هذه ناقتي، أخذت مني بصفين، فارتفع أمرهما إلى معاوية، وأقام الدمشقي خمسين رجلاً بينة يشهدون أنها ناقتي، ففضى معاوية على الكوفي، وأمره بتسليم البعير إليه، فقال الكوفي: أصلحك الله! إنه جمل وليس بناقة، فقال معاوية: هذا حكم قد مضى، ودس إلى الكوفي بعد تفرقهم فأحضره، وسأله عن ثمن بعيره، فدفع إليه ضعفه وبره، وأحسن إليه، وقال له: أبلغ علياً إنني أقاتله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل!

قتل الحسين (عليه السلام) هم شيعته لأنهم هم الذين دعوه للخروج.

ولأن هؤلاء الزعماء لا يستقيم لهم الأمر من دون الاستمرار في التغفيل والخداع فقد استعانوا بالمنامات والأحلام ليصالحوا بين الفئة الهادية والفئة الباغية! ويفرشون للجميع القباب في الجنة! وكأنما الدنيا كانت تمثيلية ومسرحية لا يترتب على الجاني فيها عقاب ولا على المحسن ثواب!

ولا يهم، فإذا كان بالإمكان أن يخدع أولئك بالقول: إنما قتله من أخرجه من بيته لا الذي قطع رأسه بالسيف! فليؤمن هؤلاء بأن الجميع في الجنة يسرحون ويمرحون! إن العقل (الطبل) الذي يصدق ذلك لن يعسر عليه أن يصدق هذا، فاسمع إلى هذا الكلام: «رَأَى عَمْرُو بْنُ شَرْحِبِيلَ أَبُو مَيْسَرَةَ. وَكَانَ مِنْ أَفْضَلِ أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ (بن مسعود). فِي الْمَنَامِ قَالَ: رَأَيْتُ كَأَنِّي أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا قِيَابٌ مَضْرُوبَةٌ. فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: لِذِي الْكَلَّاعِ وَحَوْشَبِ. وَكَانَا مِمَّنْ قُتِلَ مَعَ مُعَاوِيَةَ. قَالَ قُلْتُ: فَأَيْنَ عَمَّارٌ وَأَصْحَابُهُ؟ قَالُوا: أَمَامَكَ. قَالَ قُلْتُ: وَقَدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. قِيلَ إِنَّهُمْ لَقُتُوا لِلَّهِ فَوَجَدُوهُ وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ. قُلْتُ: فَمَا فَعَلَ أَهْلَ النَّهْرِ؟ قِيلَ: لَقُوا بَرَحًا»^(١).

قال: أَخْبَرَنَا قَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي الضُّحَى قَالَ: رَأَى أَبُو مَيْسَرَةَ فِي الْمَنَامِ رَوْضَةً خَضْرَاءَ فِيهَا قِيَابٌ مَضْرُوبَةٌ فِيهَا عَمَّارٌ وَقِيَابٌ مَضْرُوبَةٌ فِيهَا ذُو الْكَلَّاعِ. قَالَ قُلْتُ: كَيْفَ هَذَا وَقَدْ اقْتَتَلُوا؟ قَالَ: فَقِيلَ لِي وَجَدُوا رَبًّا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ»^(٢).

فانحلت المشكلة: القاتل والمقتول في الجنة! والهادي والباغي في الجنة! والتحويل على بنك (واسع المغفرة) والمصدر لكل ذلك هو منام رآه شخص لا

(١) أي عذابا!! يعني أن الله كان واسع المغفرة فقط لأصحاب معاوية أما أهل النهروان فلا!

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٣ / ١٩٩



نعلم ماذا أكل قبل نومه!!

قضى عمار بن ياسر شهيداً في ركاب ولاية أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)، وهل كان يليق به غير الشهادة؟ لو مات على فراشه لتأخر عن والديه، ولما كملت درجاته! وبقيت سيرته كحسرة أمير المؤمنين (عليه السلام) عليه حيّة، حيث عاد إلى الكوفة ليؤبنه بأكثر من مقال، فتارة يقول: «إِنَّ أَمْرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَعْظُمَ عَلَيْهِ قَتْلُ ابْنِ يَاسِرٍ وَتَدْخُلُ بِهِ عَلَيْهِ الْمُصِيبَةُ الْمُوجِعَةُ لَغَيْرِ رَشِيدٍ. رَحِمَ اللَّهُ عَمَارًا يَوْمَ أَسْلَمَ. وَرَحِمَ اللَّهُ عَمَارًا وَمَا يُذَكِّرُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَةٌ إِلَّا كَانَ رَابِعًا وَلَا خَمْسَةٌ إِلَّا كَانَ خَامِسًا.»^(١)

وأخرى يتحسر عليه وعلى نظرائه من الأصحاب الشهداء، «...أين إخواني الذين ركبوا الطريق، ومضوا على الحق، أين عمار وأين ابن التيهان، وأين ذو الشهادتين، وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة. ثم ضرب (عليه السلام) بيده على لحيته الشريفة الكريمة، فأطال البكاء، ثم قال: أوّه على إخواني الذين قرأوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنّة، وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه».



المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي

نقطة مشعة في أسرة كانت أجيالها السابقة عليه لا تساعده على أن يكون في هذا الموقع وهو موقع الشهادة مع أمير المؤمنين عليه السلام.

ولقد كان له من اسمه نصيبٌ، فهو المهاجر فعلاً، هاجر خط أسرته وارتباطاتها ومصالحها إلى الله ورسوله ووليه.. فلنكن مع أسلافه أولاً وأقاربه حيث أحيط بدائرة غير منسجمة مع الخط الرسالي العلوي.

وبالرغم مما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام في الثناء على أسرته بني مخزوم^(١) إلا أن

(١) الشريف الرضي: نهج البلاغة، خطب الإمام علي تحقيق صبحي الصالح ص: ٤٩٠ وسئل عليه السلام عَنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ: «أَمَّا بَنُو مَخْزُومٍ فَرَيْحَانَةُ قُرَيْشٍ نُحِبُّ حَدِيثَ رِجَالِهِمْ وَالنِّكَاحَ فِي نِسَائِهِمْ..» وبالطبع هذا الحديث وأمثاله لا بد أن يؤخذ مع ملاحظة القرائن الزمانية والمكانية التي تحف به، فإن حديثهم عليه السلام على أقسام؛ فمنه ما يكون لبيان الأحكام الشرعية وينطبق عليه «حلال محمد حلال إلى يوم القيامة» وهذا لا يتأثر بزمان أو مكان، وهناك ما يكون على نحو القضاء في قضايا (واقعية وخارجية) فلا تتعدى موردها مثل ما روي أن النبي قال لأحدهم في قضية: أنت ومالك لأبيك! ومنها ما تحف به قرائن تجعل دائرته ضيقة، مثل روي عن النبي من قوله: خير نساء ركب الإبل نساء قريش.. فقد ذكر في عدة مناسبات لعل أولاهما ذكره الواقدي في المغازي ٢ / ٨٦٧ مما وقع بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن عباد حيث قال سعد بن عباد: قَدْ كَانَ يُدْكَرُ لَنَا مِنْ نِسَاءِ قُرَيْشٍ حُسْنٌ وَجَمَالٌ، مَا رَأَيْنَا هُنَّ كَذَلِكَ!

ذلك لا يتصل بالضرورة بالتقييم العقدي والدور الإيماني لتلك الأسرة.

الوليد بن المغيرة المخزومي:

جدّ المهاجر هو أحد المستهزئين الذين نزلت فيهم الآية المباركة ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(١) وصاحب القصة المعروفة مع رسول الله ﷺ، ورسول قريش (لإقناع) النبي بترك دعوته للتوحيد، والمفاوضة معه للتوقف عن مهاجمة ديانة قريش وأصنامهم فها هو يأتي إلى النبي ﷺ، ثم يعود لكبار قومه من قريش فقال: قَدْ سَمِعْتُ الشَّعْرَ رَجَزَهُ وَقَرِيضَهُ وَمُخَمَّسَهُ فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ يَعْنِي الْقُرْآنَ مَا هُوَ بِشَعْرٍ إِنَّ لَهُ لِحَلَاوَةً وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً وَإِنَّ لَهُ لَنُورًا وَإِنَّ لَهُ لَفَرَعًا وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى^(٢).. فقالوا: فهذا سحر الأولين اكتبه، قال: لا أدري إن كان شيئاً فعسى هو إذا سحر يؤثر، فقرأ: (فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ)^(٣) قال: قتل كيف قدر حين قال: ليس بشعر، ثم قتل كيف قدر حين قال: ليس بكهانة. وقوله: (ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ)^(٤) يقول تعالى ذكره: ثم ولي عن الإيمان والتصديق.^(٥)

قَالَ: فَغَضِبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَقَعَ بِسَعْدٍ وَأَغْلَطَ عَلَيْهِ، فَفَرَّ مِنْهُ سَعْدٌ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَاذَا لَقِيتَ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَالَهُ؟ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ. قَالَ: فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى كَانَ وَجْهُهُ لَيَتَوَقَّدُ، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتَهُنَّ وَقَدْ أُصِبْنَ بِأَبَائِهِنَّ وَأَبْنَائِهِنَّ وَإِخْوَانِهِنَّ وَأَزْوَاجِهِنَّ، خَيْرٌ نِسَاءً رَكِبْنَ الْإِبِلَ نِسَاءً قُرَيْشٍ! أَخْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ، وَأَبْدَلُهُ لِرِزْقٍ بِمَا مَلَكَتْ يَدُ!

(١) الحجر: ٩٥-٩٦

(٢) الأصبهاني؛ أبو نعيم: دلائل النبوة ١/ ٢٣٤

(٣) سورة المدثر، الآية ٢١-٢٢.

(٤) سورة المدثر، الآية ٢٣

(٥) الطبري، أبو جعفر: تفسير الطبري (جامع البيان) ت شاكر ٢٤/ ٢٥



وكان من الطبيعي ألا يصدق النبي ودعوته إذ كان يرى نفسه عظيم مكة الذي لو كان مقررًا أن ينزل وحي على أحد فيها فلن يتخطاه! أو يتخطى عظيم ثقيف في الطائف! أما أن ينزل على رجل يتيم لا مال له ولا زعامة فهذا ما لا يكون. ومات هذا الرجل بعد كفاية الله لنبيه إياه، وسائر المستهزئين المشركين، بميتات لا يتمونها!

هذا هو الجد، وأما الوالد فهو خالد بن الوليد القائد العسكري، الذي حالف السيف والقتال، وتأخر إسلامه إلى قبيل فتح مكة بينما يذكر المؤرخون له موقفًا مميزًا في صف المشركين في غزوة أحد، حيث التف بجيشهم واستغل غفلة الرماة عن أمر رسول الله ﷺ وقاد هجومًا قاسيًا على المسلمين! وعندما أسلم لم يعرف له موقف مميز في صف أهل البيت ﷺ، بل تتحدث الأخبار عن أنه دخل في نزاع مع أمير المؤمنين علي ﷺ عندما أرسله النبي ﷺ إلى اليمن بعد ارسال خالد إليها وعدم دخول أهلها الإسلام^(١)، وبعد ذلك حدثت له حادثة تبرأ النبي ﷺ من فعله فيها حيث تعجل وأخذ يقتل أشخاصًا كانوا يريدون الإسلام^(٢)، وباستثناء هذه الحوادث وهي في سنوات قليلة من معاصرته للنبي ﷺ، من الواضح أنه لم تكن مواقفه

(١) الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي ت بشار ٣/٢٥٩.. أن النبي ﷺ بعث جيشين وأمر على أحدهما علي بن أبي طالب، وعلى الآخر خالد بن الوليد، فقال: إذا كان القتال فعلي، قال: فافتتح علي حصنًا فأخذ منه جارية، فكتب معي خالد بن الوليد إلى النبي ﷺ يشي به، فقدمت علي النبي ﷺ، فقرأ الكتاب، فتغير لونه، ثم قال: ما ترى في رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، قال: قلت: أعود بالله من غضب الله، وغضب رسوله، وإنما أنا رسول، فسكت. قوله: يشي به، يعني: النيمة.

(٢) الصنعاني؛ عبد الرزاق: مصنف عبد الرزاق ١٠/١٧٤ بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني - أحسبه قال - جذيمة فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا، يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبنًا صبنًا، فجعل خالد قتلاً وأسراً، قال: ودفع إلى كل رجل منا أسيرًا، حتى إذا كان يومًا، أمرنا خالد أن يقتل كل واحد منا أسيره، قال ابن عمر، قلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، فقدمنا النبي ﷺ فذكر له صنع خالد فقال النبي ﷺ ورفع يديه: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد» وكذلك ذكره النسائي وغيره ممن تعرض لهذا الموضوع.

متناغمة مع ما كان يريده النبي ﷺ سواء في الموقف من الوصي أو في استعمال طريق التوثق والتأكد قبل القتل، وغير ذلك نجد غياباً لأخباره ولا ندري ما هو السبب باستثناء مشاركات عسكرية في معارك كمعركة مؤتة -يختلف في تحليل دوافعها الباحثون-.

لكنه يظهر بعد ذلك في عمل لم يتحمله أصحاب النبي ﷺ ممن هم على منهاج الوصي، بل حتى مثل الخليفة عمر بن الخطاب في قضية خالد المشهورة^(١) مع مالك بن نويرة وقومه، وما فعل مع زوجة مالك على أثر ذلك. فإن ما حدث كان فضيحة بكل المقاييس لخط الخلافة، ولهذا طالب عمرُ أبا بكر الخليفة أن يقيم عليه الحد،^(٢) أو على الأقل أن يعزله عن قيادة الجيش، ولما لم يفعل الخليفة الأول لأسباب غير معلومة حيث أن فكرة التأول والخطأ ليست مقنعة! كما أن الكلام عن أن لله سيفاً لا ينبغي أن يُغمد، خاطئة تماماً تعتمد على أن الغاية تبرر الوسيلة مهما كانت الوسيلة خاطئة بل مخالفة للأهداف الإسلامية، لما لم يفعل الخليفة الأول ذلك، قام الخليفة عمر بعد توليه مباشرة بعزل خالد عن قيادة الجيش وجعله مجمّداً إلى أن توفي سنة ٢١ هـ في الشام.

أجواء الأب إذن لا تساعد على أن يكون ابنه المهاجر في طريق أهل البيت وولاية أمير المؤمنين ﷺ، وحال أخيه عبد الرحمن أشد سوءاً في هذا المجال فإنه يُعد من المبغضين لأمير المؤمنين ﷺ، وقد صرح بذلك كل من ذكره، فقد كان

(١) تعرضنا لها ولمصادرها في كتابنا رجال حول أهل البيت ج ١ عند الحديث عن الصحابي الجليل مالك بن نويرة اليربوعي التميمي.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى - متمم الصحابة - الطبقة الرابعة ١/ ٥٣٥ «بَلَّغَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَتْلَهُ مَالِكَ بْنَ نُؤَيْرَةَ وَتَزَوُّجَهُ امْرَأَتَهُ، فَقَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: إِنَّهُ قَدْ رَنَى، فَارْجُمَهُ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا كُنْتُ لِارْجُمَهُ، تَأَوَّلَ فَأَخْطَأَ. قَالَ: فَإِنَّهُ قَدْ قَتَلَ مُسْلِمًا، فَاقْتُلْهُ. قَالَ: مَا كُنْتُ لِأَقْتُلُهُ بِهِ، تَأَوَّلَ فَأَخْطَأَ. قَالَ: فَاعزله، قَالَ: مَا كُنْتُ لِأَشِيْمَ سَيْفًا سَلَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا!»



حليفاً للخليفة عثمان ومنسجماً مع الخط الأموي المناوي للإمام عليه السلام، ومكافأة له تم تعيينه والياً على مدينة حمص في الشام، فكان على دمشق معاوية وعلى حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وقد نفى إليه في أواخر عهد عثمان عدد من أعيان أهل الكوفة كمالك الأشتر وكميل بن زياد وصعصعة بن صوحان وأخيه زيد، وعمر وبن الحمق وآخرين فأذاهم وشتهم!

وعندما انتهت خلافة عثمان رفض بيعة أمير المؤمنين عليه السلام وباع معاوية فأبقاه معاوية على حمص، وخاض معركة صفين إلى جانب معاوية بن أبي سفيان بل قيل إن لواء معاوية الأعظم كان بيده.

وفي هذه العلاقات المصلحية وغير المبدئية كان من الطبيعي أن يموت عبد الرحمن قتلاً على يد حليفه ومن باع دينه لأجل دنيا ذلك الحليف! فكان أن جزاه جزاء سنمّار، وذلك أنهم ذكروا بأن معاوية وهو يهيئ لخلافة ابنه يزيد كان يخشى من المخالفين لتوليته بنفس المقدار الذي كان يخشى فيه منافسيه فبدأ يغتالهم واحداً بعد الآخر..

قال ابن عبد البر في الاستيعاب: إن معاوية لما أراد البيعة ليزيد خطب أهل الشام وقال لهم: يا أهل الشام! قد كبرت سني، وقرب أجلي، وقد أردت أن أعقد لرجل يكون نظاماً لكم، وإنما أنا رجل منكم، فأروني رأيكم، فأصفقوا واجتمعوا وقالوا: رضينا عبد الرحمن بن خالد، فشق ذلك على معاوية، وأسرّها في نفسه، ثم إن عبد الرحمن بن خالد مرض، فأمر معاوية طبيباً عنده يهودياً وكان عنده مكيماً أن يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها، فأتاه فسقاه فانخرق بطنه فمات. ^(١)

وفي تاريخ الطبري أن معاوية أمر ابن أثال أن يحتال في قتله، وضمن له إن هو

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/ ٨٣٠

فعل ذلك أن يضع عنه خراجه ما عاش، وأن يوليه جباية خراج حمص، فلما قدم عبد الرَّحْمَن بن خالد حمص منصرفاً من بلاد الروم دس إليه ابن أثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه، فشربها فمات بحمص، فوفى له مُعَاوِيَةَ بما ضمن له، وولاه خراج حمص، ووضع عنه خراجه.^(١)

هذه بيئته غير المساعدة ولكنه اختار الطريق الأمثل وبالرغم من أنه أدرك النبي ﷺ وهو غلام كما ذكروا في أحواله إلا أن ذلك لم يمنعه عن إدراك أن خط الولاية العلوي هو الأقرب والأكثر التصاقاً بالنبي ﷺ. وكذلك فإنه لاحظ فيما بعد كلمات أصحاب النبي الخلفاء كذي الشهادتين وحذيفة بن اليمان وأبي ذر وعمار وغيرهم في شأن أمير المؤمنين ومواقفهم معه، فكان أن تبلور هذا الخط في ذهنه تماماً، وجعله يلتصق به حتى وإن كانت بيئته مخالفة لأمر المؤمنين ﷺ.

ويذكر المؤرخون أنه بعد أن بايع كما بايع الناس أمير المؤمنين بالخلافة الظاهرية، شارك بحماسة منقطعة النظر في معارك الإمام ﷺ، فشارك في حرب الجمل وفيها أصيب حيث فقئت إحدى عينيه، ولم يمنعه ذلك من المشاركة في حرب صفين، وكان هو وأخوه عبد الرحمن فيها على طرفي نقيض ف فيما كان عبد الرحمن نصيراً للقاسطين المحاربين لوصي رسول الله ﷺ، و«الفئة الباغية» كما وصفهم الرسول المصطفى ﷺ، كان المهاجر مهاجراً إلى الله ورسوله ووليه ومن كان مع الحق، وكانت نهايته رضوان الله عليه في هذه الحرب شهيداً.

وقد بقي خط الموالاتة في أبنائه وذريته مما يفيدنا معرفة بأنه سعى في تربيتهم على هذا المنهج، فإنهم يذكرون أن ابنه خالدًا كان على طريقة أبيه في ولاء أهل البيت ﷺ دينياً، ومع بني هاشم اجتماعياً، الأمر الذي عرضه لنقمة عبد الله بن الزبير

(١) الطبري، ابن جرير: تاريخ الرسل والملوك ٥/ ٢٢٧



عندما سيطر على مكة وأعلن نفسه خليفة.

فعندما هدد ابن الزبير بني هاشم بأن يحرق عليهم دورهم وبيوتهم إن لم يبايعوه!! قام خالد بن المهاجر بالانضمام إلى بني هاشم في الشعب، وحين سيطر عبد الله بن الزبير على مكة وأصبح له فيها حامية وجند، أقام على خالد حد شرب الخمر..

قال أبو الفرج الأصفهاني «وكان خالد بن المهاجر على رأي أبيه هاشمي المذهب، ودخل مع بني هاشم الشعب، فاضطغن ذلك ابن الزبير عليه، فألقى عليه زق خمر، وصبّ بعضه على رأسه، وشنع عليه بأنه وجده ثملاً من الخمر، فضربه الحد.»^(١)

وكان خالد بن المهاجر شاعراً مجيداً، وله قصائد يرثي فيها الإمام الحسين عليه السلام منها:

أبني أُمِّيَّة هل علمتم أنني أحصيت ما بالطَّفِّ من قبر
صبَّ الإله عليكم غَضَبًا أبناء جيش الفتح أو بدر

إن سيرة حياة الوالد المهاجر والولد خالد تؤكد بما لا ريب فيه أن الانتماء العائلي والاسري ليس هو الذي يعين مواقف الانسان وطريقة حياته وإنما هو الوعي والمعرفة فإذا كان الشخص واعياً فقد يوافق عائلته وأسرته في مسيرتها وقد يخالفها وهذا هو المطلوب منه من الناحية الشرعية، فإنما يحاسب الانسان بمفرده ولن تنصره عائلته أو أسرته في يوم الحساب الالهي ولا يصح التفكير بنمط: وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

(١) الأصفهاني؛ أبو الفرج: الأغاني ١٦ / ١٣١

هنا يعلمنا المهاجر الشهيد في صفين المتمي لأمير المؤمنين ﷺ وابنه خالد أنه بالرغم من كون أسلافهما على غير هذا المنهج فإنهما لم يسيرا مع الأسلاف بعمى وإنما اختارا هذا الطريق ببصيرة وهداية.



جابر الأنصاري.. سبعة عقود إنتماء لآل محمد

روى جابر بن عبد الله الأنصاري رضوان الله تعالى عليه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من أحب قوماً حُشر معهم، ومن أحب عمل قوماً أشرك فيه).^(١)

تتناول هذه الصفحات عرضاً خاطفاً عن حياة صحابي عظيم، عاصر سبعة من المعصومين، وكان على خط استقامة وأنفق حياته التي تجاوزت تسعين سنة في إطار الإسلام والانتماء إلى الخط الصحيح فيه عندما تعددت الخطوط والتيارات. ذلك هو جابر الأنصاري.

من هو جابر بن عبد الله الأنصاري؟

هو جابر بن عبد الله بن حزام الخزرجي الأنصاري رضوان الله عليه، توفي سنة ٧٨ هجرية، أو ٧٤ هـ حسب اختلاف المؤرخين، لكن الاتفاق على أنه كان

(١) البروجردي؛ السيد حسين: جامع أحاديث الشيعة ١٦ / ٢١٩، وقد تم ذكره في مصادر مدرسة الخلفاء كما في المعجم الأوسط ٦ / ٢٩٣ للطبراني ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٠ / ٢٨٠ للهيثمي بعبارات مختلفة منها: المرء مع من أحب، ومنها أنت مع من أحببت، ومنها: لا يحب رجل قوماً إلا حشر معهم.. وقد ذكره الحاكم في المستدرک جازماً به بلا ذكر سند.

من أعظم المخلصين لرسول الله ﷺ والموالين لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم.

بيعته لرسول الله ﷺ في العقبة الثانية

يبدأ ذكر جابر بن عبد الله ضمن السبعين الأوائل الذين بايعوا رسول الله ﷺ في بيعة العقبة الثانية، فحينما بدأ النبي بدعوته المقدسة كان يستفيد من موسم الحج حيث يفد الناس من مختلف الأماكن إلى مكة ومنى للحج وهناك يقوم النبي بدعوتهم إلى الدين وتعريفهم بالإسلام، وكان قسم منهم يستجيب كأهل المدينة الذين آمنوا في البداية وبايعوا النبي وكان هؤلاء عشرة أشخاص، بعث على أثر ذلك لهم مصعباً بن عمير، وفي السنة التي تلتها وهي السنة الثالثة عشر من البعثة وقبل الهجرة بأشهر، جاء نحو سبعين رجلاً من المدينة لبيعة النبي في العقبة أيضاً، وكان منهم جابر بن عبد الله الأنصاري، وكان لا يزال شاباً حدث السن، ولعله كان أصغر الموجودين في هذه البيعة، ونحتمل أنه كان بحدود الثالثة عشر من العمر أو تزيد.

علاقته برسول الله ﷺ

منذ ذلك اليوم التصق جابر بالنبي ﷺ في علاقة استثنائية من المحبة والطاعة، حتى إذا هاجر النبي ﷺ إلى المدينة اندمج جابر في المجتمع المسلم بكل ما يستطيع، وكان مستعداً تمام الاستعداد للمشاركة في غزوة بدر، لكن أباه عبد الله بن حرام وهو أحد ممن بايع النبي لم يكن يسمح بأن تضيع عليه فرصة الجهاد في سبيل الله تحت راية النبي ولكن ما عساه يصنع وهو يعيل أسرة كبيرة كلها من النساء؟ فطلب من ابنه جابر أن يكون مع النساء ويرعاهن بينما يخرج الأب إلى بدر وهي تبعد نحو ١٥٠ كيلومتراً، وبالتالي سيستغرق مشوار الذهاب والعودة بالإضافة إلى



وقت المعركة أيامًا فكان أن بقي جابر في المدينة، لكنه لم يفوت عليه فيما بعد بدر -وقيل أحد- معركة أو سرية مع رسول الله ﷺ فشارك في تسع عشرة معركة من المعارك الأساسية والسرايا الفرعية..

وفي كل تلك كان يسجل له موقف المجاهد الصادق والمؤمن المضحي، وكان يحظى باهتمام رسول الله ﷺ ولم يكن هو ليضيع هذه الفرص النادرة من الاجتماع برسول الله ﷺ.

فها هو يعمل لرسول الله ﷺ ومن معه وهم عائدون من غزوة ذات الرقاع بيض نعام، وحين اراد الركب الحركة تأخر عن المسير فلفت ذلك نظر النبي ﷺ فسأله عن سبب تأخره فأشار إلى أن بعيه (بغير سوء) «فَأَنَاخَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعِيرَهُ فَقَالَ: أَمَعَكَ مَاءٌ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَجِئْتَهُ بِقَعْبٍ مِنْ مَاءٍ، فَنَفَثَ فِيهِ ثُمَّ نَضَحَ عَلَيَّ رَأْسَهُ وَظَهْرَهُ وَعَلَى عَجْزِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَعْطِنِي عَصًا. فَأَعْطَيْتُهُ عَصًا مَعِي - أَوْ قَالَ قَطَعْتَ لَهُ عَصًا مِنْ شَجَرَةٍ - قَالَ: ثُمَّ نَحَسَّهُ، ثُمَّ قَرَعَهُ بِالْعَصَا، ثُمَّ قَالَ: ارْكَبْ يَا جَابِرُ. قَالَ: فَرَكِبْتُ. قَالَ: فَخَرَجَ، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، يُوَاهِقُ نَاقَتَهُ مُوَاهِقَةً مَا تَفُوتُهُ نَاقَتُهُ»^(١)

ثم أقبل عليه يتفقد حاله من حيث زواجه، ولما علم أنه تزوج ثيبًا لملاحظة مسؤوليته تجاه أخواته والنساء اللاتي خلفهن أبوه وكأنه استحسن منه هذه التضحية، فلم يشأ أن يأتي لهن بفتاة مراهقة مثلهن تفتقد الحكمة وتجارب الحياة فتبدأ المشاكل بينهن، ففضل أن يتزوج ثيبًا من أجل هذا مع كونه في عز شبابه ولم يسبق له الزواج! فمن هذا الذي يعمل كذلك لمراعاة وضع أخواته ونساء أبيه؟ ولما علم بأنه لم يعمل له حفل زواج حتى على مستوى الإطعام لكون دين أبيه لا يزال قائمًا فلا قدرة له على الإطعام وأمثاله، وعده النبي ﷺ بأن يصنع طعامًا يكفي لعدة

مئات من الناس، ووعده بأن يكون له فراش وأنماط بمساعدة النبي ﷺ بل باشر ﷺ بالفعل بشراء بعيره - لعدم حاجته له بعد الوصول للمدينة - وأخبره بأنه إذا جاء وقت حصاد الرطب فليخبر النبي حتى يبارك في تمره ويسدد منه دينه وهكذا كان!

فقد نقل الواقدي تنمة خبر جابر بقوله: وجعلت أتحدث مع رسول الله ﷺ ثم قال: يا أبا عبد الله، أتزوجت؟ قلت: نعم. قال: بكرًا أم ثيبًا؟ فقلت: ثيبًا. فقال: ألا جارية تلاعِبُها وتلاعِبُك! فقلت: يا رسول الله، بأبي وأمي إن أبي أُصيبَ يوم أُحُدٍ وترك تسع بناتٍ، وتزوجت امرأةً جامعةً تلمَّ شعثهنَّ وتقوم عليهنَّ. قال: أصبت. ثم قال: إنا لو قدمنا صرارًا^(١) أمرنا بجزورٍ فنحرت، وأقمنا عليها يومنا ذلك، وسمعت بنا فنفضت نمارقها. قال، قلت: والله يا رسول الله، ما لنا نمارق. قال: أما إنها ستكون، فإذا قدمت فاعمل عملاً كيسًا. قال، قلت: أفعل ما استطعت. قال: ثم قال: بعني جمالك هذا يا جابر. قلت: بل هو لك يا رسول الله. قال:

لا، بل بعنيه. قال: قلت نعم، سمني به. قال: فإني أخذه بدرهم.

قال قلت: تغيني يا رسول الله، قال: لا، لعمرى! قال جابر: فما زال يزيدني درهماً درهماً حتى بلغ به أربعين درهماً - أوقيةً - فقال: أما رضىت؟ فقلت: هو لك. فقال: فظهره لك حتى تقدم المدينة. قال: ويقال إنه قال «أخذه منك بأوقية وظهره لك» فباعه على ذلك. قال: فلما قدمنا صرارًا أمر بجزورٍ فنحرت، فأقام به يومه ثم دخلنا المدينة.

ولما دخل المدينة وجاء يقود البعير وهبه رسول الله ﷺ الثمن والجمل!

ويظهر أنه في نفس المسير سأله عن دين والده، قائلاً ما فعل دين أبيك؟

(١) موضع على ثلاثة أميال من المدينة.



عَلَيْهِ انْتَضَرْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يُجِدَّ نَخْلَهُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

إِذَا جَذَذْتَ فَأَحْضِرْنِي قَالَ، قُلْتُ: نَعَمْ. ثُمَّ قَالَ: مَنْ صَاحِبُ دَيْنِ أَبِيكَ؟ فَقُلْتُ: أَبُو الشَّحْمِ الْيَهُودِيُّ، لَهُ عَلَى أَبِي سِتَّةٌ^(١) تَمْرٍ. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَمَتَى تَجِدُهَا؟ قُلْتُ: غَدًا. قَالَ: يَا جَابِرُ، فَإِذَا جَذَذْتَهَا فَاعْزِلِ الْعَجْوَةَ عَلَى حَدِيثِهَا، وَالْوَانَ التَّمْرِ عَلَى حَدِيثِهَا.

قَالَ: فَفَعَلْتُ، فَجَعَلْتُ الصَّيْحَانِيَّ عَلَى حَدِيَّةٍ، وَأُمَّهَاتَ الْجَرَادِينَ عَلَى حَدِيَّةٍ، وَالْعَجْوَةَ عَلَى حَدِيَّةٍ، ثُمَّ عَمَدْتُ إِلَى جُمَاعٍ مِنَ التَّمْرِ مِثْلَ نُخْبَةٍ وَقَرْنٍ وَشُقْحَةٍ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَنْوَاعِ، وَهُوَ أَقَلُّ التَّمْرِ، فَجَعَلْتُهُ حَبْلًا وَاحِدًا، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَخَبَّرْتَهُ، فَاذْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ، فَدَخَلُوا الْحَائِطَ وَحَضَرَ أَبُو الشَّحْمِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى التَّمْرِ مُصَنَّفًا قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ! ثُمَّ انْتَهَى إِلَى الْعَجْوَةِ فَمَسَّهَا بِيَدِهِ وَأَصْنَافَ التَّمْرِ، ثُمَّ جَلَسَ وَسَطَهَا ثُمَّ قَالَ: أَدْعُ غَرِيمَكَ. فَجَاءَ أَبُو الشَّحْمِ فَقَالَ: اكَتَلْ! فَاكَتَالَ حَقَّهُ كُلَّهُ مِنْ حَبْلِ وَاحِدٍ وَهُوَ الْعَجْوَةُ، وَبَقِيَّةُ التَّمْرِ كَمَا هُوَ. ثُمَّ قَالَ: يَا جَابِرُ، هَلْ بَقِيَ عَلَى أَبِيكَ شَيْءٌ؟ قَالَ، قُلْتُ: لَا. قَالَ: وَبَقِيَ سَائِرُ التَّمْرِ، فَأَكَلْنَا مِنْهُ دَهْرًا وَبَعْنَا مِنْهُ حَتَّى أَدْرَكَتِ الثَّمَرَةُ مِنْ قَابِلٍ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَقُولُ:

لَوْ بَعْتُ أَصْلَهَا مَا بَلَغَتْ مَا كَانَ عَلَى أَبِي مِنَ الدِّينِ، فَقَضَى اللَّهُ مَا كَانَ عَلَى أَبِي مِنَ الدِّينِ. فَلَقَدْ رَأَيْتَنِي وَالنَّبِيَّ ﷺ لَيَقُولُ: مَا فَعَلَ دَيْنُ أَبِيكَ؟ فَقُلْتُ: قَدْ قَضَاهُ اللَّهُ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جَابِرُ!

فَاسْتَغْفَرَ لِي فِي لَيْلَةِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً^(٢).

ولم يقتصر اهتمام النبي بجابر على هذه الأمور الشخصية والمادية، بل كان يهتم

(١) قيل إنها حوالي ستين صاعا

(٢) الواقدي؛ مغازي ١ / ٤٠٢

به فيما هو منجاته في الحياة الدينية، وتعيين الخط الصحيح إذا اختلفت الطرق.

فقد سمع من النبي أحاديثه في أن الأئمة هم من قريش وأنهم من بني هاشم وأنهم من ولد الحسين، بل أكثر من ذلك فقد أخبره النبي ﷺ، أنه سيبقى على قيد الحياة إلى أن يدرك الإمام محمدًا بن علي الباقر وكلفه بإيصال سلامه إليه، وبالفعل قد حصل هذا كما سيأتي الحديث عنه.

معرفة جابر بالأئمة لم تكن مختصرة أو إجمالية بل هي معرفة تفصيلية بهم، وهذا ما نلاحظه في نقله أسماء الأئمة الاثني عشر وأسماء أمهاتهم وسائر شؤونهم وأدوارهم في الحديث المشهور عند الامامية^(١) والذي ينقل عن جابر:

قال جابر: «أشهد بالله أنني دخلت على أمك فاطمة ؑ في حياة رسول الله ﷺ فهنيئتها بولادة الحسين ؑ فرأيت في يديها لوحاً أخضر، فظننت أنه من زمرد، ورأيت فيه كتاباً أبيض شبه نور الشمس، فقلت لها: بأبي أنت وأمّي يا بنت رسول الله، ما هذا اللوح في يدك؟

فقلت: يا جابر هذا اللوح أهده الله تعالى الى رسول الله، فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابني وأسماء الأوصياء من ولدي، فأعطانيه أبي ليسرني بذلك. قال جابر: فأعطني أمك ؑ فقرأته واستنسخته.

(١) رواه الكليني (ره) في اصول الكافي ١/٥٢٧، كتاب الحجّة باب ما جاء في الاثني عشر والنصّ ﷺ، الحديث ٣: محمد بن يحيى ومحمد بن عبد الله، عن عبد الله بن جعفر، عن الحسن بن ظريف وعليّ بن محمّد، عن صالح بن أبي حمّاد، عن بكر بن صالح، عن عبد الرحمن بن سالم عن أبي بصير... (باختلاف قليل). ورواه الصدوق (ره) في كمال الدين: ص ٣٠٨، الباب ٢٨، الحديث ١. ورواه أيضاً في عيون الاخبار ص ٣٤، الباب ٦، الحديث ٢. والنعمان في كتاب الغيبة ص ٦٢، الباب ٤، الحديث ٥. والشيخ المفيد (ره) في الاختصاص ص ٢١٠. والشيخ الطوسي (ره) في الغيبة ص ٥٣. ونقله المجلسي في البحار: ٣٦/١٩٥ ١٩٧. وجاء في الاحتجاج للطبرسي، ج ١، ١٦٢.



قال له أبي ﷺ: فهل لك يا جابر أن تعرضه عليّ؟ فقال: نعم، فمشى معه أبي ﷺ حتى انتهى الى منزل جابر، وأخرج أبي صحيفة من رق وقال: يا جابر انظر في كتابك لأقرأ عليك، فنظر جابر في نسخته وقرأه أبي، فما خالف حرفاً حرفاً. قال جابر: فأشهد بالله أنّي هكذا رأيت في اللوح مكتوباً:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمد نبيّه ورسوله ونوره وسفيره وحجابه ودليله، نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين.

عظم يا محمد أسمائي، واشكر نعمائي، ولا تجحد آلائي، فإنّي أنا الله لا إله إلا أنا قاصم الجبارين ومذلّ الظالمين وديان يوم الدين، لا إله إلا أنا، من رجا غير فضلي، أو خاف غير عدلي، عذّبه عذاباً لا أعدّبه أحداً من العالمين، فيأيّ فاعبد، وعليّ فتوكّل.

ثم اتّي لم أبعث نبياً فأكملت أيامه وانقضت مدّته إلا جعلت له وصياً، وإني فضّلتك على الأنبياء، وفضّلت وصيتك على الأوصياء، وأكرمتك بشبليك بعده وسبّطيك: الحسن والحسين، فجعلت حسناً معدن علمي بعد انقضاء مدّة أبيه، وجعلت حسناً خازن علمي، وأكرّمته بالشهادة، وختمت له بالسعادة، وهو أفضل من استشهد، وأرفع الشهداء درجة، وجعلت كلمتي التامة معه، وحجّتي البالغة عنده، بعترته أثيب وأعاقب:

أوّلهم عليّ سيد العابدين وزين أوليائي الماضين، وابنه شبيه جدّه المحمود، محمد الباقر لعلمي والمعدن لحكمتي، سيهلك المرتابون في جعفر الصادق، الرادّ عليه كالرادّ عليّ، حقّ القول منّي لأكرّم منّ مثوى جعفر، ولأسرّنه في أشياعه وأنصاره وأوليائه، وانتجبت بعده موسى، وأتيح بعده فتنة عمياء حندس ألا إنّ خيط فرضي لا

ينقطع، وحبّتي لا تخفى، وإنّ أوليائي لا يشقون.

ألا ومن جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتي، ومن غير آية من كتابي فقد افتري عليّ، وويل للمفتريين الجاحدين عند انقضاء مدّة عبدي موسى وحبيبي وخيرتي.

ألا وإنّ المكذّب بالثامن، مكذّب بكلّ أوليائي، عليّ وليّي وناصري ومن أضع عليه أعباء النبوة، وأمنحه بالاضطلاع بها، يقتله عفريت مستكبر، يدفن بالمدينة التي بناها العبد الصالح: (ذو القرنين) الى جنب شرّ خلقي، حقّ القول منّي لأقرنّ عينه بمحمّد ابنه وخليفته من بعده، ووارث علمه، فهو معدن علمي، وموضع سرّي، وحبّتي على خلقي، جعلت الجنة مثواه وشفّعته في سبعين من أهل بيته كلّهم قد استوجب النار، وأختم بالسعادة لابنه عليّ وليّي وناصري، والشاهد في خلقي، وأمّيني على وحيي، أخرج منه الداعي الى سيّلي، والخازن لعلمي الحسن العسكري، ثم أكمل ديني بابنه محمّد رحمة للعالمين، عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيوب، سيّد أوليائي، سيّد أوليائي في زمانه، وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس التّرك والديلم، فيقتلون ويحرقون ويكونون خائفين مرعوبين وجلين، تصبغ الأرض بدمائهم، ويفشو الويل والرنة في نسائهم، أولئك أوليائي حقّاً، بهم أذفَع كلّ فتنة عمياء حنّس، وبهم أكشف الزلازل وأرفع الأصار والأغلال، أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة وأولئك هم المهتدون».

وقد أخبره النبي ﷺ بأئتمته الهداة، ويّين له أنه سيطول عمره حتى يدرك باقر علوم أهل البيت محمّداً بن عليّ ؑ، وأوصاه بإبلاغه إياه السلام عن جده النبي وهذا ما حصل بالفعل، وهو ما نقله المحدثون: «عن زيد بن عليّ ؑ قال: كنت عند أبي عليّ بن الحسين ؑ إذ دخل عليه جابر بن عبد الله الأنصاري، فبينما هو يحدثه إذ خرج أخي محمد من بعض الحُجر، فأشخص جابر ببصره نحوه ثم قام إليه فقال:



يا غلام أقبِلْ فأقبل ثم قال: أدبر فأدبر، فقال: شمائل كشمائل رسول الله ﷺ! ما اسمك يا غلام؟ قال: محمد. قال: ابن من؟ قال: ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قال: أنت إذاً الباقر. قال: فانكب عليه وقبل رأسه ويديه ثم قال: يا محمد إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام. قال: على رسول الله أفضل السلام وعليك يا جابر بما أبلغت السلام. ثم عاد إلى مصلاه، فأقبل يحدث أبي ويقول: إن رسول الله ﷺ قال لي يوماً: يا جابر إذا أدركت ولدي الباقر فاقرأه مني السلام فإنه سمي وأشبهه الناس بي علمه علمي وحكمه حكمي، سبعة من ولده أمناء معصومون أئمة أبرار، والسابع مهديهم الذي يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. ثم تلا رسول الله ﷺ^(١) ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾^(٢).

وقد استضاف جابر بن عبد الله النبي ﷺ أيام حفر الخندق ورأى معجزته ومباركته ذلك الطعام حتى استوعب كل من كان حاضراً في ذلك الوقت، وهم مئات من المسلمين!^(٣)

(١) كفاية الأثر، الخزاز القمي، ص ٣٢٦

(٢) الأنبياء: ٧٣

(٣) البخاري: صحيح البخاري ١٠٨ / ٥ عن جابر بن عبد الله، قال: لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ حَمَصًا شَدِيدًا، فَأَحْرَجْتُ إِلَيَّ جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْتُهَا، وَطَحَنْتِ الشَّعِيرَ، فَفَرَعْتُ إِلَى فِرَاعِي، وَقَطَعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: لَا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِمَنْ مَعَهُ، فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا وَطَحْنَا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصَاحَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ، إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا، فَحَيَّ هَلَّا بِهَلْكُمْ» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُنَزِّلَنَّ بُرْمَتَكُمْ، وَلَا تَخْزِنَنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ». فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَفْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقَالَتْ: بَكَ وَبِكَ، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتَ، فَأَحْرَجْتَ لَهُ عَجِينًا فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: «ادْعُ خَابِرَةَ فَلْتَخْزِنْ مَعِي، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلَا تُنْزِلُوها» وَهُمُ الْفُ، فَأَقْسِمُ بِاللَّهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكَوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَنْغِطُ كَمَا

وكما عرف جابرُ النبي المصطفى ﷺ ومقامه وأعظم منزلته وشأنه فكذلك كان حاله مع وصيه أمير المؤمنين ﷺ فبالإضافة إلى مشاركته أمير المؤمنين في جميع حروبه، كان يصحر القول بفضائله ومناقبه وكانت أزقة المدينة وحاراتها تعرف لجابر الأنصاري صوته في الحديث عن الإمام علي ﷺ، وإذا سئل عنه قال: «ذلك والله أمير المؤمنين ومخزي المنافقين وبوار الكافرين وسبب الله على القاسطين والناكثين والمارقين ولقد سمعت بأذني رسول الله ﷺ يقول: علي بعدي خير البشر فمن شك فيه فقد كفر»^(١)

و«كان جابر بن عبد الله الأنصاري يدور في سكك الأنصاري بالمدينة، وهو يقول: (علي خير البشر، فمن أبي فقد كفر)، يا معاشر الأنصار أدبوا أولادكم على حب علي، فمن أبي، فانظروا في شأن أمه».^(٢)

وينقل عنه قوله: كنا عند النبي ﷺ فاقبل علي، فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، ونزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(٣) فكان أصحاب النبي ﷺ إذا أقبل علي قالوا: جاء خير البرية»^(٤).

ولهذا لم يكن من الغريب أن يستهدفه الجيش الأموي بقيادة بسر بن أرطاة

هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لِيُخْبِرُ كَمَا هُوَ.

(١) الحسنی؛ السيد ابن طاووس: اليقين ٣٠١

(٢) الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: من لا يحضره الفقيه ٣ / ٤٩٣ وذكر المحقق للكتاب في حاشية الحديث ما يلي: وهذا الكلام رواه العامة بطريق متكررة مذكورة في مسند أحمد بن حنبل وفردوس الاخبار ومسند فخر خوارزم وغيرها، ونقل من طرقهم عن عائشة عن النبي ﷺ بسبع طرق: «يا معشر الأنصار أدبوا أولادكم على حب علي ﷺ»..

(٣) سورة البينة، الآية ٧

(٤) الطوسي، الأمالي ٢٨٢ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢ / ٣٧١



حين هاجم المدينة حيث اختفى عنهم ولكنه تحت تهديد سبي الأمويين نساء قومه وقتل رجالهم تشاور مع أم المؤمنين أم سلمة المخزومية فأشارت عليه بالتسليم لهم والبيعة^(١) فهذا أو ان تطبيق التقية وهكذا كان، فقد نقل عنه: «لما خفت بسراً وتواريت عنه قال لقومي: لا أمان لكم عندي حتى يحضر جابر فأتوني وقالوا: ننشدك الله لما انطلقت معنا فبايعت، فحقت دمك ودم قومك، فإنك إن لم تفعل قتلت مقاتلينا وسبيت ذرارينا، فاستنظرتهم الليل، فلما أمسيت دخلت على أم سلمة فأخبرتها الخبر فقالت: يا بني انطلق فبايع أحقن دمك ودماء قومك فإني أمرت ابن أخي أن يذهب ويباع، واني لأعلم انها بيعة ضلالة»^(٢).

جابر الأنصاري والنهضة الحسينية

من الغريب أننا لا نجد لجابر بن عبد الله ذكراً في أيام إمامة الإمام الحسن المجتبي والتي استمرت عشر سنين بعد والده أمير المؤمنين، كما لا نجد له ذكراً واضحاً في بداية النهضة الحسينية وانطلاق الإمام عليه السلام من المدينة إلى مكة ومنها إلى كربلاء.

وقد يكون عدم خروجه معه راجعاً إلى ما ذكرناه في كتابنا^(٣) عن سيرة الإمام الحسين عليه السلام، من أن خروج الإمام عليه السلام من المدينة إلى مكة لم يكن فيه دعوة واضحة

(١) تحدث عن ذلك ابن الأثير في الكامل، بقوله: في هذه السنة (سنة ٤٠ هـ) بعث معاوية بسراً بن أبي أرمطة في ثلاثة آلاف، فسار حتى قدم المدينة إلى أن قال: فأرسل إلى بني سلمة فقال: والله ما لكم عندي أمان حتى تأتوني بجابر بن عبد الله! فانطلق جابر إلى أم سلمة زوج النبي -صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها: ما ذا ترين؟ إن هذه بيعة ضلالة وقد خشيت أن أقتل. قالت: أرى أن تبايع.. فأتاه جابر فبايعه.

(٢) ذكره مختصراً البخاري في التاريخ الأوسط ١/ ١١٥

(٣) آل سيف؛ فوزي: أنا الحسين بن علي؛ أوراق من السيرة المغيبة للإمام الحسين.

للناس للخروج معه بمقدار ما كان إعلان موقف معارض للسلطة الأموية ولببيعة يزيد، وانسحاباً من المدينة إلى مكة المكرمة ونقل ساحة الصراع إلى منطقة أخرى! وربما لهذا السبب ولغيره فإن قسماً من أصحاب النبي وأمير المؤمنين في تلك الفترة ربما لم يكونوا يرون أنفسهم مخاطبين بالخروج مع الإمام ﷺ.

نعم سنجد ذكراً مفصلاً عنه باعتباره أول (أو من أوائل) من زار قبر الحسين بعد شهادته، فبناء على المعروف بين المؤرخين من أن يوم العشرين من صفر سنة ٦١ هـ، كان اليوم الذي زار فيه جابر الأنصاري مع تلميذه وراويهِ عطية العوفي^(١) قبر الحسين في كربلاء، وقد نقل ذلك الخبر بتفاصيله.

ويظهر من خير أن جابراً كان يزور الإمام زين العابدين علياً بن الحسين ﷺ، وأنه في إحدى زيارته تلك ونحن نفترض أنها في حوالي سنة ٧٠ هـ وكان الإمام

(١) عطية بن سعد بن جنادة العوفي توفي سنة ١١١ هـ كان أبوه سعد بن جنادة وهو من بني جدليل أول من أسلم من أهل الطائف، وصحب النبي ﷺ، وروى عنه عدداً من الأحاديث، وبعد وفاة رسول الله ﷺ كان ممن عرف أمير المؤمنين ﷺ، ووالاه وشارك معه في حروبه، وروى عنه بعض الأحاديث، ولعل الناظر إلى نوعية الأحاديث التي رواها، وأكثر منها يعرف سر تضعيف رجالي الجمهور لعطية، فإنه قد روى حديث الثقلين، وأن الأئمة اثنا عشر، وحديث سفينة نوح، وتفسير آية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) في أهل البيت، وحديث الغدير، والمنزلة وسد الأبواب غير باب علي ﷺ، وحديث إعطاء النبي ﷺ فدكاً، وروى خطبة الزهراء الفدكية وروى عن رسول الله ﷺ في المهدي أنه (رجل من أهل بيتي).. وغيرها.

وكان عطية من جملة الثائرين.. قال ابن سعد (..خرج عطية مع ابن الأشعث على الحجاج، فلما انهزم جيش ابن الأشعث هرب عطية إلى فارس، فكتب الحجاج إلى محمد بن القاسم: أن ادع عطية فإن لعن علي بن أبي طالب والا فاضربه اربع مئة سوط!! وحلق رأسه ولحيته، فدعاه فأقرأه كتاب الحجاج، فأبى عطية أن يفعل، فضربه اربع مئة سوط، وحلق رأسه ولحيته، فلما ولي قتيبة خراسان خرج عطية إليه، فلم يزل بخراسان حتى ولي عمر بن هبيرة العراق، فكتب إليه عطية يسأله الأذن له في القدوم، فأذن له، فقدم الكوفة، ولم يزل بها إلى أن توفي سنة إحدى عشرة ومئة.. وكان ثقة وله احاديث صالحة..). لتفصيل سيرته يمكن مراجعة كتابنا: من قضايا النهضة الحسينية..



الباقر حينها في حدود الثانية أو الثالثة عشر بحيث يصدق عليه ما ورد في الرواية من التعبير عنه بـغلام، تعرف جابر عليه من قرب وكان قد ذكره له رسول الله ﷺ وأوصاه بإبلاغه سلامه، ومن حينها فقد أصبح الإمام محمد الباقر يتردد على جابر بن عبد الله الأنصاري إلى أن توفي في سنة ٧٤ هـ أو ٧٩ هـ على الخلاف الموجود بينهم في سنة وفاته.

تردد الإمام الباقر على جابر وزيارته المتكررة له حققت فوائد متعددة منها:

- إجلال منزلة جابر كصحابي لرسول الله وهذا ما يكذب الأحادثة الأموية والتي استمرت فيما بعد من اتهام شيعة أهل البيت بعداء الصحابة أو التهجم عليهم! فهذا إمامهم يوقر جابراً ويعظم منزلته ويذهب زائراً إليه في بيته.
- وتعظيم شأن جابر الأنصاري كشخص حيث أنه ممن أحسن الصحبة لرسول الله وتابع المسيرة مع وصيه أمير المؤمنين، بل واستمر على ولاء أئمة الهدى ﷺ.
- ومن ذلك فإن الزيارة لجابر والسماع منه يجعل قسماً من الناس وهم أتباع مدرسة الخلفاء ينظرون إلى روايات وأحاديث الإمام الباقر ﷺ على أنها متصلة برسول الله وغير منقطعة الاسناد^(١) وذلك من خلال جابر الذي ينقل عنه -فرضاً- الإمام محمد الباقر ﷺ.

مع أننا نعتقد -وهو مؤدى الرسالة التي نقلها جابر مع سلام رسول الله ﷺ من أن محمداً بن علي هو باقر علم الأولين والأخرين- فلا يحتاج إلى أحاديث جابر الأنصاري ولا غيره، ولكن كان هذا الاتصال والزيارة يحمل هذه الفائدة.

بمقدار ما كان يضعف بصره وقد ذرّف على الثمانين بحيث ربما احتاج إلى

(١) كان محمد بن علي يحدثهم عن أبيه عن رسول الله، فلم يقبلوه، فحدثهم عن جابر فصدقوه، وكان جابر والله يأتيه ويتعلم منه.

مساعدة عطية العوفي في زيارة قبر الإمام الحسين (عليه السلام) كان يزداد بصيرة في أمره، وعندما يسأل عن أمير المؤمنين (عليه السلام) مع أنه كان في زمان الدولة الأموية المروانية التي كانت أشد من السفينية في معاقبتها على ولاية علي بن أبي طالب إلا أنه كان يقول «عَلِيٌّ خَيْرُ الْبَشَرِ، مَنْ أَبِي فَقَدْ كَفَرَ»^(١).

مما نقله عن النبي ﷺ

١. من أحب قوماً حُشِرَ معهم، ومن أحب عمل قوماً أشرك فيه.
٢. «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ إِلَى خَشْبَةِ، فَلَمَّا جُعِلَ مِنْبَرٌ، حَنَّتْ حَيْنِ النَّاقَةِ إِلَى وَلَدِهَا، فَأَتَاهَا فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا، فَسَكَتَتْ»^(٢).
٣. غَزَوْنَا - أَوْ سَافَرْنَا - مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ يَوْمَئِذٍ بِضِعَّةٍ عَشَرَ وَمِائَتَانِ، فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ فِي الْقَوْمِ مِنْ مَاءٍ؟» فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْعَى بِإِدَاوَةٍ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ، قَالَ: فَصَبَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي قَدَحٍ، قَالَ: فَتَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ انْصَرَفَ، وَتَرَكَ الْقَدَحَ، فَكَرَبَ النَّاسُ الْقَدَحَ تَمَسَّحُوا، وَتَمَسَّحُوا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمْ» حِينَ سَمِعَهُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ، قَالَ: فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَفَّهُ فِي الْمَاءِ وَالْقَدَحِ، ثُمَّ قَالَ

(١) لم ينفرد بهذا الحديث جابر بن عبد الله بل قد روي عن حذيفة بن اليمان قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلِيٌّ خَيْرُ الْبَشَرِ، مَنْ أَبِي فَقَدْ كَفَرَ» كما جاء في كتاب: من حديث خيثمة بن سليمان ١/ ٢٠٠ — خيثمة بن سليمان الأطرابلسي، ولأن الأمر مطرح بالنسبة لبعض علماء مدرسة الخلفاء فقد وقعوا في حيص وبيص منه فتارة قالوا إنه حديث منكر، وضعفوا رجاله كما فعل أكثرهم، وأخرى قام بعضهم كما فعل البلاذري في أنساب الأشراف ٢/ ١٠٣. بتغيير في النص ليصبح هكذا: أوليس هو من خير البشر؟ فهو من خير البشر!! لا خير البشر، وثالثة؛ وجهوه بتوجيهات باردة مثلما صنع أبو شجاع الدَيْلَمِي في كتابه الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٦٢ حيث قال: «عَلِيٌّ خَيْرُ الْبَشَرِ مِنْ شَكِّ فِيهِ فَقَدْ كَفَرَ» يعنني بعد الصديق والفاروق!



رَسُولُ اللَّهِ: «بِسْمِ اللَّهِ»، ثُمَّ قَالَ: «أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ»، فَوَ الَّذِي هُوَ ابْتَلَانِي بِبَصْرِي لَقَدْ رَأَيْتُ الْعُيُونَ، عُيُونَ الْمَاءِ، يَوْمَئِذٍ تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى تَوْضُّؤُوا أَجْمَعُونَ. (١)

٤. مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ الْمَكْتُوبَاتِ، كَمَثَلِ نَهْرِ جَارٍ بِيَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ (٢).

٥. عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْعَاقِبُ وَالطَّيِّبُ، فَدَعَاهُمَا إِلَى الْمَلَاعِنَةِ فَوَاعَدَهُ عَلَى أَنْ يُلَاعِنَاهُ الْغَدَاةَ، قَالَ: فَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمَا، فَأَبَا أَنْ يَجِيئا وَأَقْراله بِالْخَرَّاجِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَوْ قَالَا: لَا، لَأَمَطَرَ عَلَيْهِمُ الْوَادِي نَارًا» قَالَ جَابِرٌ، وَفِيهِمْ نَزَلَتْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ قَالَ جَابِرٌ أَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَبْنَاءَنَا الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَنِسَاءَنَا فَاطِمَةَ. (٣)

٦. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: «كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَتَذَاكِرْنَا النِّسَاءَ وَفَضَلَ بَعْضُهُنَّ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَا أَخْبَرَكُمْ بِخَيْرِ نِسَائِكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَخْبَرْنَا، قَالَ، إِنَّ مِنْ خَيْرِ نِسَائِكُمُ الْوَالِدَاتُ الْوَالِدَاتُ، السُّتَيْرَةُ الْعَفِيفَةُ الْعَزِيزَةُ فِي أَهْلِهَا، الذَّلِيلَةُ مَعَ بَعْلِهَا، الْمُتَبَرِّجَةُ مَعَ زَوْجِهَا، الْحِصَانُ مَعَ غَيْرِهِ، الَّتِي تَسْمَعُ قَوْلَهُ وَتَطِيعُ أَمْرَهُ، وَإِذَا خَلَا بِهَا بَدَلَتْ لَهُ مَا أَرَادَ مِنْهَا». (٤)

(١) مسند أحمد ١٣/٢٢

(٢) المصدر ١٧٧ / ٢٢

(٣) ابن كثير: تفسير ابن كثير ط العلمية ٤٧ / ٢

(٤) الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: من لا يحضره الفقيه ٣ / ٣٨٩



أبو سعيد الخُدريّ.. على منهاج النبوة

روى أبو سعيد الخُدريّ عن رَسولِ الله ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُبَغِضُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَحَدٌ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ).^(١)

سعد بن مالك بن سنان الخُدريّ الخزرجي الأنصاري المدني والمعروف بكنيته أبي سعيد والتي اشتهر بها حتى عادت كأنها اسم علم له. يُعد من المكثرين في رواية الأحاديث ومن فقهاء الرواة، تُوفي سنة ٧٤ هجرية، زمان الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وكان عُمره في ذلك الوقت قريباً من ٨٤ سنة.

تم وصفه في أحاديث مدرسة أهل البيت بأنه من السابقين الَّذِينَ رَجَعُوا إِلَى أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)، ومن أولئك الَّذِينَ لَمْ يُغَيِّرُوا وَلَمْ يُبَدِّلُوا.

بداية ذكره كانت في غزوة أحد، وكان عمره آنذاك ١٣ سنة وقدمه أبوه مالك إلى رسول الله ﷺ لكي يقبله مُقاتلاً في جيش المسلمين في تلك الغزوة، وحيث أن عمره كان صغيراً، وربما كان حجمه غير مُساعد على قبوله، فقد ردهُ النبي ﷺ وأرجعه. بينما كان أبوه مالك يُريد إقناع النبي ﷺ بقبوله في القتال فقال له: إنه عبل

(١) النيشابوري؛ الحاكم، أبو عبد الله: المستدرک علی الصحیحین للحاکم ١٦٢/٣

العظام^(١) (يعني عظمته خشنة وقوية وعريضة) فدعه يُقاتل لكن النبي ﷺ لم يشأ أن يصحبه إلى هذه المعركة وكل من يتقدم لاسيما بالنسبة إلى صغار السن فنزل هذا الشاب الصَّغير عند أمر رسول الله ولم يشهد أحدًا.

فشهد أبوه المعركة وقاتل فيها واستشهد في تلك المعركة، وعندما رجع النبي ﷺ ومعه المسلمون بعد ما جرى من الأحداث في غزوة أُحد، كان أبو سعيد ذلك الابن ينتظر رجوع والده، رجع المقاتلون المسلمون، فجاء النبي ﷺ وراه، فقال له أنت سعد بن مالك؟ قال بلى: فقال له عظم الله أجرك بأبيك فإنه قد استشهد.

بعد أحد شارك مع رسول الله ﷺ في اثنتي عشرة غزوة وسريّة.

يتميز أبو سعيد الخدريّ أنه من الصَّحابة الذين تقف منهم المدرستان -مدرسة أهل البيت، ومدرسة الخلفاء- موقفًا إيجابيًا وهذا قليل بالنسبة إلى بقيّة الصحابة. ففيما تعدّه مدرسة الخلفاء من جملة الصحابة الذين تنطبق عليهم مجموعة الأفكار التي تحدثنا عنها في أول هذا الكتاب، ويعد من المكثرين من رواية الحديث، كما يعد مفتيًا، فقد «روى بقي بن مخلد في مسنده لأبي سعيد الخدري بالمكرر ١١٧٠ حديثًا، وجمع له البخاري ومسلم ٤٣ حديثًا، وانفرد البخاري بستة عشر حديثًا، ومسلم باثنين وخمسين حديثًا».

وبالطبع فإن هناك مجالًا للتساؤل عن التفاوت الكبير في عدد الأحاديث التي رويت عنه لدى ابن مخلد وبين ما انفرد به البخاري عنه! وكيف عده الباحثون من المكثرين والحال أن البخاري نقل عنه ستة عشر حديثًا! وماذا وجد البخاري في باقي أحاديثه من المعنى والمضمون أو من خلل السند حتى عزف عن نقلها؟

(١) عن أبي سعيد الخدري: عُرِضت على رسول الله ﷺ يوم أحد، وأنا ابن ثلاث عشرة، فجعل أبي يأخذ بيدي ويقول: يا رسول الله، إنه عَبل العظام. فردني.



وأما في مدرسة أهل البيت عليهم السلام فإننا نجد أن أبا سعيد الخدريّ وقع محلاً للثناء من قبل أئمتنا المعصومين عليهم السلام فمن ذلك توصيفه في حديث الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين بأنه كان مستقيماً، كما نقل ذلك عن ذريح قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال عليّ بن الحسين عليه السلام: إن أبا سعيد الخدري كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وكان مستقيماً فنزع ثلاثة أيام فغسله أهله ثم حمل إلى مصلاه فمات فيه ^(١)

وفي هذا الخبر المعتبر، ويلاحظ فيه أن الإمام الصادق قد نقل مضمونه عن زين العابدين عليه السلام والذي توفي أبو سعيد الخدري في أيامه عليه السلام، دلالة واضحة على استقامته وبقائه على ولاية أهل البيت، وأنه لم يُعَيَّرْ ولم يُبدَلْ.

كذلك فإن هناك رواية مشابهة لها عن الإمام الصادق عليه السلام من دون أن ينقل مضمونها الإمام عن جده علي بن الحسين، وفيها تنبيه إلى أن كان قد رُزق هذا الأمر - أي التشيع لأهل البيت عليهم السلام - فعن ليث المرادي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن أبا سعيد الخدري كان قد رزق هذا الأمر، وأنه اشتد نزعه فأمر أهله أن يحملوه إلى مصلاه الذي كان يصلي فيه ففعلوا فما لبث أن هلك.

وثالث الروايات هي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، حيث أشار فيها إلى أنه واحد من عشرة أشخاص من الذين بقوا على منهج نبيهم ولم يغيروا ولم يبدلوا في كتابه محض الإسلام الذي كتبه للمأمون العباسي، فقد جاء فيه «.. والولاية لأمر المؤمنين عليهم السلام والذين مضوا على منهج نبيهم صلى الله عليه وآله ولم يغيروا ولم يبدلوا مثل سلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وحذيفة اليماني

(١) الكليني؛ الكافي ٣/ ١٢٩ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن الحسين بن عثمان، عن ذريح، والسند معتبر.

وأبي الهيثم بن التيهان وسهل بن حنيف وعبادة بن الصامت وأبي أيوب الأنصاري وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وأبي سعيد الخدري وأمثالهم رضي الله عنهم ورحمة الله عليهم والولاية لاتباعهم وأشياهم والمهتدين بهداهم والسالكين منهاجهم رضوان الله عليهم..»^(١)

ونحن نؤكد هذه المعاني في حياة أبي سعيد الخدري، لكيلا يختلط الأمر على شبابنا وناشتتنا فإن هؤلاء لا سيما وهم يعيشون في مناطق تنتهج في تعليمها وتدريسها خط مدرسة الخلفاء - وأحيانا في نسخته المتعصبة - قد أصبح لدى الكثير منهم موقف سلبي تجاه من يذكر في هذه المناهج، بل صارت لديهم قاعدة أن من يمدح في هذه المناهج وتنقل عنه الأحاديث فلا بد أنه ليس على خط أئمة الهدى! وحيث أن أبا سعيد الخدري هذا ممن ترصيه المدرسة الأخرى وتنقل عنه فصار عند الكثير من الطلاب غير حسن الحال لما سبق ذكره! بل لقد رأيت أحد الباحثين المميزين يتخذ نفس الموقف!!

نعم لا نستطيع أن نقبل كل ما نقل عنه في مصادر مدرسة الخلفاء، ولكنه يبقى من الذين لم يغيروا ولم يبدلوا وكان ممن رزق هذا الأمر وكان مستقيما فيه.

بل نستطيع أن نستكشف تشييعه والتزامه منهج آل محمد وحسن حاله فيه، من الطريقة التي ذكرها مرجع زمانه السيد عبد الأعلى السبزواري رحمه الله وهو صاحب مسلك فقهي ورجالي متميز، ومن ذلك ما ذكره أننا نستطيع أن نستكشف حال الراوي واستقامته وضبطه من خلال ما يرويه، مثلما نستكشف ذلك من خلال التنصيص على وثاقته، وبيان ذلك أننا لو اخترنا راوياً كأبي سعيد الخدري، وبحثنا في أحاديثه التي رواها فتارة نلاحظ أنها في مجملها منسجمة وبلغية من حيث

(١) الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: عيون أخبار الرضا ٢ / ١٣٤



الألفاظ، وتوافق الأصول العامة من حيث المرجعية، وقوية المضمون والدلالة؟ إذا حصل لنا هذا المعنى فإنه سيتبين لنا أن هذا المُحدث والراوي مُعتبر. وأما لو كانت لغة أحاديثه ركيكة، وكانت مضامينها مُستغربة أو مُستهجنة، ومؤداها مُخالفًا للمألوف، فإن ذلك ينبغي أن ينبهنا على التوقف والتأمل فيما يرويه هذا الراوي حتى لو وصفه الرجاليون بالوثاقة! فكما أننا نستطيع تصحيح المضمون من خلال صحة السند يمكن أن نعكس الأمر فنصحح حال الراوي من خلال رواياته المنسجمة والمتقنة لفظًا ومعنى!

وفي شأن أبي سعيد بناءً على هذه الطريقة الثانية فإننا نجد راويًا لأهل أحاديث الأصول العقائدية التي تثبت عقائد أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكذلك في أبواب الفروع الفقهية حيث استشهد له شيخ الطائفة الطوسي في كتابه الخلاف باثنتين وثلاثين رواية في مختلف الأبواب الفقهية، وانتصر فيها الشيخ الطوسي لرأي مذهب الإمامية على سائر المذاهب، وحيث أن أبا سعيد الخدري مقبولٌ عندهم فلا مجال للتردد والانكار.

وقد روى عنه المشايخ الثلاثة الكليني والصدوق والطوسي في الكافي ومن لا يحضره الفقيه وتهذيب الأحكام.

وبالنظر لما سبق فإننا نستعرض شيئًا مما رواه أبو سعيد الخدري:

١. حديث الثقلين: والذي تقوم عليه أسس العقيدة بحيث لو التزم به المسلمون لما أخطأوا الطريق، حيث حصر النبي ﷺ سبيل النجاة من الضلال بالتمسك بهما، وهو «إني تاركٌ فيكم الثقلين ما إن تمسَّكُم بهما لن تضلُّوا بعدي: كتابُ الله وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»^(١).

(١) حنبل؛ أحمد بن: مسند أحمد ١٨/١١٤ وفيه بهذا السند والنص؛ عن عَطِيَّةِ الْعَوْفِيَّةِ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ

٢. حديث المنزلة: حيث أخبر النبي ﷺ الناس بأن علياً منه بمنزلة هارون من موسى، حين أراد مخالفو الإمام أن يستغلوا إبقاء النبي علياً في المدينة، زاعمين أنها مثلبة ومنقصة وأن النبي ﷺ لو كان يحبه لاصطحبه، ولو كان يغني في الحرب لما خلفه مع الصبية والنساء! ونسي هؤلاء موافقه ومواقفه في كل حروب النبي السابقة على تبوك، وإذا كانوا كذلك فإن الله أراد أن يظهر من فضل أمير المؤمنين ما يكتبهم ويعلي كعبه عليهم، فجاء حديث النبي أن منزلة عليٍّ منه هي منزلة هارون من موسى^(١)، ولو رجعنا إلى القرآن سنجد أن منزلة هارون هي الشراكة والوزارة والمناصرة والخلافة والوصاية ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كِي نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا^(٢) وقد روى هذا الحديث جماعة من الصحابة منهم أبو سعيد الخدري وقد نقله عنه أشخاص متعددون: فقد نقله

الخدريّ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، الثَّقَلَيْنِ، وَأَخَذَهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخِرِ: كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِزَّتِي أَهْلُ بَيْتِي، أَلَا وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا، حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ» وكذا المعجم الكبير للطبراني ٦٥/٣

(١) لمزيد من الإيضاح لمعاني الحديث نشير إلى ما ذكره العلامة الشيخ محمد حسن آل ياسين في كتابه أصول الدين ص ٢٩٦ حيث قال: «ان الحديث يشير إلى أن علياً:

أ. وزير رسول الله، لأن هارون وزير موسى (وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي).

ب. أخو رسول الله، لان هارون أخو موسى (هَارُونَ أَخِي).

ج. شريك رسول الله، لان هارون كان كذلك (وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي).

د. خليفة رسول الله، لان هارون خليفة موسى (وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي).

هـ. اشتقاق الإمامة من النبوة، لان ضمير «أنت» في الحديث تعبير عن الإمامة وضمير الياء في «مني» تعبير عن النبوة، وحرف الجر هنا بمعنى النشوء والوجود، ولثلا يفهم من هذا النشوء والاشتقاق تساوي الدرجة بكل معانيها أوضح النبي أن هناك فرقاً رئيساً هو النبوة فقال: إلا أنه لا نبي بعدي»



في الطبقات^(١) بسنده عن عَطِيَّةَ. حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ (الخدري) قَالَ: غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ وَخَلَّفَ عَلِيًّا فِي أَهْلِهِ. فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: مَا مَنَعَهُ أَنْ يَخْرُجَ بِهِ إِلَّا أَنَّهُ كَرِهَ صُحْبَتَهُ. فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَيَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَنْزِلَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟

٣. حديثه في أن من يبغض أهل البيت يدخل النار، كما نقله عنه الحاكم في مستدركه بسنده عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَبْغُضُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَحَدٌ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ»^(٢) والحديث واضح لا يحتاج إلى كثير من الشرح، والغريب أن بعض أتباع الاتجاه الأموي من المحدثين^(٣) عندما مروا على حديث النبي ﷺ وهو يخاطب عليًّا أمير المؤمنين بالقول: يا عليُّ حُبُّكَ إِيْمَانٌ وَبَغْضُكَ نِفَاقٌ! أخذهم ما يشبه الزمعة والحساسية الجلدية، فأخذوا يكذبونه ويفتشون عن آفة فيه من الرواية؛ مع أنه من حيث المعنى لا يتجاوز هذا الحديث المذكور آنفاً وهو صحيح على شرط الشيخين! ولكن كما لم يخرجاه فإنهما وغيرهما لم يقبلوا ذلك الحديث! ولا ريب أن أبا سعيد وهو ينقل هذه الأحاديث وينشرها سيكون

(١) حنبل؛ أحمد بن: مسند أحمد ١٧/٣٧٣ بلفظ «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٣/١٧: ونقله عن أبي سعيد الخدري أيضاً عبد الله بن رقيم الكِنَانِيُّ قَالَ: قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَلَقِينَا سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ (أَبُو سَعِيدٍ) فَقَالَ.. وَكَذَلِكَ سَأَلَهُ عَنِ الْحَدِيثِ سَعِيدُ بْنُ الْمَسِيْبِ..

(٢) النيشابوري؛ الحاكم أبو عبد الله: المستدرک على الصحيحين ٣/١٦٢ وقال متعباً إياه: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخْرَجْهُ!!

(٣) فانظر إلى ما قاله ابن تيمية في منهاج السنة ٧/٣٩٨ والذهبي في المنتقى من منهاج الاعتدال ١/٤٧٧ والغريب أن الذهبي الذي حكم عليه بالضعف هنا، نقل شبيهه في تاريخ الإسلام ٣/٦٣٤ فقال:.. عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيَّ أَنَّهُ لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغُضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ. وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ السَّمَّانُ، وَغَيْرُهُ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعْرِفُ الْمُنَافِقِينَ بِبُغْضِهِمْ عَلِيًّا.

من الملتزمين بمؤداها.

٤. روايته في أن الناس قد أمروا بولاية أمير المؤمنين عليّ ﷺ كما أمروا بالصلاة والصوم والزكاة والحج فضيعوها! فعن أبي هارون العبدي، قال: «كنت أرى رأي الخوارج، حتى جلست إلى أبي سعيد الخدري، فسمعتة يقول: أمر الناس بخمس، فعملوا بأربع وتركوا واحدة فقالوا: يا أبا سعيد ما هذه الأربعة التي عملوا بها؟، فقال: الصلاة، والزكاة، والحج، وصوم شهر ومضان، فقيل: فما الوحدة التي تركوها؟، قال: ولاية علي بن أبي طالب ﷺ! فقيل: وإنها مفترضة معهن؟ قال: نعم، قيل: فقد كفر^(١) الناس إذن!، قال: فما ذنبي؟^(٢)

٥. عَنْ أَبِي هَارُونَ الْعَبْدِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ، قَالَ: «إِنْ كُنَّا لَنَعْرِفُ الْمُنَافِقِينَ نَحْنُ مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ بِيَغْضِهِمْ عَلَيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ»^(٣) وفي هذا المعنى يكون أمير المؤمنين مقياسًا وفيصلاً يعرف فيه المؤمن من المنافق بعلامة لا تخفى، البغض الظاهر عند بعض الأنصار (بل من المعاصرين) على فلتات اللسان وخلجات القلب التي لا تلبث أن تعرف في لحن القول^(٤)، فإذا ادعى شخص ما الإيمان فاعرضه على هذه المسطرة؛ وما أصدقها! وهي عن النبي ﷺ بعبارات مختلفة ولذلك عرفها الطليعة من أصحاب النبي ﷺ حتى صاروا يعرفون المنافقين بهذا المقياس، فتارة هي بلفظ يا علي لا يحبك إلا مؤمن

(١) للكفر في الأحاديث معان متعددة، كما ورد في حديث عن الإمام الصادق ﷺ؛ فمنها الكفر بما يساوي جحود النعمة أو ترك الفعل كما في آية (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) آل عمران: ٩٧

(٢) الطبري الشيعي، محمد بن جرير: المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ١ / ٤٧٥

(٣) الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي ت بشار ٦ / ٧٨

(٤) ابن المغازلي: مناقب علي ١ / ٣٨٠ عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾، قال: يبغضهم علي بن أبي طالب.



ولا يبغضك إلا منافق، وأخرى بلفظ حبك إيمان وبغضك نفاق، وثالثة بلفظ ثالث وهكذا، ورابعة بعنوان أن ولايته مما أوجبها الله على العباد فحفظها بعضهم وضيعها آخرون.

٦. وبينما ذهب الاتجاه المخالف للإمام عليٍّ عليه السلام لنسبة إحدى أهم فضائل الإمام لعالم اليهود عبد الله بن سلام، وسوغوها إياه هنيئةً مريئةً في أحاديث كثيرة، رأينا أبا سعيد الخدري يسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن صاحبها ويفشي القول في أنه عليُّ بن أبي طالب، فعن عطية العوفي، «عن أبي سعيد الخدري، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله جل ثناؤه: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ)؟ فقال: ذاك وصي أخي سليمان بن داود. فقلت له: يا رسول الله، فقول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾؟ قال: ذاك أخي عليُّ بن أبي طالب.»^(١)

٧. وإذا كان (كل الصيد في جوف الفرا) فإن حديث الغدير قد طوى في داخله ما تفرق في غيره، وأثبت لعليٍّ عليه السلام الولاية على الناس جميعاً، وأولويته على أنفسهم وأموالهم كما كان متحققاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يغب ذلك عن أبي سعيد الخدري وهو شاهد العيان في تسجيل الحادثة وما جرى فيها، ثم نقلها ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾، فعن أبي هارون: «عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما نزلت عليه هذه الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢) قال: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي وولاية علي بن أبي طالب من بعدي. ثم قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من

(١) الأمامي، الشيخ الصدوق، ص ٦٥٩ وينابيع المودة لذوي القربى، ج ١، القندوزي، ص ٣٠٧

(٢) المائة: ٣

والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله»^(١).

٨. ولم يكن أبو سعيد مجرد راوٍ ناقل عن رسول الله ﷺ، بل كان فقيهاً عارفاً يقيس بين أصحاب الرسول، ويرى كيف يتحدث النبي عنهم، بل يرى مواقفهم مباشرة من غير تأويلٍ أو تكلفٍ، ويرى مقدار علومهم ومعارفهم عن الإسلام، ولذلك فمن الطبيعي أن يتعلق بأهداب محبة علي بن أبي طالب واتباعه، ولذلك فقد نقل حديثاً يشير إلى الفرق الكبير بين علم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه علم الكتاب، وبين علم الخليفة الثاني، ونقله هذا الحديث مع ما يستبطن من نسبة العلم الخاص والمستوعب لأمر المؤمنين علي ونسبة خلاف ذلك للخليفة، يشير إلى أنه كان صاحب موقف عقدي واضح، «فَعَنَ أَبِي هَارُونَ الْعَبْدِيُّ، عَن أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ، قَالَ: حَجَجْنَا مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَلَمَّا دَخَلَ الطَّوَافَ اسْتَقْبَلَ الْحَجَرَ، فَقَالَ: إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ، وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْ لَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَكَ مَا قَبَّلْتُكَ، ثُمَّ قَبَّلَهُ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ! قَالَ: ثُمَّ قَالَ: بِكِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. قَالَ: وَأَيْنَ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴿٢﴾ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَمَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ فَقَرَّرَهُمْ بِأَنَّهُ الرَّبُّ، وَأَنَّهُمُ الْعَبِيدُ، وَأَخَذَ عُهُودَهُمْ وَمَوَاقِيْعَهُمْ، وَكَتَبَ ذَلِكَ فِي رَقٍّ، وَكَانَ لِهَذَا الْحَجَرِ عَيْنَانِ وَلِسَانٌ، فَقَالَ لَهُ افْتَحْ فَافَكْ. قَالَ: فَفَتَحَ فَاهُ فَالْقَمَّةُ ذَلِكَ الرَّقُّ وَقَالَ: اشْهَدْ لِمَنْ وَا فَافَكْ بِالْمُؤَافَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنِّي أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، وَلَهُ لِسَانٌ

(١) الحسكاني؛ الحاكم: شواهد التنزيل لقواعد التفضيل / ١ / ٢٠١

(٢) الأعراف: ١٧٢



ذَلُّقُ، يَشْهَدُ لِمَنْ يَسْتَلِمُهُ بِالتَّوْحِيدِ» فَهَوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَعِيشَ فِي قَوْمٍ لَسْتُ فِيهِمْ يَا أبا حَسَنِ^(١).

٩. وحين تبنى بعض المسلمين خط الفصل بين النبي وأسرته، وظلوا يرقصون على نعمة إن نسب النبي لا ينفع أحداً وإنما ينفعه عمله، وكان الغرض أبعد من ظاهر هذا الكلام، فإنه كان يستبطن نظرية سياسية^(٢) تقول بأنه لا تجتمع النبوة والخلافة في بيت واحد والمقصود به بيت بني هاشم، وما دامت النبوة فيهم فالخلافة يجب ألا تكون فيهم، بل في غيرهم! وقد تصدى النبي ﷺ، وهو العارف بمقاصد هذه الفكرة وأنها ليست بريئة! وخطب في الناس مبيناً أن رحمه موصولة وأن نسبه نافع في القيامة، بل وفي الدنيا أيضاً! وأن عنوان (الصحبة) لا يكسب صاحبه شيئاً على بياض وإنما يراعى ما ستكون نتيجته وما تصير إليه عاقبته وهل يبقى على المنهج أو يبدل ويغير ويرتد القهقري.

وقد نقل أبو سعيد الخدري هذا المعنى ويلحظ أن أحد رواته هو ابنه حمزة، ويعني ذلك فيما يعني أن أبا سعيد كان يربي أبنائه على هذه المعاني، فعن حمزة بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه، «قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على هذا المنبر: ما بال رجال يزعمون أن رحم محمد لا تنفع يوم القيامة، والله إن رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة، فإني أيها الناس فرط لكم على الحوض يوم القيامة، فإذا جئتم قام رجل يقول الرجل: يا رسول الله! أنا فلان بن فلان، ويقول الآخر: أنا فلان بن فلان، ويقول الآخر: أنا فلان بن فلان، فأقول: أما النسب فقد عرفته، ولكنكم أحدثتم بعدي وارتدّدتم القهقري»^(٣).

(١) الحاكم، أبو عبد الله: المستدرک علی الصحیحین للحاکم ١/٦٢٨

(٢) للتفصيل يراجع كتابنا: أعلام من الأسرة النبوية، فصل: الراضون تكريم الأسرة النبوية.

(٣) بن أبي خيثمة؛ أبو بكر أحمد: التاريخ الكبير السفر الثاني ٢/١٩٧

١٠. وفي نفس السياق السابق فإن بعض المسلمين - قديمًا وحديثًا - أرادوا توسعة عنوان (أهل البيت) الذي جاء في كثيرٍ من أحاديث رسول الله ﷺ، لكي تختفي الخصائص الأساسية لأصحاب هذا العنوان من كونهم أفضل الناس قاطبة بعد النبي ﷺ، وأنهم الحجج على الخلائق بعده، وأنهم الثقل المعادل للقرآن الذي ألزم الله الناس باتباعه واتباعهم^(١). ولهذا فقد أدخلوا في الصلاة الابراهيمية عنوان (وزوجاته).^(٢) هذا بالرغم من أن النبي ﷺ وهو الخبير البصير بتوجهات هؤلاء، قد أكد تعريف عنوان أهل البيت وحصره في أشخاص متعددين لما يترتب على هذا العنوان من آثار، باعتبار أن هناك الكثير من أحاديثه تشير إلى مرجعية هؤلاء للأمة.. وهذا منصب يطمع فيه الكثير لذلك لا بد من تحديده بصرامة، وهذا ما نقله أبو سعيد الخدري عن أم سلمة أنها قالت: «أُنزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي بَيْتِي: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ؟ قَالَ: إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ، إِنَّكَ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: وَفِي الْبَيْتِ رَسُولُ اللَّهِ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةٌ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ».^(٣)

١١. مَنْ وصِيَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ إن أحد محاور النقاش المذهبي بين المدرستين في الإسلام هو أنه هل هناك وصي للرسول ووصية؟ أو أنه ﷺ ترك الأمر لاختيار الناس وتوافقهم أو تغلب بعضهم في تولي الأمر؟ فبينما يعتقد

(١) تفصيله في كتاب أعلام الأسرة النبوية.

(٢) بن أنس: مالك موطأ مالك رواية محمد بن الحسن الشيباني ١٠٥/١ قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»

(٣) تاريخ ابن أبي خيثمة - السفر الثاني ٧١٩/٢، ونفس هذا الحديث يدل على أي خير كانت فيه أم سلمة فإنها لم تدع لنفسها مقامًا لا تستحقه! ونقلت هذا الحديث كما حصل، وربما لو كان قد حصل هذا لغيرها لما نقلت الحديث أصلاً أو نقلته على غير وجهه!



الشيعة وخاصة الامامية منهم بأنه ﷺ ما توفي حتى عين وصيه وأخبر عنه عشرات أو مئات المرات بشتى أنحاء الإخبارات الممكنة، وأن كلمة الوصي وهي ذات معنى خاص تكررت في كلمات الرسول وأحاديثه مشيراً فيها إلى علي بن أبي طالب، وفي المقابل رفض أتباع مدرسة الخلفاء فكرة الوصية وأصرُّوا على أن النبي ﷺ لم يوصِ وتعاملوا مع الروايات والأحاديث التي جاء فيها موضوع الوصية بتضعيفها سنداً تارة، وبحملها على الوصية في الأمور الشخصية والعادية المرتبطة بأسرة النبي لا تلك المرتبطة بالأمة!!

ولهذا كانت هذه القضية من القضايا المهمة عند شيعة أهل البيت من صحابة النبي وهذا ما يشير إليه الحديث الذي نقله أبو سعيد الخدري، عَنْ سَلْمَانَ (الفارسي) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِيٌّ، فَمَنْ وَصِيُّكَ؟ فَسَكَتَ عَنِّي، فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ رَأَيْتُ، فَقَالَ: «يَا سَلْمَانُ» فَاسْرَعْتُ إِلَيْهِ، قُلْتُ: لَبَيْكَ، قَالَ: «تَعْلَمُ مَنْ وَصِيُّ مُوسَى؟» قُلْتُ: نَعَمْ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، قَالَ: «لِمَ؟» قُلْتُ: لِأَنَّهُ كَانَ أَعْلَمَهُمْ، قَالَ: «فَإِنَّ وَصِيَّ وَمَوْضِعُ سِرِّي، وَخَيْرٌ مَنْ أَتْرَكَ بَعْدِي، وَيُنْجِزُ عِدَّتِي، وَيَقْضِي دِينِي عَلَيَّ مِنْ أَبِي طَالِبٍ»^(١).

١٢. حديثه في المهدي عجل الله فرجه: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول

(١) الطبراني: المعجم الكبير ٦/ ٢٢١، ولأن الحديث بهذا النص يخرج موقف مدرسة الخلفاء كثيراً فقد لوى الطبراني عنق الحديث (!) إلى غير معناه، فقال: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ أَيُّ الطَّبْرَانِيِّ: «قَوْلُهُ: وَصِيٌّ: يَعْنِي أَنَّهُ أَوْصَاهُ فِي أَهْلِهِ لَا بِالْخِلَافَةِ، وَقَوْلُهُ: خَيْرٌ مَنْ أَتْرَكَ بَعْدِي: يَعْنِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ﷺ» وكان النبي كان عاجزاً عن القول بما قاله الطبراني ولم يفهم التعبير عن مراده بذلك النحو! مع أنه لو تأمل في مقدمة الحديث وهو قصة يوشع الذي كان أعلم قوم موسى ﷺ، وكان وصيه في أمته! والتنظير به هنا يكون بلا فائدة لو فسرناه بما فسره الطبراني! ولكنها شئشنة معروفة، ولذلك لم يرتضها ابن كثير الدمشقي هذا التفسير وتنظر فيه في كتابه جامع المسانيد والسنن ٣/ ٥٢٨، ولكنه أيضاً سيتورط مع ما يحمله من معتقد فكان أن نسف الحديث رأساً وقال: بل هذا الحديث منكر جداً، ولا يصح سنده قولاً واحداً. ففي رجاله من لا يعرف رأساً وفيهم المتكلم فيه بأشياء!!

اللَّهُ ﷻ: «أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ يَبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلْزَالَ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ.»^(١)

وقد نقل عنه الخزاز القمي في كتابه كفاية الأثر عشر روايات في النص على الأئمة الاثني عشر؛ منها قوله: «سمعت رسول الله ﷺ يقول للحسين ﷺ: يا حسين أنت الإمام ابن الإمام، تسعة من ولدك أئمة أبرار، تأسعهم قائمهم. فقيل: يا رسول الله كم الأئمة بعدك؟ قال: اثنا عشر تسعة من صلب الحسين.»^(٢)

هذه الإضمامة من الأحاديث ليست كل ما روي عن أبي سعيد الخدري وإنما هي - وغيرها - نماذج نكتشف من خلالها توجهه العقدي ومواضع ولايته وبراءته وانتمائه، وهي بالإضافة إلى ما سبق من الأحاديث عن بعض أئمة أهل البيت وما سيأتي من تصريح رجاليي الامامية تعدد أحد الصحابة العظام الذين والوا أمير المؤمنين علياً ﷺ مستهدين في ذلك بما سمعوه عن رسول الله ﷺ.

هل روى أحاديث مخالفة للمعروف عنه؟

إلا أننا مع ذلك قد نصادف أحاديث في كتب مدرسة الخلفاء لا تنسجم مع هذه النتيجة، فمن ذلك ما روي عنه في شأن أبي طالب عم النبي ووالد الوصي من: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ عِنْدَهُ عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ، فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنَفَّعَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، يَبْلُغُ كَعْبِيهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغَهُ!!»^(٣)

(١) العاملي؛ محمد بن الحسن الحر: إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات ٥/ ١٢٢

(٢) الخزاز القمي: كفاية الأثر ٥٥

(٣) مسند أحمد مخرجا ١٧/ ١١٣ — أحمد بن حنبل



وهكذا الحال فيما نسب إليه من أنه كان مع الإمام علي في اليمن فجاء يشتكيه إلى رسول الله، وفي بعض تلك النصوص ما يشير إلى أن ذلك كان بمحضر أبي بكر الذي «أدخله» على النبي! والحديث طويل^(١).

وفي الجواب عن الحديتين وأمثالهما بأننا في نفس الوقت الذي لا نعتقد فيه بعصمة صحابة النبي ﷺ وأنهم معرضون للخطأ، وأن بعضهم عندما يتبين لهم خطأهم يتراجعون عنه بينما يصر البعض الآخر وتأخذهم العزة بالإثم، إلا أننا لا نستبعد أنه في الفترة التي نشط فيها سوق وضع الأحاديث بدءاً من أيام معاوية بن أبي

(١) البيهقي؛ أبو بكر: دلائل النبوة ٣٩٨/٥ «..عن أبي سعيد الخدري، أنه قال: بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب إلى اليمن، قال أبو سعيد: فكنت ممن خرج معه، فلما أخذ من إبل الصدقة سأله أن نركب منها ونريح إبلنا، فكننا قد رأينا في إبلنا خللاً، فأبى علينا، وقال: إنما لكم منها سهمٌ كما للمسلمين.

قال: فلما فرغ عليٌّ وانطلق من اليمن راجعاً أمر علينا إنساناً، وأسرع هو فأدرك الحج، فلما قضى حاجته، قال له النبي ﷺ: ارجع إلى أصحابك حتى تقدم عليهم، قال أبو سعيد: وقد كنا سألنا الذي استخلفه ما كان عليٌّ معنا إياه ففعل، فلما جاء عرف في إبل الصدقة أن قد ركب، رأى أثر المركب، فذم الذي أمره ولامه، فقلت: أنا إن شاء الله إن قدمت المدينة لأذكرن لرسول الله ﷺ ولأخبرته ما لقينا من الغلظة والتضييق.

قال: فلما قدمنا المدينة غدوت إلى رسول الله ﷺ أريد أن أفعل ما كنت حلفت عليه، فلقيتُ أبا بكر خارجاً من عند رسول الله ﷺ فوقف معي ورحب بي وسألني وسألته، وقال: متى قدمت؟ قلت: قدمت البارحة، فرجع معي إلى رسول الله ﷺ، فدخل فقال: هذا سعد بن مالك بن الشهيد، قال: ائذن له، فدخلت فحييت رسول الله ﷺ وجاءني وسلّم علي، وسألني عن نفسي وعن أهلي فأحفي المسألة، فقلت له: يا رسول الله، ما لقينا من عليٍّ من الغلظة وسوء الصحبة والتضييق، فانتبذ رسول الله ﷺ، وجعلتُ أنا أعدد ما لقينا منه، حتى إذا كنت في وسط كلامي ضرب رسول الله ﷺ علي فخذي، وكنت منه قريباً، ثم قال: سعد بن مالك الشهيد! مه، بعض قولك لأخيك علي، فوالله لقد علمتُ أنه أخشن في سبيل الله، قال: فقلت في نفسي، ثكلتك أمك سعد بن مالك ألا أراني كنتُ فيما يكره منذ اليوم، وما أدري لا جرم والله لا أذكره بسوء أبداً سراً ولا علانيةً.

سفيان، أن يكون قد تم وضع عشرات الأحاديث على لسانه،^(١) فإن وُضِعَ الأحاديث يتخيرون الثقات من الرواة ليضعوا الحديث على لسانهم، وهنا ينبغي النظر لا إلى السند فقط وإنما إلى المتن والمضمون ليتم تقييم هذا المتن والمضمون بحسب المسار العام للراوي وشخصيته وفكره، وبالتالي فيقوى الظن لدينا بأن الكثير مما ذكر عنه - وهو مخالف لتوجهه ومساره العام - هو موضوع عليه، ومنسوب إليه من غير أن يكون كذلك.

وفي خصوص الحديثين المذكورين: فإن الحديث الثاني عن قضية اليمن فيه دلالات كثيرة، أن علياً عليه السلام لا يساوم على الحق وكما قال النبي - بناء على هذا الحديث - إنه أخشن في ذات الله، ولا يهادن فيه ولو أدى ذلك إلى أن يتكلم المرافقون له ضده! فهو لا يخطب ودهم بمقدار ما يطبق أحكام الله، ومثلما قال: إنما لكل واحد منهم سهم كسائر المسلمين فكيف يتصرف هؤلاء خارج هذه المعادلة، وقبل أن يقسم رسول الله فيهم ما ينقسم؟ ومن هذه الدلالات أن أبا سعيد منذ ذلك اليوم علم أن لعلي عليه السلام المنزلة الكبرى عند النبي وأقسم أنه لا يذكره بسوء أبداً سراً ولا علانية، بل جعل نفسه داعية فضائل ومناقب الإمام كما رأينا.

وأما الحديث الأول حول أبي طالب فإنه لا يصح ولا يصدق كما أثبت ذلك كل من تحدث في إيمان أبي طالب من شيعة أهل البيت أو من مدرسة الخلفاء، وقد تتبعها المرحوم العلامة الأميني رحمه الله في الغدير فليراجع، وإذا كان الأساس وهو سقم وعدم صحة صدور هذا الحديث عن رسول الله، فتوابعه من الراوي الأول إلى الأخير لا معنى لبقائها.

(١) وقد أشار لهذا المعنى المحقق التستري في كتابه قاموس الرجال ٥ / ١٦



مواقفه في أيام أمير المؤمنين عليه السلام:

يسجل لأبي سعيد الخدري بالإضافة إلى مشاركته النبي في حروبه وغزواته، أنه كان كذلك مع أمير المؤمنين عليه السلام في معركتي صفين والنهر وان،^(١) كما يذكر له موقف في أيام أمير المؤمنين، وكان الأمر واضحاً لأبي سعيد في أن أولى الناس بالحق هو علي بن أبي طالب،^(٢) وأن كل من قاتله هو على ضلالة، فكم تحدث بها عند من يسمعه: «أمرنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِقِتَالِ الْبَغَاةِ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، أَمَرْتَنَا بِقِتَالِ هَؤُلَاءِ فَمَعِ مَنْ نَقَاتَلُهُمْ؟ قَالَ: مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، مَعَهُ يَقْتُلُ عِمَارُ بْنُ يَاسِرٍ»^(٣) ويبين للناس موقع الإمام عليه السلام، وقد اهتدى على أثر ذلك بعضهم كما يظهر من هذا الحديث الذي رواه أبو هارون العبيدي: كنت أرى رأي الخوارج لا رأي لي غيره حتى جلست إلى أبي سعيد الخدري فسمعتة يقول: أمر الناس بخمس فعملوا بأربع وتركوا واحدة، فقال له رجل: يا أبا سعيد فما هذه الأربع التي عملوا بها؟ قال: الصلاة والزكاة والحج والصوم.

قال: فما الواحدة التي تركوها؟

قال: ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

(١) ابن حبيب، المُحَبَّر، ص ٢٩١

(٢) هذا بالرغم من أن المسعودي في مروج الذهب قد نسب إليه أنه تخلف عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام، ورد الرجاليون هذا الكلام ومنهم الشيخ التستري في قاموس الرجال ١٦ / ٥ حيث قال: «عده المسعودي في من تخلف عن بيعة أمير المؤمنين - عليه السلام - إلا أنه بعد اتفاق أخبارنا على استقامته وقوله بامامة أمير المؤمنين - عليه السلام - وجب القول: إمّا باستبصاره بعد، وإمّا باشتباه المسعودي وأنه رأى تخلف سعد بن مالك - أي سعد بن أبي وقاص - فتوهمه الخدري، فكلّ منهما سعد بن مالك..» أقول: لا محل للاحتمال الاول ويتعين الثاني.

(٣) ابن عساکر، أبو القاسم: تاريخ دمشق ٤٢ / ٤٧١

قال: وإنها مفترضة معهن؟ قال: نعم

كذلك فإنه يذكر له موقف حسن فيما يرتبط بحملة جيش الأمويين على مكة قرب أيام الحج، فحين عزم قثم بن العباس والي مكة من قبل الإمام علي عليه السلام على الانسحاب من مكة وتخليتها لقائد الأمويين جاءه أبو سعيد الخدري متسائلاً عن ذلك ومستغرباً منه فأجابه قثم: قد حدث هذا الذي بلغك وليس معي جند أمتنع به فرأيت أن أعتزل عن مكة، فإن يأتي جند أقاتل بهم وإلا كنت قد تنحيت بدمي!

فقال له أبو سعيد: إني لم أخرج من المدينة حتى قدم علينا حاج أهل العراق وتجارهم يخبرون أن الناس بالكوفة قد ندبوا إليك مع معقل بن قيس الرياحي.

قال: هيهات هيهات يا أبا سعيد، إلى ذلك ما يعيش أولادنا.

فقال له أبو سعيد: رحمك الله فما عذرك عند ابن عمك؟ وما عذرك عند العرب إن انهزمت قبل أن تطعن وتضرب؟ فقال: يا أبا سعيد إنك لا تهزم عدوك ولا تمنع حريمك بالمواعيد والأمان، اقرأ كتاب صاحبي، فقرأ أبو سعيد عليه كتاب أمير المؤمنين وفيه إخبار له بأنه قد أعد نجدة له وأن عليه أن يصبر، لكن قثم بن العباس كان قد أمكن الخوف من قلبه فلم يشأ الاستجابة، بالرغم من نصائح أبي سعيد له! وكانت النتيجة أن سعى أبو سعيد الخدري فيما بين قثم بن العباس أمير الحاج ووالي مكة من جهة الإمام علي وبين يزيد بن شجرة الرهاوي قائد جيش الأمويين على أن يجنبوا موسم الحج القتال وهذا ما حصل إلى أن وصلت التجهيزات العسكرية التي أرسلها أمير المؤمنين قرب مكة، فلما قضى يزيد بن شجرة ومن معه حجهم انسحبوا قبل أن تحدث مواجهة بينهم وبين القوة العسكرية التي أرسلها الإمام علي عليه السلام. (١)

(١) تفصيل الحوادث يمكن الاطلاع عليه في كتاب الغارات: إبراهيم بن محمد الثقفي ٢ / ٥١٠



ولا يخفى أن هناك صفحات غير مدونة من حياة أبي سعيد الخدري ولعل كونها في غير اتجاه السلطة الرسمية جعلها تختفي، لكن يذكر من سيرته أنه تعرض للأذى^(١) عندما هاجم الجيش الأموي في أيام يزيد بن معاوية، مدينة رسول الله ﷺ وأباحها، وقيل إنه فر منهم إلى غار جبل بينما أغار بعض الجند على منزله وسرقوا ما فيه.

كما ينقل في أحواله أنه كان ممن اعترض على الحاكم الأموي مروان بن الحكم عندما غير الحكم الشرعي القاضي بأن خطبتي صلاة العيد هي بعد الصلاة، فقدمهما عليها.

ولا نعرف السبب الذي جعل أبا سعيد الخدري لا يشارك^(٢) في معركة كربلاء في صف الإمام الحسين ﷺ، إلا أن يكون بعض الأسباب العامة التي ذكرناها في كتاب سيرة الإمام الحسين ﷺ.^(٣)

ولكن الإمام الحسين ﷺ قد أحال عليه^(٤) وعلى آخرين في إحدى خطبه في

(١) تاريخ دمشق ٣٩٥/٢٠: « عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ قال: لزمْتُ بَيْتِي لِيَالِي الْحَرَّةِ فَلَمْ أُخْرَجْ، فَدَخَلَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَقَالُوا: أَيُّهَا الشَّيْخُ! أَخْرِجْ مَا عِنْدَكَ. فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا عِنْدِي مَالٌ. قَالَ: فَتَتَفَّؤُوا لِحَيْتِي وَصَرَبُونِي صَرَبَاتٍ ثُمَّ عَمِدُوا إِلَى بَيْتِي فَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ مَا خَفَّ لَهُمْ مِنَ الْمَتَاعِ حَتَّى إِنَّهُمْ يَعْمِدُونَ إِلَى الْوَسَادَةِ وَالْفِرَاشِ فَيَنْفَضُونَ صُوفَهُمَا وَيَأْخُذُونَ الظَّرْفَ، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَهُمْ أَخَذَ زَوْجَ حِمَامٍ كَانَ فِي الْبَيْتِ ثُمَّ خَرَجُوا بِهِ.

(٢) وإن كان هذا لا يخل بالضرورة بوثاقة الشخص وعدالته كما ذكر العلامة المامقاني في مقدمات كتاب تنقيح المقال ٣٠٩ / ٢ بقوله: إنه إذا ثبت حسن حال الرجل أو عدالته وثقته لم يمكن المناقشة في ذلك بحياته في زمان وقعة الطف، وتركه الحضور لنصرة سيّد المظلومين ﷺ؛ ضرورة أن عدم الحضور فعل مجمل لا يحمل على الفاسد إلا إذا أحرز فيه جهة الفساد..

(٣) آل سيف؛ فوزي: أنا الحسين بن علي

(٤) نعم تفرد ابن سعد البغدادي في الطبقات (ترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد / ٥٧) بخبر عن أن أبا سعيد عارض الحسين في خروجه فقال: وقال أبو سعيد الخدري: غلبني الحسين على

يوم عاشوراء، حينما قال: «أو لم يبلغكم قول مستفيض فيكم أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله قال لي ولأخي هذان سيدا شباب أهل الجنة فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق والله ما تعمدت كذباً مذ علمت أن الله يمقت عليه أهله ويضر به من اختلقه وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري أو أبا سعيد الخدري أو سهل بن سعد الساعدي أو زيد بن أرقم أو أنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله ﷺ لي ولأخي...»^(١).

كيف ذكره رجالو الإمامية

١. في اختيار معرفة الرجال للكشي، والذي اختاره الشيخ الطوسي: «من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين ﷺ أبو الهيثم بن التيهان وأبو أيوب وخزيمة بن ثابت وجابر بن عبد الله وزيد بن أرقم وأبو سعيد الخدري وسهل بن حنيف...»^(٢).

٢. عده أحمد بن محمد بن خالد البرقي في كتابه الرجال^(٣): من الأصفياء من أصحاب أمير المؤمنين ﷺ.

٣. ووصفه العلامة الحلي في خلاصة الأقوال بقوله: وهو من السابقين الذين

الخروج، وقد قلت له: اتق الله في نفسك! والزم بيتك، فلا تخرج على إمامك!.. وقد رد غير واحد من المحققين هذا الخبر ولم يقبلوه.. فقال المحشي على تنقيح المقال ٣٠ / ٢٢٣: لا ينبغي الاهتمام بما ذكره ابن سعد لتفرده بذلك، ولمضادة ذلك لسيرة حياة المترجم، كما وقد تفرّد بكثير ممّا ذكره في الرسالة».

(١) الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الطبري ٤ / ٣٢٣

(٢) الطوسي: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ١ / ٢٢٣

(٣) البرقي، أحمد بن محمد بن خالد: الرجال ص ١١



رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

٤. وقد نقل السيد الخوئي في كتابه معجم رجال الحديث^(١) ما ذكره الكشي عن الفضل بن شاذان، والبرقي وقال: سعد أبو سعيد الخدري: من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أصفياء أصحاب علي عليه السلام كان مستقيماً، وهو من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام قاله الكشي عن الفضل بن شاذان - واسمه سعد بن مالك - خزرجي قاله البرقي.

٥. وقال الشيخ النمازي الشاهرودي - بعد أن استعرض شرطاً من حياته وأشار إلى أحاديثه -: فمما ذكرنا كله يستفاد وثاقته وجلالته، وفاقاً للعلامة المامقاني وغيره، وهو من الذين اعتمد عليهم الصدوق، في كتابه الفقيه وحكم بصحة أحاديثهم واستخرج أحاديث كتابه من كتبهم.^(٢)

(١) الجواهري، محمد: المفيد من معجم رجال الحديث ص ٢٥٣

(٢) النمازي الشاهرودي؛ علي: مستدركات علم رجال الحديث ٤ / ٢٠



حذيفة بن اليمان العبسي

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّا اللَّهُ مُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ﴾^(١)

تتناول هذه الصفحات شخصية الراصد للخطوط المنحرفة والفئات المنافقة وصاحب سر رسول الله ﷺ وهو: حذيفة بن حسيل اليمان العبسي^(٢) المعروف بـ (حذيفة بن اليمان)

هذا الرجل شخصية فريدة في زمان رسول الله ﷺ وذلك أنه كان موضع سر النبي ﷺ والذي يخبره بما يصعب اخبار سائر المسلمين والأصحاب، وهذا يشير إلى سعة أفقٍ وشرح صدرٍ عند هذا الإنسان.

هناك بعض الحقائق لا يستطيع كثير من الناس أن يتحملوها، وهناك أوعيةٌ للعلم والمعرفة تستطيع أن تتحمل هذه المعلومات وهذه المعارف ومن ذلك أن في ما حول رسول الله ﷺ كان يوجد منافقون أشار إليهم القرآن الكريم بقوله: ﴿وَمَمَّنْ

(١) التوبة: ٦٤

(٢) بالرغم من أن بعضهم عبر عنه بالعنسي بالنون إلا أن الصحيح هو العبسي.

حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ
نَعْلَمُهُمْ ﴿١﴾

ويظهر أن هؤلاء غير أولئك وإلا لما كان معنى للعطف، يعني يفترض أن من بين المهاجرين القادمين من مكة، كان هناك أشخاص منافقون على خلاف ما زعمه بعض المحدثين من أنه لم يكن هناك منافقون من قريش!

وبحديثه عنهم والإشارة إليهم يحذر القرآن الكريم منهم، وهذه الآية وأمثالها هي من الطعون القرآنية التي وجهت إلى (نظرية عدالة الصحابة) كما سبق وأن أشرنا إليها في الفصول الأولى من هذا الكتاب، وقلنا أن ما دام القرآن الكريم قد أثبت وجود المنافقين في أصحاب رسول الله ﷺ من أهل مكة المهاجرين ومن أهل المدينة القاطنين، فلا معنى بعد ذلك لأن نقول: إن كل أصحاب رسول الله ﷺ عدولٌ ثقاتٌ وأنهم كلهم من أصحاب الجنة وأنهم كلهم أفضل البشر بعد رسول الله ﷺ، فإن هذا يكون معارضا للقرآن الكريم.

بعد هذا؛ نقول هل هناك من المسلمين من اطلع عليهم؟ وحسب التعبير المعاصر، من هو الذي كان بيده الملفات؟ من يعرف الأسماء؟ من بيده التمييز بين الشخصيات؟

صحيحٌ أنه لم يكن من المصلحة إفشاء الأسماء لعامة الناس، وذلك لما يستتبعه -ربما- من فوضى اجتماعية، ولكن لا بد أن يكون هناك عارفون بهم، وكان حذيفة بن اليمان العبسي أهم أصحاب رسول الله ﷺ ممن اطلع على هؤلاء المنافقين وأدوارهم، فلنبداً مع هذا الرجل الموالي لأهل البيت ﷺ، السائر على خط أمير المؤمنين بعد رسول الله ﷺ.



كيف كانت بدايته؟ وما هي محطات حياته؟

يبدأ الأمر بإسلام حذيفة مع أبيه حِسل أو حُسيل على الاختلاف في ذكر اسمه، واليمان لقب والده حِسل، وقد قيل هنا إن والده الذي كانت أصوله مكية لكنه كان قد سكن المدينة وحالف بني عبد الأشهل قبل هجرة النبي ﷺ وفيها أخذ لقب اليمان لأنهم كانوا يعتبرون الأنصار من اليمن، ولما بدأ أعيان المدينة يبايعون النبي ﷺ في موسم الحج كان ممن بايعه، ولم يكن حذيفة معه ولكن حذيفة لم ينتظر وصول النبي ﷺ إلى المدينة ليؤمن به بل أسلم قبل وصوله.

وفي قضية عدم شهوده بدرًا تنقل مصادر مدرسة الخلفاء خبراً لا يخلو من تأمل ويحتاج إلى تفسير، فقد نقل عنه قوله: قال: ما مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حَسِيلٍ، قَالَ: فَأَخَذْنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ فَقَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا؟ فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، وَمَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصُرَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَاتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ فَقَالَ: أَنْصِرْنَا، نَفِي لَهُمْ، وَأَسْتَعِينُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ». (١) ويشير هذا الخبر تساؤلات:

١. هل كان حذيفة وأبوه في مكة أثناء غزوة بدر حتى يستطيع الكفار منعهم؟ فإن من المعلوم أن الوالد حِسل أو حِسيل (الملقب باليمان) كان قد ترك مكة أيام الجاهلية في دم طلب به، وسكن المدينة وتحالف مع بني عبد الأشهل وتزوج منهم وكانت أم حذيفة أشهلية مدنية، وولد حذيفة هناك، بل إن اليمان إنما بايع النبي ﷺ قادماً من المدينة إلى منى -بيعة العقبة- فماذا يعني القول؟ إنني خرجت وأبي حِسيل فأخذنا كفار قريش وقالوا إنكم تريدون محمداً؟

(١) ابن أبي شيبة؛ أبو بكر: مصنف ابن أبي شيبة ٤٥١/٦، ونقل في مسند أحمد وفي صحيح مسلم وغيرهما.

فقلنا ما نريد إلا المدينة! فهذا يفترض أنهم كانوا في مكة.. إلا أن يقال أنه تصادف وجودهم في تلك الفترة في مكة وحصل لهم هذا الحادث.

٢. هل كان يجب على الوالد (اليمان) وابنه (حذيفة) الالتزام للكفار بهذا العهد، والكفار باغون معتدون خارجون لمحاربة النبي ﷺ والمؤمنين؟ بالإضافة لكفرهم.. كيف ونحن نعلم أن: «الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله»^(١) كما نقل عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، ولا سيما في مثل هذا الموقع حيث هو دفاع عن الاسلام ووجوده وهو أعظم المهمات.

٣. هل يجب على المؤمن أن يلتزم بيمين كالتي أخذت منهما من قبل الكفار، وهما في ذلك مكرهان عليها؟ مع أن من شروطها الاختيار والقصد ولذلك فإنه «يجوز أن يحلف على خلاف الواقع مع تضمن المصلحة الخاصة كدفع الظالم عن ماله أو مال المؤمن ولو مع إمكان التورية بل قد يجب الحلف إذا كان به التخلص عن الحرام أو تخليص نفسه أو نفس مؤمن من الهلاك»^(٢). إلا أن يقال مع ذلك كله أن النبي ﷺ أراد أن يعلم المسلمين درسا استثنائياً في احترام العهود والأيمان حتى لو لم يكن واجباً عليهم، ومن جهة أخرى يظهر للكفار كيف أن الاسلام يزيد التزام الانسان وأخلاقياته، بل يمكن في هذا الباب - لو تمت تلك الرواية وتم توجيهها - أنه لما كان حذيفة يعد لدور استثنائي وهو أن يكون مخزن أسرار، وعليهما بأسماء المنافقين فيحتاج أن يمارس أقصى درجات الانضباط بحيث لا تكون الضغوط أو الرغبات قادرة

(١) الزمخشري؛ جار الله: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ١٤٣/٤ والشريف الرضي: نهج البلاغة،

خطب الإمام علي عليه السلام (تحقيق صبحي الصالح)، ص ٥١٣

(٢) منهاج الصالحين، ج ٢، السيد الخوئي، ص ٣١٨ (مسألة ١٥٤٧)



على فك هذا المخزن، وأنه إذا عاهد النبي ﷺ ألا يتحدث بذلك فما من ظرف سيلجئه إلى إفشاء تلك الأسماء.

وعلى كل حال فما فات الوالد في معركة بدر من الشهادة لن تفوته في أحد فقد اشتركا - الوالد والولد - فيها وكانا يقاتلان قتال الأبطال، ساعة وإذا بحذيفة يرى والده وقد استلحم معه المسلمون - ولم يعرفوه - فكان أن أخذت سيوفهم مأخذها منه! وأما صرخات حذيفة: أيها المسلمون إنه أبي! إنه والدي! لا تقتلوه.. فإنها قد ضاعت في صليل السيوف وصرخات المقاتلين وصهيل الخيل!

ولعل هذا كان الامتحان الآخر الذي تعرض له حذيفة لتصقل شخصيته وتكمل، ماذا يصنع في هذه الحال؟

وإذ قال حذيفة للمسلمين (لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)^(١) متمثلاً موقف نبي الله يوسف ﷺ قال رسول الله ﷺ: إنه سيعطي ديته من بيت مال المسلمين، باعتبار أن بيت المال ضامن لمثل هذا القتل الخطأ، فوهب حذيفة تلك الدية للمسلمين.

أي معدن هذا؟ وأي نفس سامية؟ ربما لو كان غيره لأثارها داحس والغبراء على من أخطأوا وقتلوا والده ولما نجا أحد من غضبه! ولقد وجدنا بعض المسلمين أراد الثأر من بعض آخر على دماء وترات كانت في الجاهلية! وقد أكل الدهر عليها وشرب! بينما هذا الرجل تمزق سيوف المسلمين والده بين عينيه ويقول: لا تثريب ثم يعفو عن الدية أيضا لأنه (أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)، لقد نجح حذيفة في هذا الامتحان حائزاً على الدرجة الكاملة.

هلم لنرّ الامتحان الثالث

ها نحن في معركة الأحزاب والخندق التي وصف أجواءها القرآن الكريم في سورة سميت باسمها ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ * إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١﴾ في هذه المعركة التي طال وقتها ثلاثة أسابيع من الحصار فرضه نحو عشرة آلاف مقاتل من الأحزاب ومعهم عدو داخلي شرس هو اليهود الذين كانوا يدلون الكفار على ثغرات المدينة وعوراتها ويتآمرون من الداخل، ووصل الأمر إلى أن زاغت الأبصار فلا تركيز لها في النظر وبلغت القلوب الحناجر من الخوف! وتتدخل الإرادة الإلهية بالنصر فتحرك الريح والجنود غير المرئيين، ولكن النبي ﷺ يحتاج إلى من يقتحم خطوط العدو حتى يتعرف إلى خططهم وما يريدون فعله، فمن يقوم بذلك؟ من هو الذي يدخل في فم السبع فلا يخاف ويكون ذكياً فلا يقنص؟ إذ لا مجال لتوجيهه خطوة بخطوة؟

ها هو حذيفة يقص تلك المهمة، فيقول: إِنَّ النَّاسَ تَفَرَّقُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ فَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا نَفَرٌ، فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا نَائِمٌ فَقَالَ: «انْطَلِقْ إِلَى عَسْكَرِ الْأَحْزَابِ فَانظُرْ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا قُمْتُ إِلَيْكَ إِلَّا حَيَاءً مِنَ الْبَرْدِ أَوْ قَالَ: مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ، فَقَالَ: «انْطَلِقْ»، فَاِنْطَلَقْتُ حَتَّى آتَيْتِ عَسْكَرَهُمْ، فَوَجَدْتُ أَبَا سُفْيَانَ يُوقِدُ النَّارَ يُصَلِّي ظَهْرَهُ فِي عَصَبَةِ حَوْلِهِ، وَقَدْ تَفَرَّقَ الْأَحْزَابُ عَنْهُ فَجِئْتُ حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَهُمْ فَحَسَّ أَبُو سُفْيَانَ، أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ فِيهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ فَقَالَ:



لِيَأْخُذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِيَدِ جَلِيسِهِ فَضَرَبْتُ بِيَدِي عَلَى الَّذِي عَلَى يَمِينِي فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، ثُمَّ ضَرَبْتُ بِيَدِي عَلَى الَّذِي عَلَى يَسَارِي، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَلَبِثْتُ هُنَيْهَةً ثُمَّ قُمْتُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يُصَلِّي، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ أَنْ اذْنُ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيَّ مِنَ الثَّوْبِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ لِيُدْفَنَنِي فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ: «يَا ابْنَ الْيَمَانِ، أَقْعُدْ مَا خَبَرَ النَّاسِ؟»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنِّ أَبِي سُفْيَانَ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا فِي عَصَبَةِ تُوقِدُ النَّارَ وَقَدْ صَبَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَرْدِ مِثْلَ الَّذِي صَبَّ عَلَيْنَا فَأَلْقَى عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ ثَوْبَهُ فَمِمْتُ..»^(١).

وإذا كانت معركة الأحزاب قد كشفت بشكل اجمالي صفات المنافقين ومعسكرهم من خلال خوفهم وتراجعهم مما نزلت به سورة الأحزاب والتوبة تلك السورة الفاضحة فذكرت صفاتهم وأقوالهم، حتى لقد قال بعضهم لبعض لن أتكلم بشيء فلو تكلمت لأنزل الله على محمد خبر ما قلته حرفا بحرف!

إلا أن المعركة القادمة في تبوك هي التي ستضع النقاط على الحروف، فلن يكتفى فيها بنقل أقوالهم مثل: ﴿مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(٢) وأحوالهم حيث أنه ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾^(٣) لكن لم تنزل سورة فيها أسماء المنافقين، ولا يوجد إخبار صريح من النبي ﷺ عن أسمائهم، ولكن يستطيع الانسان أن يتبين تيار المنافقين ومواقفهم بل وحتى يخمن أسمائهم من خلال إشارات يرسلها حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ فإذا وجدناه ينقل أحاديث الولاية، وفضائل أمير المؤمنين ﷺ ووصية

(١) البزاز؛ أبو بكر: مسند البزاز ٧ / ٣١٧

(٢) التوبة: ٤٩

(٣) التوبة: ٨١

النبي إياه وأنه أمير المؤمنين حقاً حقاً.. كما سيأتي في السطور القادمة.

مؤامرة اغتيال النبي ليلة العقبة

سوف تشهد معركة تبوك تطوراً جدياً في هذا الملف، حيث أنه سوف يرى هؤلاء المنافقين المتآمريين ويضبطهم متلبسين شارعين في استهداف النبي ﷺ واغتياله!! وهذا ما كان أسوأ التوقعات لا يصل إليه، فربما كان يمكن تصور أنهم يتقاعسون عن الجهاد ويتخلفون عن التضحية ويمتنعون عن الانفاق وأمثال ذلك! لكن أن يصل الأمر بهم إلى محاولة اغتيال النبي وقتله! حين رجوعه من المعركة، وهذا بعد أن أنهى كيان قريش بهزيمتها في فتح مكة! فماذا كان يتوقع أولئك المنافقون؟

قد ذكرنا في موضع آخر جانباً من الظروف التي اقتضت قيام معركة تبوك مع الروم، وبالرغم من أنه لم تحدث مواجهة عسكرية بين الرومان وبين جيش المسلمين، وانسحب الرومان وتشتتوا، فكان ذلك يعد نصراً للمسلمين باعتبار أن عدة منها أنهم هم الذين قرروا الغزو والقضاء على القوة الإسلامية وجيشوا الجيوش فإذا بهم ينسحبون يجرون أذيال الخيبة! ومنها أن الامبراطورية الرومانية في ذلك الوقت كانت هي والفارسية القوتين العظميين في العالم، وانسحابهم أمام قوة المسلمين يعني الاعتراف بالقوة المسلمة الصاعدة!

وعلى أي حال فقد كانت فرصة جديدة للتعرف التفصيلي على قادة المنافقين وكبارهم، فإنه بعد أن قفل النبي ﷺ راجعاً باتجاه المدينة: «لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر منادياً فنادى: إن رسول الله ﷺ أخذ بالعقبة، فلا يأخذها أحد، فسار رسول الله ﷺ في العقبة، يقوده حذيفة ويسوقه عمّار، إذ أقبل رهطٌ متلثمون على الرواحل فغشوا عمّاراً وهو يسوق برسول الله ﷺ وأقبل عمار يضرب وجوه



الرواحل، فقال رسول الله ﷺ لحذيفة: قد قُذ، حتى هبط رسول الله ﷺ من الوادي، فلما هبط ورجع عمار، قال: يا عمار، هل عرفت القوم؟ قال: قد عرفت عامة الرواحل، والقوم مثلثمون، قال: هل تدري ما أرادوا؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أرادوا أن يُنْفَرُوا برسول الله ﷺ فيطرحوه، قال: فسار عمار رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فقال: نشدتك بالله! كم تعلم كان أصحاب العقبة؟ قال: أربعة عشر رجلاً، فقال: إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر رجلاً، قال: فعذر رسول الله ﷺ منهم ثلاثة؛ قالوا: والله ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ، وما علمنا ما أراد القوم. فقال عمار: أشهد أن الاثني عشر الباقيين، حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد»^(١) وفي نقل آخر أكثر تفصيلاً جاء عند البيهقي: وَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَافِلاً مِنَ تَبُوكَ إِلَى الْمَدِينَةِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْضُ الطَّرِيقِ مَكَرَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَتَأَمَّرُوا عَلَيْهِ أَنْ يَطْرَحُوهُ فِي عَقَبَةِ فِي الطَّرِيقِ، فَلَمَّا بَلَغُوا الْعَقَبَةَ أَرَادُوا أَنْ يَسْلُكُوهَا مَعَهُ، فَلَمَّا غَشِيَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُخْبِرَ خَبَرَهُمْ، فَقَالَ: مَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَأْخُذَ بَطْنَ الْوَادِي فَإِنَّهُ أَوْسَعُ لَكُمْ، وَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْعَقَبَةَ، وَأَخَذَ النَّاسُ بَطْنَ الْوَادِي إِلَّا النَّفَرَ الَّذِينَ مَكَرُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا سَمِعُوا بِذَلِكَ اسْتَعَدُّوا وَتَلَّثَمُوا، وَقَدْ هَمُّوا بِأَمْرِ عَظِيمٍ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، وَعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ، فَمَشَى مَعَهُ مَشْيًا، وَأَمَرَ عَمَّارًا أَنْ يَأْخُذَ بِزِمَامِ النَّاقَةِ، وَأَمَرَ حُذَيْفَةَ أَنْ يَسُوقَهَا فَبَيْنَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذْ سَمِعُوا بِالْقَوْمِ مِنْ ورائِهِمْ قَدْ غَشَوْهُمْ فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَرَ حُذَيْفَةَ أَنْ يَرُدَّهُمْ، وَأَبْصَرَ حُذَيْفَةُ غَضَبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَارْجَعَ وَمَعَهُ مَحْجَنٌ، فَاسْتَقْبَلَ وُجُوهَ رَوَاحِلِهِمْ، فَضَرَبَهَا ضَرْبًا بِالْمَحْجَنِ، وَأَبْصَرَ الْقَوْمَ وَهُمْ مُتَلَثِّمُونَ، لَا يَشْعُرُونَ إِلَّا ذَلِكَ فَعَلَّ الْمُسَافِرِ، فَارْعَبَهُمُ اللَّهُ حِينَ أَبْصَرُوا حُذَيْفَةَ، وَظَنُّوا أَنَّ مَكَرَهُمْ قَدْ ظَهَرَ عَلَيْهِ، فَأَسْرَعُوا حَتَّى خَالَطُوا النَّاسَ، وَأَقْبَلَ حُذَيْفَةُ حَتَّى أَدْرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ،

(١) مسند أحمد مخرجاً ٣٩/٢١٠ — أحمد بن حنبل

قَالَ: اضْرِبِ الرَّاحِلَةَ يَا حُدَيْفَةَ، وَاْمَشِ أَنْتَ يَا عَمَّارُ، فَاسْرِعُوا حَتَّى اسْتَوَى بِأَعْلَاهَا فَخَرَجُوا مِنَ الْعَقَبَةِ يَنْتَظِرُونَ النَّاسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحُدَيْفَةَ: هَلْ عَرَفْتَ يَا حُدَيْفَةَ مَنْ هُوَ لَاءِ الرَّهْطُ أَوْ الرَّكْبُ، أَوْ أَحَدًا مِنْهُمْ؟ قَالَ حُدَيْفَةُ: عَرَفْتُ رَاحِلَةَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، وَقَالَ: كَانَتْ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ، وَعَشِيَّتُهُمْ وَهُمْ مُتَلَثِّمُونَ، فَقَالَ ﷺ: هَلْ عَلِمْتُمْ مَا كَانَ شَأْنُ الرَّكْبِ وَمَا أَرَادُوا؟ قَالُوا: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهُمْ مَكْرُوا لِيَسِيرُوا مَعِيَ حَتَّى إِذَا أَظْلَمَتْ فِي الْعَقَبَةِ طَرَحُونِي مِنْهَا، قَالُوا: أَفَلَا تَأْمُرُ بِهِمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا جَاءَكَ النَّاسُ فَتَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ؟ قَالَ: أَكْرَهُ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ وَيَقُولُوا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَضَعَ يَدَهُ فِي أَصْحَابِهِ، فَسَمَّاهُمْ لَهُمَا، وَقَالَ: اكْتُمَاهُمْ»^(١).

أُسْئَلَةُ وَمَلَا حِظَات

على هامش محاولة الاغتيال خصوصاً وعلم حذيفة بأسماء المنافقين عموماً، نتساءل ونتأمل في النقاط التالية:

١. ما هو الغرض الذي يدفع النبي ﷺ إلى إخبار حذيفة، وتعريف عمار - في خصوص منافقي ليلة العقبة - بالمنافقين إذا كان الأمر سيبقى سرياً لا يعرفه أحد ولا يترتب عليه أثر عملي؟ والذي يظهر من مدرسة الخلفاء ومصادرهما هو هذا أنه بقي الأمر سرياً ولم يخرج إلى العلن إلى أن مات حذيفة! نعم بعض مصادرهم ذكرت أولاً: أنه لم يكن من المنافقين قرشي!! وأوردت أسماء (المنافقين) البدلاء كما جاء في تكميل خبر البيهقي الذي نقلناه آنفاً، وانتهى الأمر إلى أن المنافقين الذين كان يعلم حذيفة أسماءهم هم هؤلاء لا غير!

(١) البيهقي؛ أبو بكر: دلائل النبوة للبيهقي محققاً ٥/ ٢٥٧



وأما ما يراه العلماء في مدرسة أهل البيت فإنهم يرون أن الأمة ينبغي أن تكون على وعي وإن أخطر الأخطار عليها هو خط النفاق الداخلي؛ فلا بد من بيانه! وإذا كان البيان بالأسماء الصريحة فيه محاذير تمزق الأمة الإسلامية، وانشقاق الصف الداخلي، فينبغي أن تكون موازنة بين هذه المفسدة في تجنبها وتلك المصلحة (كشف خط النفاق) وبمقدار ما لا يلزم فساد أعظم ينبغي فضح هذا الخط.

ومن ذلك الفضح مواقف حذيفة وعمار، فمن المؤكد أن حذيفة و(عماراً) لن يوالوا من يحسبون على خط النفاق ودعم المنافقين، وسيجتنبونهم، فمتى رأيناها في خط وتوجه فمن المعلوم أن الخط الذي يعارضه ويعاديه هو خط النفاق.

٢. إنه يمكن القول أن خط النفاق كان مشتركاً بين مكة والمدينة، فهناك في المدينة كان منافقون وقد تمت الإشارة لهم في كتب مدرسة الخلفاء، كما أنه كان من قريش منافقون تم إغفال ذكرهم بهذه الصفة في تلك الكتب والمصادر، بل تم نفي أن يكون من المنافقين قرشي!! وكأن قريشا ومكة لا تنجب سوى الأبرار العدول!

وقد تكون الآية المباركة مشيرة إلى القسمين ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

٣. يعتقد باحثون بأن إخبار النبي ﷺ حذيفة بالخط المنافق في الأمة غاية هداية من يريد الاهتداء إلى الخط الرسالي الصحيح فيها، وهو ما كان عليه حذيفة وعمار وأمثالهم وهو المتمثل في ولاء أمير المؤمنين ﷺ والافتداء به. ولذلك نرى حذيفة كان صريحاً في موقفه وما يروي عن النبي ﷺ في شأن علي بن

أبي طالب ﷺ، والعترة النبوية الهادية، فيها هو يروي:

أ. عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: سَأَلْتَنِي أُمِّي مَتَى عَهْدُكَ تَعْنِي بِالنَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ مَا لِي بِهِ عَهْدٌ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا، فَنَالَتْ مِنِّي، فَقُلْتُ لَهَا: دَعِينِي آتِي النَّبِيَّ ﷺ فَأُصَلِّيَ مَعَهُ الْمَغْرِبَ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي وَلَكَ، فَاتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ فَصَلَّى حَتَّى صَلَّى الْعِشَاءَ، ثُمَّ انْقَلَبَ فَتَبِعْتُهُ، فَسَمِعَ صَوْتِي، فَقَالَ: مَنْ هَذَا، حُذَيْفَةُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: مَا حَاجَّتْكَ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَلَاؤُمَّكَ؟ قَالَ: إِنَّ هَذَا مَلَكٌ لَمْ يَنْزِلِ الْأَرْضَ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلَّمَ عَلَيَّ وَيُبَشِّرَنِي بِأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).

ب. عن ربيعة السعدي، قال: أتيت حذيفة بن اليمان، فقلت له: حدثني بما سمعت من رسول الله ﷺ ورأيتَه يعمل به. فقال: عليك بالقرآن. فقلت له: قد قرأت القرآن، وإنما جئتك لتحدثني بما لم أره ولم أسمع من رسول الله ﷺ، اللهم إني أشهدك على حذيفة أنني أتيتُه لتحدثني فإنه قد سمع وكتب. قال: فقال حذيفة: قد أبلغت في الشدة، فقال لي: خذها قصيرة من طويلة، وجامعة لكل أمر، إن آية الجنة في هذه الأمة لتأكل الطعام وتمشي في الأسواق. فقلت له: فبين لي آية الجنة فأتبعها، وآية النار فأتقيها. فقال لي: والذي نفس حذيفة بيده، إن آية الجنة والهداة إليها إلى يوم القيامة لأئمة آل محمد ﷺ، وإن آية النار والدعاة إليها إلى

(١) الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي ت بشار ١٢٧/٦، وقريب منه أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٤/٢٤٠ عن عمرو بن الحمق الخزاعي عن رسول الله ﷺ بهذا النص «هَلْ لَكَ أَنْ أُرِيكَ آيَةَ الْجَنَّةِ، يَأْكُلُ الطَّعَامَ، وَيَشْرَبُ الشَّرَابَ، وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ؟» قُلْتُ: بلى، يَا بِي أَنْتَ. قَالَ: «هَذَا وَقَوْمُهُ». وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ..



يوم القيامة لأعدائهم^(١).

ج. عن علي بن علقمة الأنماري، قال: لما قدم الحسن بن علي صلوات الله عليهما وعمار بن ياسر رضي الله عنه يستنفران الناس، خرج حذيفة رحمه الله وهو مريض مرضه الذي قبض فيه، فخرج يهادى بين رجلين، فحرض الناس وحثهم على اتباع علي عليه السلام وطاعته ونصرته، ثم قال: ألا من أراد -والذي لا إله غيره- أن ينظر إلى أمير المؤمنين حقاً حقاً، فلينظر إلى علي بن أبي طالب، فوازره واتبعوه وانصروه^(٢).

د. عن ربيعة السعدي قال: أتيت حذيفة بن اليمان وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: من الرجل؟ قلت: ربيعة السعدي، فقال لي: مرحباً مرحباً بأخ لي قد سمعت به ولم أر شخصه قبل اليوم، حاجتك؟ قلت: ما جئت في طلب غرض من الأغراض الدنيوية، ولكني قدمت من العراق من عند قوم قد افترقوا خمس فرق، فقال حذيفة: سبحان الله تعالى وما دعاهم إلى ذلك والأمر واضح بين وما يقولون؟ قال: قلت: فرقة تقول: أبو بكر أحق بالأمر وأولى بالناس، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه الصديق، وكان معه في الغار، وفرقة تقول: عمر بن الخطاب لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم أعز الدين بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب» فقال حذيفة: الله تعالى أعز الدين بمحمد، ولم يعزه بغيره، وقال فرقة: أبو ذر الغفاري رضي الله عنه لان النبي قال: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر»، فقال حذيفة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق منه وخير وقد أظلت الخضراء

(١) الطوسي، محمد بن الحسن: الأمالي ص ١١٦

(٢) نفس المصدر ٥١٦، والبلاذري: أنساب الأشراف ١٢٦/٢

وأقلته الغبراء، وفرقة تقول: سلمان الفارسي لأن رسول الله ﷺ يقول فيه: «أدرك العلم الأول وأدرك العلم الآخر، وهو بحر لا ينزف، وهو منا أهل البيت» ثم إني سكت، فقال حذيفة: ما منعك من ذكر الفرقة الخامسة؟ قال: قلت: لأنني منهم، وإنما جئت مرتاداً لهم وقد عاهدوا الله على أن لا يخالفوك، وأن لا ينزلوا عند أمرك فقال لي: يا ربعة اسمع مني وعه واحفظه وقه، وبلغ الناس عني، إني رأيت رسول الله ﷺ وقد أخذ الحسين بن علي ووضعته على منكبه، وجعل يقي بعقبه، وهو يقول: «أيها الناس إنه من استكمال حجتي على الأشقياء من بعدي التاركين ولاية علي بن أبي طالب ﷺ! ألا وأن التاركين ولاية علي بن أبي طالب هم المارقون من ديني أيها الناس هذا الحسين بن علي خير الناس جداً وجدة: جده رسول الله سيد ولد آدم وجدته خديجة سابقة نساء العالمين إلى الإيمان بالله وبرسوله وهذا الحسين خير الناس أباً وأماً أبوه علي بن أبي طالب وصي رسول رب العالمين ووزيره وابن عمه وأمه فاطمة بنت محمد رسول الله وهذا الحسين خير الناس عمماً وعممة عمه جعفر بن أبي طالب المزين بالجناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء وعمته أم هانئ بنت أبي طالب وهذا الحسين خير الناس خالاً وخالة خاله القاسم بن رسول الله وخالته زينب بنت محمد رسول الله ثم وضعه عن منكبه ودرج بين يديه، ثم قال أيها الناس وهذا الحسين جده في الجنة وجدته في الجنة وأبوه في الجنة وأمه في الجنة وعمه في الجنة وعمته في الجنة وخاله في الجنة وخالته في الجنة وهو في الجنة وأخوه في الجنة ثم قال: أيها الناس إنه لم يعط أحد من ذرية الأنبياء الماضين ما أعطي الحسين ولا



يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله ثم قال أيها الناس لجد الحسين خير من جد يوسف فلا تخالجنكم الأمور بأن الفضل والشرف والمنزلة والولاية ليست إلا لرسول الله وذريته وأهل بيته فلا يذهبن بكم الأباطيل^(١).

حذيفة بعد وفاة رسول الله ﷺ

جرت سنة الله على خير خلقه كما جرت على سائر بريته، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٢) وها هو رسول الله ﷺ يفارق الدنيا واللوعة لا تفارقه، بعد أن أراد للأمة - كما كان شأنه دائماً - ألا تضل، وأراد غيره لها غير ذلك، فكان أن أطبق عينيه على الأسي والألم! وما لبثت ابنته الزهراء سيده نساء العالمين من الأولين والآخرين أن غادرت الدنيا مكروبة حزينة «بين كمد وكرب، فقد النبي وظلم الوصي» وشيعت إلى قبرها في عدد محدود من أصحاب رسول الله الخالص، كان منهم حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وأبي ذر وأمثالهم، دون أن يخبر باقي الاصحاب وعلى

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، السيد ابن طاووس، ص ١٢٠ والعجيب أن ابن عساكر نقل الحديث مقطعا وممزقا من دون أن يجيب على السؤال الأصلي فيه، فإن الناظر إلى رواية السيد بن طاووس يجد فيه سؤالا عن التفضيل بين أصحاب رسول الله ودليل كل واحد ثم يجيبه حذيفة على ذلك بأن التارخين لولاية علي بن أبي طالب هم المارقون من دين الرسول ثم أفاض في ذكر فضائل الحسين وأمه! وأما في رواية ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢٨/١٣ مع أنها تبدأ بالقول هكذا عن ربيعة: قال لما اختلف الناس في التفضيل رحلت راحلتي وأخذت زادي وخرجت حتى دخلت المدينة فدخلت على حذيفة بن اليمان فقال لي: من الرجل؟ قلت من أهل العراق فقال لي من أي العراق قال قلت رجل من أهل الكوفة قال مرحبا بكم يا أهل الكوفة قال قلت اختلف الناس علينا في التفضيل فجئت لأسألك عن ذلك فقال لي على الخير سقطت.. ثم ساق الحديث وليس فيه ذكر لتفضيل أحد على أحد وإنما اكتفى بذكر مناقب الحسين مع أن السؤال من ربيعة ليس في هذه الجهة!

الخصوص جهة السلطة التي أبقيت بعيدة عن هذه المراسم بوصية الزهراء ﷺ.

وبقدر ما كانت الظلامة مؤلمة إلى حد أنه كان (في العين قذى وفي الحلق شجى) فقد كان السمو القيمي والأخلاقي بمستوى علي بن أبي طالب الذي أبان عن موقفه ذلك بقوله (وَوَاللَّهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمْتَ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ - وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً - التَّمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ - وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرِفِهِ وَزِبْرَجِهِ).^(١)

وعلى منهاجه سار من اهتدى بهداه، فلم يمنعهم - كما لم يمنعه - أن غيره جاء وصار الأمر الناهي مع أنهم يعلمون أنه أحق بها من غيره، لم يمنعهم ذلك أن يساهموا في كل ما يقدرون عليه ويستطيعونه في بناء كيان الاسلام، وتصحيح الأخطاء التي يقع فيها الأمراء والقادة، والعمل الايجابي.

ويظهر من بعض الروايات التاريخية أن حذيفة بقي بعد النبي ﷺ في المدينة فترة من الزمان، ثم هاجر إلى الكوفة أوائل تمصيرها وأخذ يث من روايات رسول الله ﷺ التي يعرفها عن آل محمد شيئاً كثيراً، وكان بعضه غريباً على سمع من يحضر إليه في حلقات مجلسه، ومن ذلك ما روى قيس بن الربيع قال: حدثنا أبو هارون العبدي، عن ربيعة السعدي قال: «أُتيتُ حذيفة بن اليمان فقلت له: يا أبا عبد الله، إننا لتحدثُ عن عليٍّ ومناقبه، فيقول لنا أهل البصرة: إنكم تُفَرِّطون في عليٍّ، فهل أنت مُحدثي بحديث فيه؟

فقال حذيفة: يا ربيعة، وما تسألني عن عليٍّ؟ والذي نفسي بيده، لو وُضِعَ جميعُ أعمال أصحاب محمد في كفة الميزان، منذ بعث الله محمداً إلى يوم القيامة، وُضِعَ عملُ عليٍّ في الكفة الأخرى، لَرَجَحَ عملُ عليٍّ على جميع أعمالهم.

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي ﷺ ص ١٠٢



فقال ربيعة: هذا الذي لا يُقام له ولا يُعَد!

فقال حذيفة: يا لَكَع، وكيف لا يَحْمَل؟! وأين كان أبو بكرٍ وعمر وحذيفة وجميع أصحاب محمد يوم عمرو بن عبد ودٍّ، وقد دعا إلى المبارزة؟! فأحجم الناس كلهم ما خلا علياً فإنه برز إليه فقتله الله على يديه، والذي نفس حذيفة بيده، لَعَمَلَهُ ذلك اليوم أعظم أجراً من أعمال أصحاب محمد إلى يوم القيامة»^(١).

ويتبين من نهج أحاديثه، أنه كان قد خصصها للتركيز على الخط السليم والمستقيم لولاية آل رسول الله ﷺ، وهو غير متهم في هذا عند أحد، لأنه يعرف أن أعداء هؤلاء هم الخطوط المائلة، هم الذين كانوا يغذون المنافقين، ولهذا كان يحدث بأحاديث في بعض الأحيان تعظم على سامعيها.

وبالرغم من الاعتقاد الراسخ الموجود لدى حذيفة وباقي أصحاب أمير المؤمنين ﷺ بأولويته على غيره وتقديمه عليهم في المنزلة والشأن وسائر الصفات، إلا أن ذلك كما قلنا لم يمنعهم كما لم يمنعه من المساهمة في بناء دولة الاسلام، كما كان لأصحاب أمير المؤمنين ﷺ المشاركة في القضاء النزيه وفي الادارة المالية الصالحة وفي القيادة العسكرية للجيش، وضمن هذا الاطار فقد شهد حذيفة بن اليمان معارك فتح ايران أيام الخليفة عمر بن الخطاب، فكان في معركة نهاوند، ولما قتل النعمان بن مُقَرَّن أمير ذلك الجيش أخذ الراية، وكان فتح همذان، والرِّي، والديَّنور على يده، وشهد فتح الجزيرة، ونزل نصيبين، وتزوج فيها.^(٢)

ولما كان يتمتع به من كفاءات ادارية، وأمانة واخلاص بالإضافة إلى ما كان

(١) الحسكاني؛ الحاكم: شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ٢ / ١٤، والمفيد؛ محمد بن النعمان: الإرشاد

١٠٣ / ١

(٢) ابن الأثير، أبو الحسن: أسد الغابة ط الفكر ١ / ٤٦٨

عليه من قربه لرسول الله ﷺ فقد انتخب من قبل الخليفة الثاني والياً على المدائن، وبقي كذلك عليها حتى أيام الخليفة عثمان، واستمر على ولايته عليها، إلى أن بايع المسلمون أمير المؤمنين علياً ﷺ.

ووصل خبر ذلك إلى حذيفة وهو في الكوفة حينها، ومع أنه كان في مرض الموت إلا أنه اعترته همّة الشباب وفرحة الوصول فطلب من ابنه أن يخرجاه إلى الناس فأخرج يتهدى على ابنه - وفي بعض الروايات - على سرير، فقال أيها الناس سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: من سره أن ينظر إلى أمير المؤمنين حقاً حقاً فليُنظر إلى علي بن أبي طالب.

قوموا رحمكم الله لنصر علي بن أبي طالب! وشتان بين موقف أبي موسى الأشعري وهو في الخط المناوئ لحذيفة وعمار حتى كان بينه وبين حذيفة كلام خشن، والذي كان يخذل عن أمير المؤمنين عليّ ﷺ بكل ما استطاع كما مر الحديث عنه في ترجمة عمار بن ياسر.

وأوصى ابنه صفوان وسعيداً بالتزام أمير المؤمنين والكون معه في ركابه أينما حل وارتحل، وهكذا حصل حتى حصلا على الشهادة في صفين رحمهما الله ورحم أباهما..



عدي بن حاتم الطائي

عدي بن حاتم الطائي المتوفى سنة ٦٧ للهجرة في الكوفة عن عمر تجاوز المئة سنة.. وهو ممن ينطبق عليهم عنوان (قصير النسب) بمعنى أن والده معروف إلى الحد الذي لا يحتاج أن تعرّفه بأكثر من ذلك، بينما غيره تحتاج إلى أن تعرفه بقبيلته أو ما شابه ذلك.

عندما يقال: حاتم الطائي، فإنه يتبادر إلى الأذهان صورة ذلك الرجل الذي اشتهر وعرف بين العرب جميعاً بأنه الأسخى والأجود، وضرب مثلاً فيقال «أجود من حاتم»^(١) باعتبار أنه بلغ القمة! وبمقدار ما كانت الأوضاع الاقتصادية في الجزيرة العربية سيئة، وكان العيش صعباً على الكثير من سكانها فقد كان السخاء والجود يمثل قيمة كبرى يصل أحياناً إلى مستوى انقاذ الحياة وليس مجرد أمر أخلاقي وكمالي!

(١) الأندلسي، أحمد بن محمد ابن عبد ربه: العقد الفريد ١/ ٢٥٤: مع أن الأجواد في قريش متعددون «ولكن المضروب به المثل حاتم وحده، وهو القائل لغلامه يسار، وكان إذا اشتدّ البرد وكلّب الشتاء أمر غلامه فأوقد ناراً في يفاع من الأرض لينظر إليها من أضلّ الطريق ليلا فيصمد نحوه، فقال في ذلك:

أوقد فإنّ اللّيل ليل قرّ والريح يا موقد ريح صرّ
علّ يرى نارك من يمرّ إن جلبت ضيفا فأنت حرّ

وحاتم الذي كان يعيش في منطقة حائل في المنطقة الجبلية المعروفة بجبال آجا وسلمى، صار رئيس قبيلته بسخائه وجوده فإن (من جاد ساد) وهو الذي يصدر عن فلسفة أخلاقية عالية في التعامل مع المال؛ باعتبار أنه لا بقاء له فإذا كان كذلك فالأفضل للإنسان أن يتصرف فيه بما ينفع فيه غيره من محتاجيه، ويبقى لنفسه الذكر الطيب، وأن المال لا يدفع عن الإنسان نهايته، وفي ذلك يخاطب زوجته ماوية:

أماويّ إنّ المال غاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذّكر
 أماويّ إمّا مانع فمبيّن وإمّا عطاء لا ينهنه الزّجر
 أماويّ إنّي لا أقول لسائل إذا جاء يوماً حلّ في مالي التّزر
 أماويّ ما يغني الثّراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
 أماويّ إنّ المال مال بذلته فأوّله شكر وآخره ذكر
 وقد يعلم الأقوام لو أنّ حاتماً أراد ثراء المال كان له وفر^(١)

وأصدق ما قال هو: ويبقى من المال الأحاديث والذكر، وشاهد ذلك أننا -وغيرنا- لا نزال نذكره بعد مرور عشرات القرون على موته!

ولأن الولد عُديّاً كان له الاستعداد الذاتي للسخاء فقد آتت تربية والده إياه ثمارها ونتائجها، وأصبح عديّاً شبيهه أبيه في سخائه ولذلك قيل فيه:

شابة حاتماً عديّاً في الكرم ومَنْ يُشابه أبه فما ظلم

وبناء على أنه توفي سنة ٦٧ هـ كما قيل، وأن عمره كان نحو ١٠٠ سنة، فهذا يعني أن ولادته كانت بحدود سنة ٣٣ قبل هجرة النبي ﷺ، وقد يكون لوجود قبيلته في حائل المحاذية لتبوك وبلاد الشام، فقد تأثر هو وبعض قبيلته بالتوجهات الدينية الموجودة في بلاد الشام.

(١) نفس المصدر ص ٢٥٦



ويعتقد أن الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية^(١) هي التي كانت سائدة في ذلك الوقت، في بلاد الشام وسورية على وجه التحديد وهي الأكثر عدداً وأتباعاً في تلك الفترة، لا شك أنها تفكر في التمدد في مختلف الجهات، وكانت تبوك وحائل مسكن طي في الجنوب الشرقي لتلك البلاد هي من أوائل البلاد التي استقبلت التأثير المسيحي، ولا ريب أن العقلاء عندما يعرض عليهم مثل المسيحية بتعاليمها - ولو لم تكن كاملة - ويعرض عليهم عبادة الأصنام والوثنية، سيختارون المسيحية، إذ لا مجال للمقايضة بين المنهجين!

وبالرغم من أن هناك كلاماً عن أن حاتمًا الطائي وابنه عدياً على أثر ذهابهما إلى الشام للتجارة والحصول على المؤن، قد التقيا بالقساوسة فتركا عبادة الأصنام وأصبحا مسيحيين، ولا نعلم عن المصدر الذي تم اعتماده في ذلك، لكننا لسنا بحاجة لهذا فإن المنطق الطبيعي للأمر يقتضيه، فإن من المعلوم أن عدياً عندما جاء ليسلم كان قبل ذلك على المسيحية كما يظهر من حواره مع رسول الله ﷺ وسيأتي ذكره.

ستمر سنوات كثيرة من بداية بعثة النبي ﷺ، إلى هجرته وإلى خوضه الحروب دفاعاً عن الدعوة والدولة التي أنشأها في المدينة المنورة.. إلى السنة التاسعة للهجرة.

يصور بعض الباحثين الموقف بما خلاصته؛ أن المسلمين بقيادة رسول الله ﷺ قد أصبحوا في هذه السنوات سادة الجزيرة العربية بعد أن فتحوا مكة وأسقطوا مجتمع الشرك وقيادته، وأخضعوا الطائف بقبائلها وأخرجوا اليهود من المدينة

(١) تنقسم الفرق المسيحية إلى ثلاث أساسية وإن كانت بالعدد أكثر من هذا بكثير -: الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس، ولمزيد من الاطلاع يرجع كتابنا: من قصة الديانات والرسول..

بعد أن هزموهم في مناطق متعددة منها، فبرز المسلمون كقوة لا تنازع. وتمددت الدعوة للإسلام خارج الجزيرة العربية بواسطة رسل رسول الله ﷺ تارة، والتواصل التجاري بين المجتمعات أخرى، وتأثرت المناطق العربية المتاخمة للشام والتي كانت خاضعة للرومان، بل تعرفت على الإسلام وتعاليمه الأمر الذي أدى إلى إسلام بعضهم حتى على مستوى القيادات العسكرية التي كانت في صف الروم! وفي نفس الوقت فقد «كثرت تدمر الناس من ظلم حكام الروم وإرهاقهم بالضرائب، لذلك أقبل كثير من القبائل العربية الخاضعة لحكم الروم على اعتناق الإسلام. أسلم فروة بن عمرو الجذامي قائد إحدى فرق الروم العسكرية التي قاتلت المسلمين في غزوة (مؤتة)، فقبض عليه بأمر من هرقل بتهمة الخيانة؛ وكان هرقل على استعداد للإفراج عنه إذا هو عاد إلى المسيحية، ولكن فروة أصر على إسلامه، فقتل.

إن انتشار الإسلام بين نصارى العرب أقص مضاجع الروم، وجعلهم يفكرون في القضاء على الدين الجديد قبل أن يستفحل أمره.»^(١)

ولأجل هذا فكر الروم في مواجهة الإسلام في أول حرب تأخذ طابعاً دينياً باعتبار أنهم كانوا يرفعون الشعار المسيحي ولا يستبعد هنا أنهم وهم يحشدون ما استطاعوا من القوى جندوا من العرب من كان على حدودهم سواء كانوا يتفقون معهم في الدين أو يتحالفون معهم سياسياً، فأمدوا بعض هذه القبائل بمؤونة سنة كاملة لاستقطابهم!

نحتمل أن يكون هذا من جملة الأسباب^(٢) التي دفعت النبي ﷺ -بالإضافة إلى

(١) خطاب، محمود شيت: الرسول القائد ص ٣٩٦

(٢) قال السيد جعفر العاملي في كتابه الصحيح من سيرة النبي الأعظم ٢٦ / ٣٤٦: أن قبيلة طي كانت مع المسلمين في حالة حرب. وذكر ما نصه: «أن جواسيسهم كانت تراقب تحركات المسلمين، وأن أولئك الجواسيس قد وصلوا إلى المدينة نفسها. وقد عرف عدي بن حاتم رئيس قبيلة طي بمسير



تهديم صنم الفُلس وهو صنم قبيلة طيء- أن يشن غارة استباقية على هذه القبيلة فكان أن بعث ابن عمه علياً بن أبي طالب عليه السلام للسيطرة على قبيلة طيء، وذلك قبل معركة تبوك بنحو شهرين من الزمان، ومنها ستبدأ قصة عدي بن حاتم الطائي مع الإسلام، فلنترك صاحب السيرة الحلبية يقص علينا ما حدث:

«بعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب في خمسين ومائة رجل من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرساً معه راية سوداء ولواء أبيض إلى هدم الفُلس والغارة عليهم فشنوا الغارة عليهم مع الفجر فهدموا الفُلس وأحرقوه واستاقوا النعم والشاء والسبي وكان في السبي أخت عدي بن حاتم الطائي واسمها سَفَّانة..»^(١)

وعندما جيء بها ومن معها إلى المدينة.. أشار لها عليّ عليه السلام بأن تكلم النبي ﷺ؛ فلما مر عليها النبي قالت: يا محمد يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن عليّ من الله عليك ولا تفضحني في قومي فإني بنت سيدهم إن أبي كان يطعم الطعام ويحفظ الجوار ويرعى الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العريان ولم يرد طالب حاجة قط أنا بنت حاتم الطائي!

فقال لها رسول الله ﷺ: هذه مكارم الأخلاق حقاً ولو كان أبوك مسلماً لترحمت عليه خلوا عنها فإن أباهما يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق! وبالفعل فقد منّ عليها رسول الله ﷺ وعلى قومها ورد لها ولهم ما أخذ منهم!

المسلمين لهدم صنم عشيرته من جاسوس كان لهم بالمدينة، فغادر المنطقة وترك عشيرته، وذهب إلى الشام.

كما أن علياً عليه السلام حين سار إليهم وجد عيناً لهم على مسيرة يوم من محالهم، وكانت مهمته هي رصد خيل محمد، حتى إذا رآها طار إليهم، وأخبرهم ليأخذوا حذرهم..»

(١) الحلبي، نور الدين: السيرة الحلبية ٣/ ٢٨٨

وكان أخوها عديُّ قد فرَّ إلى الشام حين هاجمهم علي بن أبي طالب، فلما رجعت إلى موطنها ورجع أخوها عاتبته وأخبرته بما رأت من النبي ﷺ ونصحته بأن يذهب إلى المدينة ويسلم على يديه.

وبالفعل فقد جاء عديُّ إلى المدينة، فلما التقى بالنبي وسأله من يكون قال: أنا عديُّ بن حاتم الطائي، فقال: «يا عديُّ أخبرك ألا إله إلا الله، فهل من إله إلا الله؟ وأخبرك أن الله تعالى أكبر، فهل من شيء هو أكبر من الله؟» ثم قال: «يا عديُّ أسلم تسلم». فقلت: إني على ديني. فقال: «أنا أعلم منك بدينك». فقلت: أنت أعلم مني بديني؟ قال: «نعم» يقولها ثلاثاً. «ألست ركوسياً؟»^(١) فقلت: بلى. قال: «ألست ترأس قومك؟» قلت: بلى. قال: «أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع؟»^(٢) قلت: بلى والله، وعرفت أنه نبيُّ مرسل يعلم ما يجهل. قال: «فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك». (٣)

وتفاعل مع عدي بكل جوارحه مع الرسالة الإسلامية، وتمازجت مع روحه حتى أنه قال «ما دخل وقت صلاة قط إلا وأنا أشتاق إليها» وربما يكون النبي قد لاحظ فيه ذلك فكان يكرمه ويقربه بالرغم من أن مدة اجتماعه به إلى وفاة رسول الله لم تكن كبيرة إلا أنه يقول «ما دخلت على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، قط إلا وسَّع ليَّ أو تحرَّك، ودخلت يوماً عليه في بيته وقد امتلأ من أصحابه، فوسَّع ليَّ حتَّى جلست إلى جنبه». (٤)

(١) ذكروا في قواميس اللغة أن الركوسية هي دين بين النصارى والصابئين.. ونحتمل أن يقصد من تلك الكلمة: الارثوذكسية.

(٢) والمرباع أن يأخذ الرئيس ربع الغنائم

(٣) الصالحى الشامى: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٦/ ٣٧٨

(٤) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/ ١٠٥٨



ولم يكن هذا التكريم الظاهري هو الشيء الوحيد الذي رآه عدي، وإنما المعرفة بولي الله ووصي رسول الله من بعده كان هو الفوز الأكبر الذي حصل عليه، فقد عرف من خلال النبي ﷺ إمامه بعده وخليفته في أمته.. وشهد كما شهد غيره كيف أن علياً أمير المؤمنين قد أزيح عن مقام كان به جديراً.

ووقف عدي بن حاتم كما وقف إمامه من الخلافة والخلفاء، فتفاعل هو وأصحاب أمير المؤمنين إيجابياً مع شعور بالمظلومية إلا أنه لم يمنعهم من ممارسة الأدوار التي يستطيعونها أو يندبون إليها، فشارك في الأحداث والمعارك التي حصلت أيام الخليفة الأول والثاني، إلا أن الخليفة الثالث لم يدع لمعتذر عذراً، لكثرة المشاكل الداخلية التي حصلت في زمانه والتغيير والتبديل الذي لم يتحملة الكثير، فكان أن تعرض إلى المواجهة التي تعددت أشكالها من الانتقاد الفردي إلى الجماعي إلى المواجهة اللفظية أمام الناس وأخيراً إلى الثورة ضده «حتى انتكث به قتله وكبت به بطنته».

وعدي بن حاتم في ذلك يستهدي بهدايات مولاه أمير المؤمنين ﷺ، مترقباً اليوم الذي ستكون الخلافة قد جاءت لعلي ﷺ بعد تأخير خمس وعشرين سنة.

فما وصلت حتى انطلق بحماسة الشباب الأقوياء مع أنه في ذلك الوقت يكون عمره قد تجاوز السبعين سنة، وعلى تقديرات أخر قد قارب التسعين! (١) لكن متى كانت المهمة تعترف بالعمر؟ ومتى كانت الروح الإيمانية يوقفها ضعف الأعضاء؟ ها هو عدي ينطلق إلى قومه الطائيين فيخطب فيهم منبها على حق أمير المؤمنين ﷺ وواجب الناس في نصرته، وأنه منطلق قبلهم فخرج معه قرابة منهم ستمائة للمشاركة في نصر أمير المؤمنين ﷺ. وها هو بين يدي إمامه يخاطبه قائلاً: «أما بعد، فإنني كنت

(١) قال بعض الرجاليين بأنه عندما توفي كان عمره مائة وعشرين سنة.

أسلمت على عهد رسول الله ﷺ، وأدّيت الزكاة على عهده، وقاتلت أهل الردّة من بعده، أردت بذلك ما عند الله، وعلى الله ثواب من أحسن واتقى، وقد بلغنا أن رجالاً من أهل مكّة نكثوا بيعتك، وخالفوا عليك ظالمين، فأتيناك لننصرك بالحق، فنحن بين يديك، فمرنا بما أحببت. ثم أنشأ يقول:

ونحن نصرنا الله من قبل ذاكم وأنت بحقّ جئتنا فستنصر
سنكفيك دون الناس طراً بأسرنا وأنت به من سائر الناس أجدر

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: جزاكم الله من حيّ عن الإسلام وأهله خيراً، فقد أسلمتم طائعين، وقاتلتم المرتدّين، ونويتم نصر المسلمين^(١). ولم يكتف بهذا بل كان يهاجم أعداء الإمام في حرب الجمل كالأسد الهصور غير مبال برشق السهام والنبال حتى أصيب في إحدى عينيه وفقّت! بينما واصل ابنه (طريف) حملات أبيه في هذه الحرب حتى نال درجة الشهادة والسعادة.

ولم تكن صفين أدنى حظاً من حملاته وشجاعته وخطبه فقد أعطاه من ذلك الكأس الأوفى وخلف فيها كما في أختها ابنه الثاني (طرفة) شهيداً ومما قاله يوم صفين:

أقول لِمَا أن رأيت المعمه واجتمع الجندان وسط البلقعه
هذا عليٌّ والهدى حقاً معه يا ربّ فاحفظه ولا تضيّعه
فإنّه يخشاك ربّ فارفعه ومن أراد عييه فضععه

أو كاده بالبغي منك فاقمعه^(٢)

(١) المفيد، الشيخ: الأمالي ص ٣٢٩

(٢) المنقري، ابن مزاحم: وقعة صفين ص ٣٨٠



ومثل ذلك كانت مشاركته في حرب النهروان إلى جنب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في وجه الخوارج.

عدي بن حاتم بعد أمير المؤمنين

يسجل التاريخ لعدي بن حاتم الموقف الشجاع والمبادر في تحريض الناس لالتحاق بقرار الإمام الحسن المجتبي عليه السلام في مواصلة الحرب ضد معاوية، فبينما تثاقل قسم وسكت قسم آخر عن دعوة الإمام الحسن للاستعداد لقتال معاوية سائراً على خطى أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، كان الوضع بحاجة إلى كلمة كالسيف وموقف يشق ظلام التردد، فقام عديّ بعد خطبة للإمام الحسن المجتبي سكت فيها المستمعون فلم يجيبوا الإمام بكلمة! فلما رأى ذلك عدي بن حاتم قام خطيباً وقال:

«أنا ابن حاتم، سبحان الله، ما أقبح هذا المقام؟ ألا تجيبون إمامكم، وابن بنت نبيكم، أين خطباء مضر؟ أين المسلمون؟ أين الخوّاؤون من أهل المصر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة، فإذا جدّ الجدّ فروّاغون كالثعالب، أما تخافون مقت الله، ولا عيبها وعارها.

ثم استقبل الحسن بوجهه فقال:

أصاب الله بك المرأشد، وجنّبك المكاره، ووفّقك لما يحمد ورده وصدّره، فقد سمعنا مقاتلك، وانتهينا إلى أمرك، وسمعنا منك، وأطعناك فيما قلت وما رأيت، وهذا وجهي إلى معسكري، فمن أحب أن يوافيني فليواف.

ثم مضى لوجهه، فخرج من المسجد ودابته بالباب، فركبه ومضى إلى النخيلة،

وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه، وكان عدي أول الناس عسكرياً^(١).

وكان كلامه رضوان الله عليه وموقفه أشبه بالصاعق الذي فجر بارود الحماس والمواقف عند غيرها فقام المتحدثون بعده وحرصوا الناس وهكذا حتى تجهز الجيش.

وجرت الرياح بما لا تشتهي سفن الصالحين، وغيارت الظروف إرادة أصحاب البصائر والهدى، فإذا بمعاوية بن أبي سفيان الذي كان حرباً لرسول الله ﷺ ودعوته يصبح هو الخاطب فوق منبره وفي مدينته!

وكان من الطبيعي لمثل معاوية أن يستثمر إقبال الظروف والدنيا عليه! فلا يترك مناسبة للشماتة من أصحاب علي بن أبي طالب أو كسر شوكتهم الاجتماعي إلا واستفاد منها، بل كان يستقدم أشد أصحاب الإمام اخلاصاً له لكي يسمع منهم ما يقولون ويوبخ إن استطاع أو يقرر متى أحب! وقد جرب مع عدي بن حاتم أن يوبخه أو يتهدده.. فما لقي منه إلا مقولاً أحد من صارم! وموقفاً أسخن من حرب! وذلك أن «معاوية قال لعدي بن حاتم ودخل عليه: ما فعل الطرفات يا أبا طريف، طريف وطرفة وطراف؟ (وكان قد استشهد أولهم في حرب الجمل، والآخرا في صفين) فقال: قتلوا يوم صفين، قال معاوية: ما أنصفك علي، آخر بنيه وقدم بنيك! قال: لئن فعل لقد قُتِلَ وبقيتُ، (يعني أنا الذي ما أنصفت علياً حين قتل وبقيت بعده وكان ينبغي العكس).

ثم قال معاوية له: قد بقيت قطرةً من دم عثمان عند قوم ولا بد من أن نطلب بها - وهذا تهديد له بالقتل وتخويف - فقال عدي: اغمد سيفك، فإنَّ السيفَ إذا سُلَّ

(١) الأصبهاني؛ أبو الفرغ: مقاتل الطالبين ١/ ٧٠



سُلتَ السيف، قال: فالتفت معاوية إلى عمرو فقال له: ضعها في قرنك فإنها كلمة حكم»^(١).

وحين سمعه يسيء إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذات المجلس أو غيره، رد عليه بنحوٍ قوي: والله إن القلوب التي أبغضناك بها لفي صدورنا، وأن السيف التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا، ولئن أدنيت إلينا من الغدر شبراً لندنين إليك من الشرِّ باعاً، وأنَّ حزَّ الحلقوم وحشجة الحيزوم لأهون علينا من أن نسمع المساءة في عليّ^(٢).

ومع أنه كان في قومه في الذروة العليا من الشرف والوجاهة إلا أنه لم يكن أسير ذلك أمام السلطة الأموية التي استغلت حب بعض الرجال للرئاسة والوجاهة فكانت تنصبهم في قبائلهم بمقدار ما يبذلون لها من الولاء ويكونون أعواناً لها على مخالفيها.. لكن عدياً لم يكن كذلك، ويشهد على ذلك موقفه مع أحد أبناء قبيلته وهو عبد الله بن خليفة الطائي وقد شهد مع حُجر بن عدي المعارضة للأُمويين، فطلبه زياد، فتوارى، فبعث إليه الشُّرط، وهم أهل الحمراء يومئذ، فأخذوه، فخرجت أخته النوار فقالت: يا معشر طيء، أتسلمون سنانكم ولسانكم عبدَ الله بن خليفة! فشدَّ الطائيون على الشُّرط فضربوهم وانتزعوا منهم عبدَ الله بن خليفة، فرجعوا إلى زياد، فأخبروه، فوثب زياد على عدي بن حاتم وهو في المسجد، فقال: ائتني بعبد الله بن خليفة؛ قال: وما له؟ فأخبره، قال: فهذا شيء كان في الحيِّ لا علم لي به؛ قال: والله لتأتيني به؛ قال: لا، والله لا آتيك به أبداً، أجيئك بابن عمِّي تقتله! والله لو كان تحت قدمي ما رفعتُهما عنه.

فأمر به إلى السجن، قال: فلم يبق بالكوفة يمانياً ولا رباعيًّا إلا أتاه وكلمه، وقالوا:

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ١١٩/٥

(٢) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ٥/٣

تفعل هذا بعديّ بن حاتم صاحبِ رسول الله ﷺ! قال: فإني أخرجهُ على شرط، قالوا: ما هو؟ قال: يخرج ابن عمّه عني فلا يدخل الكوفة ما دام لي بها سلطان، فأتيّ عديّ فأخبر بذلك، فقال: نعم، فبعث عديّ إلى عبد الله بن خليفة فقال: يا بن أخي! إنّ هذا قد لَجَّ في أمرِك، وقد أبى إلا إخراجك عن مصرك ما دام له سلطان، فالحق بالجبلين^(١).

واستمر عدي مقيماً في الكوفة، وربما يكون في ذلك الوقت غير قادر على خوض المعارك فلم يشارك في كربلاء لأنه إذا كان في سنة ٦٧ هـ وهي سنة وفاته ابن مائة سنة، فإنه في سنة واقعة كربلاء بحدود الثالثة والتسعين من العمر وفي العادة فإن الكثير من الناس في هذا العمر لا يكونون قادرين على القتال، وإذا كان كما رآه بعضهم قد توفي وهو ابن مائة وعشرين سنة - وإن كنا نستبعده - فالأمر أوضح إذ يكون عمره حينها ١١٣ سنة.

سلام على الكريم بن الكريم، ولي أمير المؤمنين والمدافع عنه.

(١) الطبري، أبو جعفر: تاريخ الطبري ٥/ ٢٨١



الصحابي الشهيد عمرو بن الحمق الخزاعي

(أول رأس يهدى بالإسلام)^(١)

في رسالته إلى معاوية بن أبي سفيان، وبّخ الإمام الحسين عليه السلام إياه بتعداد جرائمه وجنباياته ذاكراً منها قتله عمراً بن الحمق الخزاعي، قائلاً: (ألست قاتل^(٢) عمرو بن الحمق الخزاعي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله العبد الصالح الذي أبلته العبادة بعدما أعطيته من الموائيق والعهود^(٣)) ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من الجبل استخفافاً

(١) الدِّيَنُورِي، ابن قتيبة: المعارف ١/ ٥٥٤: وأول رأس حمل من بلد إلى بلد رأس «عمرو بن الحمق الخزاعي».

(٢) بكلمة الإمام عليه السلام هذه سوف يبطل ما حاول مؤرخون معه غسل جريمة قتله ونسبة ذلك إلى لدغة أفعى! ليقول الإمام عليه السلام إن القاتل هو معاوية بن أبي سفيان، ولا دخل للأفعى المسكينة التي لم تخلق إلا في أذهان بعض المؤرخين!

(٣) المفيد، الشيخ: الاختصاص ص ٢٨: كتب إليه معاوية: أما بعد فإن الله أطفأ النائرة، وأخمد الفتنة، وجعل العقاب للمتقين، ولست بأبعد أصحابك همة ولا أشدهم في سوء الأثر صنعا، كلهم قد أسهل بطاعتي وسارع إلى الدخول في أمري وقد بطؤ بك ما بطؤ فادخل فيما دخل فيه الناس يمح عنك سالف ذنوبك ومحى دائر حسناتك ولعلي لا أكون لك دون من كان قبلي إن أبقيت واتقيت ووقيت وأحسنيت فاقدم عليّ آمناً في ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وآله محفوظاً من حسد القلوب وإحن الصدور وكفى

بحق الله ﷻ وجرأة على دماء المسلمين).^(١) بالرغم من أن عمراً بن الحمق تأخر تاريخ إسلامه بالقياس إلى غيره حيث أسلم فيما قيل بعد صلح الحديبية، وبالتالي لم يشهد المعارك والغزوات الأولى مع رسول الله ﷺ مثل بدر وأحد وخيبر والخندق، ولكنه عندما أسلم التصق برسول الله ﷺ واختصر له النبي في تهذيبه وتعليمه ما فصله لغيره، وحظي بدعوة رسول الله ﷺ ووجد أثرها في بدنه إلى آخر عمره^(٢).. وأهم من حديث البدن وشبابه، هو حديث البصيرة والوعي فقد عين له بالتفصيل والمصاديق (آية الجنة وآية النار ومن يمثلهما بين المسلمين).

قصة إسلامه هي بذاتها فضيلة، فقد أخبر النبي ﷺ عنه وعن كرمه وبحثه عن الهدى حينما أرسل سرية وأخبرهم بأنهم سيلتقون بشخص كريم الصفات جميل الوجه، يبحث عن بعثة النبي الموعود فليخبروه بذلك! وأخبره النبي ﷺ بعد أن جاء بشخصية علي بن أبي طالب هي علامة الجنة، وبشخصية أخرى هي علامة النار (وستبقى هذه الشخصية بفعل كتمان الأحاديث مجهولة، وإن كانت علائها لا تخفى)، كما أخبره أن نهايته ستكون الشهادة في خط الولاية.. هلموا لنسمع الحديث منه ونصت:

عن عمرو بن الحمق قال: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَرِيَّةٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تَبْعُنَا وَلَيْسَ لَنَا زَادٌ، وَلَا لَنَا طَعَامٌ، وَلَا عِلْمٌ لَنَا بِالطَّرِيقِ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَمُرُّونَ بِرَجُلٍ صَبِيحِ الْوَجْهِ، يُطْعِمُكُمْ مِنَ الطَّعَامِ، وَيَسْقِيكُمْ مِنَ الشَّرَابِ، وَيَدُلُّكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَلَمَّا نَزَلَ الْقَوْمُ عَلَيَّ جَعَلَ يُشِيرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَيَنْظُرُونَ

بالله شهيدا».

(١) الطوسي، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ١/ ٢٩٣ وبنحو مختصر البلاذري في أنساب الأشراف

١٢١/٥

(٢) عَنْ جَدِّهِ مَيْمُونَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ الْخُرَازِيِّ، أَنَّهُ سَقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَبَنًا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَمِّعْهُ بِشَبَابِهِ» فَمَرَّتْ عَلَيْهِ ثَمَانُونَ سَنَةً لَمْ يَرَ شَعْرَةَ بَيْضَاءَ.



إِلَيَّ فَقُلْتُ: مَا بِكُمْ يُشِيرُ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَتَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَقَالُوا: أَبْشِرْ بِبُشْرَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَإِنَّا نَعْرِفُ فِيكَ نَعْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرُونِي بِمَا قَالَ لَهُمْ: فَأَطَعْتُهُمْ، وَسَقَيْتُهُمْ، وَزَوَّدْتُهُمْ، وَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى دَلَلْتُهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي فَأَوْصَيْتُهُمْ بِإِيْلِي ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: مَا الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ؟ فَقَالَ: «أَدْعُو إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» فَقُلْتُ: إِذَا أَجَبْنَاكَ إِلَى هَذَا، فَتَحَنُّ أَمْنُونَ عَلَى أَهْلِنَا، وَدِمَائِنَا، وَأَمْوَالِنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَسَلَمْتُ، وَرَجَعْتُ إِلَى قَوْمِي، فَأَخْبَرْتُهُمْ بِإِسْلَامِي، فَأَسَلَمَ عَلَى يَدَيَّ بَشَرٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ لِي: «يَا عَمْرُو هَلْ لَكَ أَنْ أُرِيكَ آيَةَ الْجَنَّةِ؟ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَشْرَبُ الشَّرَابَ، وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ»، قُلْتُ: بَلَى بِأَبِي أَنْتَ قَالَ: «هَذَا، وَقَوْمُهُ آيَةُ الْجَنَّةِ»^(١)، وَأَشَارَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَقَالَ لِي: «يَا عَمْرُو، هَلْ لَكَ أَنْ أُرِيكَ آيَةَ النَّارِ؟ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَشْرَبُ الشَّرَابَ، وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ؟» قُلْتُ: بَلَى، بِأَبِي أَنْتَ قَالَ: «هَذَا وَقَوْمُهُ آيَةُ النَّارِ» وَأَشَارَ إِلَى رَجُلٍ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ، ذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَفَرَرْتُ مِنْ آيَةِ النَّارِ إِلَى آيَةِ الْجَنَّةِ، وَتَرَى بَنِي أُمَيَّةَ قَاتِلِي بَعْدَ هَذَا؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: وَاللَّهِ، لَوْ كُنْتُ فِي جُحْرٍ فِي جَوْفِ جُحْرٍ لَا اسْتَخْرَجَنِي بَنُو أُمَيَّةَ حَتَّى يَقْتُلُونِي حَدَّثَنِي بِهِ حَبِيبِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَنْ رَأْسِي أَوْلُ رَأْسٍ تُحْتَرُّ فِي الْإِسْلَامِ، وَيُنْقَلُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ»^(٢)

وهذا الحديث من الأهمية بمكان في التعرف على شخصية ابن الحمق فإنه

(١) ورد عنوان آية الجنة أيضا في حديث حذيفة بن اليمان، وأشار فيه إلى أمير المؤمنين علي ﷺ.
(٢) الطبراني: المعجم الأوسط ٤/٢٤٠. والهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩/٤٠٦ بتفصيله فيهما، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٥/٤٩٨ مقتصرًا فيه على الجملة الأولى (أتحب أن أريك آية الجنة..). ثم ترك باقي الحديث وهكذا من جاء بعده فقد اقتصر على الجملة الأولى، وتركوا باقي الحديث! وبعضهم فتش عن أحد رواته ليرميه بالضعف! وأما في المصادر الإمامية فقد نقله الشيخ المفيد في الاختصاص ٢٧.

يشير إلى بداياته المبكرة قبل الإسلام، وإلى طريقة إسلامه، وإلى احتفاء رسول الله ﷺ به، وتعيين المنهج الخاص الذي سيسير عليه وهو منهج الولاية لعلي ﷺ، وأخيراً يعرفه بكيفية نهايته بالشهادة السعيدة، وبأنه سيحمل بأمر آية النار رأسه من بلد إلى بلد!

ومعرفته بآية الجنة جعلته يوجه بوصلة حياته تبعاً لتوجيهات أمير المؤمنين ﷺ، وهو في ذلك ينبعث عن وعي لا عن عاطفة أو عصبية، وقد عبر عن ذلك في كلامه أمام أمير المؤمنين ﷺ في حرب الجمل: «والله يا أمير المؤمنين، إنني ما أحببتك ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك، ولا إرادة مال تؤتينه، ولا إرادة سلطان ترفع به ذكري، ولكنني أحببتك بخصال خمس: إنك ابن عم رسول الله، وأول من آمن به، وزوج سيدة نساء الأمة فاطمة بنت محمد، ووصيه، وأبو الذرية التي بقيت فينا من رسول الله، وأسبق الناس إلى الإسلام، وأعظم المهاجرين سهماً في الجهاد. فلو أنني كلّفت نقل الجبال الراوسي، ونزح البحور الطوامي، حتى يؤتى عليّ في أمر أقوى به وليّك، وأهين به عدوك، ما رأيت أنني قد أدّيت فيه كل الذي يحقّ عليّ من حقك. فقال علي ﷺ: اللهم نور قلبه بالتقى، واهده إلى صراطك المستقيم، ليت أن في جندي مائة مثلك، فقال حجر: إذاً والله يا أمير المؤمنين صحّ جندك، وقلّ فيهم من يغشك»^(١).

ولا غرابة في منطقته هذا.. كيف وهو من رواة حديث الغدير وشهود حادثته فهو من رواة هذا الحديث ومن رواة أحاديث الغدير.

(١) الصدر؛ السيد مهدي: أخلاق أهل البيت ﷺ ص ١٩٤



اعتراضه على الخليفة الثالث

لا نجد روايات واضحة عن أعمال وأدوار عمرو بن الحمق أيام الخليفة الأول أو الثاني.. ولا نعلم هل كان هذا بسبب ما ذكر من أنه سافر إلى مصر واستقر فيها؟ وعلى أي حال فنحن لا نجد شيئاً عن سيرته ومواقفه ما قبل أيام عثمان بن عفان، أما في وقته فقد تصاعدت الأمور وتحركت المناطق المسلمة في حركة مضادة للخليفة معترضة على سياساته وممارساته، وقد ذكرنا بعضها في ترجمة أبي ذر الغفاري وبعضها الآخر في ترجمة عمار بن ياسر..

ولم يكن عمرو بن الحمق هو المعارض الوحيد، فإنهم يذكرون أن الوفد المصري الذي جاء للمدينة معارضاً سياسات الخليفة عدة مئات (بين من قال إنهم مائتان ومن قائل سبعمائة)^(١) وهذا القسم هو الذي تحرك مسافراً إلى المدينة من مصر فلو فرضنا أن من لديهم الحماس والفرصة والقوة في السفر المعارض كانوا عشرة بالمائة، سنصل إلى نتيجة مهمة توصل عدد المعارضين إلى آلاف!

فقليل إنه قدم عمرو بن الحمق ضمن الوفد المصري المعارض لسياسات الخليفة، وهنا سنلاحظ أن الأمويين قد ركزوا على أنه هو قاتل الخليفة الثالث! بل بتفاصيل أنه ضربه بسهم فيه نصل سبع طعنات - كما نقل عن معاوية - وهو المصدر الأساس للتهمة هذه وكان معاوية كان جالساً حينها يحسب له الطعنات واحدة بعد أخرى!!

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/ ٧١: كَانَ الْمِصْرِيُّونَ الَّذِينَ حَصَرُوا عُثْمَانَ سِتْمَائَةً، رَأْسُهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عُدَيْسِ الْبَلَوِيِّ، وَكِنَانَةُ بْنُ بَشِيرِ بْنِ عَتَّابِ الْكِنْدِيِّ، وَعَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ الْخَزَاعِيُّ وَالَّذِينَ قَدِمُوا مِنَ الْكُوفَةِ مَائَتَيْنِ، رَأْسُهُمْ مَالِكُ الْأَشْتَرِ النَّخَعِيُّ، وَالَّذِينَ قَدِمُوا مِنَ الْبَصْرَةِ مِائَةٌ رَجُلٍ رَأْسُهُمْ حَكِيمُ بْنُ جَبَلَةَ الْعَبْدِيُّ،

وكان من الطبيعي أن يذكر معاوية ذلك ليغسل عنه لطمخة الجريمة المضاعفة، الغدر به بعدما أمّنه بأمان لو أعطاه «طائراً لنزل إليه من الجبل» وقتله ثم قطع رأسه وتسييره من بلد إلى بلد في حالة لم تعرفها البلدان الإسلامية حتى ذلك اليوم! فلا بد وقد قتل -بهذه الصورة- رجلاً من أهل الجنة أن يأتي بمبرر يوازن هذه المنزلة! فكان أن علق عليه قلادة قتل الخليفة!

وجاء من بعده من يلوك هذه العلكة ويعيدها! مع أنهم لو التفتوا إليها لرأوا أن ما يقولونه هو أوضح دليل على سقوط نظريتهم في (عدالة الصحابة) فأياً يكن القاتل لعثمان! وسواء كانت أسبابهم صحيحة أو غير صحيحة، فإن القدر المتيقن منها هو سقوط (عدالة الصحابة)؛ النظرية التي أسسها الأمويون وتمسك بها أتباع مدرسة الخلفاء.

في عهد أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)

لم تكن فرحة عمرو بن الحمق بإقبال الناس على علي بن أبي طالب لبيعته تعادلها فرحة، فلم يتأخر عن التحول من مصر إلى الكوفة، فهذا أو ان لا يحتمل أن يكون بعيداً عن خدمة (آية الجنة).

وقد شارك أولاً في حرب الجمل مع أمير المؤمنين (عليه السلام) ليحمل من يده راية خزاعة وقيادتها في تلك الحرب وتبلي ويبيي بلاء حسنا فيها^(١)، وقد صدق بفعاله فيها ما أبداه من مقاله في أول الحرب من أنه لو كلفه إمامه نقل الجبال الراوسي،

(١) الدّينوري، أبو حنيفة الأخبار الطوال ١/ ١٥٠ « وقاتل عمرو بن الحمق، وكان من عباد اهل الكوفة، ومعه النساك قتالا شديدا، فضرب بسيفه حتى انثنى، ثم انصرف الى أخيه رياح، فقال له رياح: يا أخي، ما أحسن ما نضنع اليوم..»



ونزح البحور الطوامي، ما أدى في ذلك كل الذي يجب عليه من حق الإمام عليه السلام، حتى لقد تمنى الإمام أن يكون له في جنده من هذا النموذج مائة رجل.

ولم يكن مقامه في صفين والنهروان بأدنى مما صنع في الجمل، كيف وهو يسابق الزمن في أداء حق أمير المؤمنين عليه السلام؟ لقد كان يتمنى الشهادة في ركابه لكن أمير المؤمنين عليه السلام أشار إليه إلى أن ذلك لا يتحقق في زمانه بل بعده «يا عمرو إنك لمقتول بعدي، وإن رأسك لمنقول، وهو أول رأس ينقل في الإسلام. والويل لقاتلك». ^(١)

لم تتم سعادة عمرو في خدمة سيده علي بن أبي طالب، إذ كان سيف الجبن الخارجي، الذي لم يواجه علياً في المعركة وجهاً لوجه، ينتظره غيلة في المسجد مع طلوع الفجر، فهوت بصاحبه شهوة لامرأة، لكي يضرب علياً عليه السلام على رأسه ساجداً عابداً لله.

ويبلغ التأثر أقصاه بعمرو بن الحمق وهو يرى سيد الأوصياء مشقوق الهامة على فراشه، ولم يكن يراه إلا في مقدمة الصفوف معركة وصلاة، فيحاول مغالبة الأسى والحزن ويتمسك بأهداف الأمل والرجاء ويقول: «ليس عليك بأس، إنما هو خدش فقال الإمام: لعمرى إني مفارقكم» ^(٢)، وما لبث أن غادر الإمام عليه السلام هذه الدنيا غير آسفٍ عليها، متشوقاً إلى الآخرة راغباً فيها.

في زمان الإمام الحسن المجتبي

إذا كان الإمام الحسن بن علي عليه السلام قد احتاط لأصحاب أبيه وأنصاره، فجعل

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٢/ ٢٩٠

(٢) الحر العاملي: إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات ٣/ ٤٨٨

في بنود الصلح بنداً يقضي بعدم متابعتهم من قبل السلطة الرسمية، لكي لا تستغل السلطة الأموية سيطرتها على الأمور فتأخذ أتباع علي وشيعته على الظنة وتقتلهم بالتهمة، وقد نفع هذا الاشتراط -بالإضافة إلى وقوف الإمام الحسن عليه السلام وراءه- ولذلك لم تشهد السنوات العشر التي أعقبت توقيع الصلح انتهاكاً من هذا القبيل لحياة أتباع أمير المؤمنين عليه السلام، لكن ما أن تم اغتيال الإمام الحسن على يد زوجته بالسّم بتخطيط معاوية بن أبي سفيان حتى كرت سبحة الاغتيال والمطاردة لهم.

وكان أقل مستوى من المعارضة كفيلاً بأن يعرض صاحبه للأذى وأحياناً للقتل، وهذا ما حصل مع حجر بن عدي الكندي الذي رفض تأخير زياد بن أبيه للصلاة عن وقتها حتى كادت تغيب الشمس، فقام وصرخ في وجهه وهو يخطب بما لا منفعة فيه، مؤخراً الصلاة عن وقتها، وصلى وقام معه غيره وبدأوا بالصلاة الأمر الذي اعتبره زياد عصيانياً ومعارضة وأراد القبض على حجر بن عدي!

وكان ممن ناصر حجراً في حركته تلك ونهض معه عمرو بن الحمق، فلما فرغ زياد من القبض على حجر بن عدي وأصحابه لتسييرهم إلى معاوية في الشام، التفت إلى من ناصره وكان عمرو بن الحمق على رأس القائمة، فطلبه زياد، وما كان عمرو بالسهل غير الممتنع، بل اختفى أول أمره عن الناس، ثم انطلق مع صاحب له إلى المدائن، ثم مضى إلى الأنبار ثم إلى الموصل.

وكان على الموصل عبد الرحمن بن أم الحكم أخت معاوية، وهو الذي قتل عليّ جدّه عثمان الثقفي يوم حنين، وهو يعلم بأن عمراً هو مطلوب زياد ومن خلفه معاوية، فلم ير هذا الوالي شيئاً يمكن أن يعزز مكانته أكثر من القبض عليه أو قتله! فجرد عليهم فرقة عسكرية، وقيل إنه كان معه بالإضافة إلى رفاعة بن شداد،^(١) مولاه

(١) البلاذري؛ أنساب الأشراف ٥/ ٢٧٢: لما طلب زياد أصحاب حجر بن عدي هرب عمرو بن الحمق



زاهر^(١) بن عمرو الأسلمي الكندي وهو الذي سيكون فيما بعد من شهداء كربلاء.

وفيما اعتصموا بجبل مختبئين فيه من الطلب، كانت الفرقة العسكرية التي جاءت لاعتقاله تتأهب للقبض عليهم جميعاً، وقيل هنا بأن عمراً طلب من زاهر أن يرحل عنه، وأن ينجو بنفسه حتى إذا خف الطلب عليه، يأتي فيما بعد ليواري جنازته فإن القوم سيقطعون رأسه - تماماً كما أخبره رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين (عليه السلام) - وسيتركون جنازته، فليات زاهر فيما بعد ويدفنها. هذه هي أخلاقياتهم وطريقتهم.. فإن (آية النار) لا يكون حروفاً غير الاغتيال والقتل للصالحين، والتعطيل لجنازتهم!

وفيما أصر على البقاء معه أمره عمرو بالرحيل، وهكذا حصل وكان رامياً جيداً فكل من لحقه منهم رماه بسهم حتى تركوه إذ كانت بغيتهم في عمرو بن الحمق الذي وصفه النبي ﷺ بأنه من أهل الجنة، فقبضوا عليه وكان في ذلك الوقت يناهز الثمانين من العمر، وقطعوا رأسه وتركوا جنازته معطلة، وجاؤوا بها لواليتهم.

ولم ينسوا أن يكذبوا هذه الكذبة^(٢)، «إن عبد الرحمن كتب إلى خاله معاوية

بن الكاهن الخزاعي ورفاعة بن شداد البجلي إلى المدائن، ثم مضيا إلى الأنبار ثم إلى الموصل، فصارا إلى جبل من جبالها مما يلي الجزيرة، فكمنا فيه، وبلغ عامل الرستاق أن رجلين كامنان في الجبل، فأنكر شأنهما واستراب بهما، وكان العامل رجلاً من همدان يقال له عبد الله بن أبي تلعة، فصار إليهما ومعه أهل البلد، فلما انتهى إلى موضعهما خرجا إليه، فأما عمرو بن الحمق فكان مريضاً قد سقى بطنه، فلم يكن عنده امتناع فأخذ، وأما رفاعة بن شداد البجلي فكان شاباً قوياً، فوثب على فرس له جواد، وحمل على القوم فأفرجوا له، فخرج وخرجت الخيل في طلبه، وكان رامياً فجعل يرمي من لحقه فيجرحه، حتى نجا بنفسه وأمسكوا عن طلبه، فيقال إنه قال لعمرو بن الحمق: أقاتل عنك، فقال: انج بنفسك!

(١) السماوي، الشيخ محمد: إِبْصَارُ الْعَيْنِ فِي أَنْصَارِ الْحُسَيْنِ (ع) ١ / ١٧٣: إنَّ عَمْرُو بْنَ الْحَمِقِ لَمَّا قَامَ عَلَى زِيَادٍ قَامَ زَاهِرٌ مَعَهُ، وَكَانَ صَاحِبَهُ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَلَمَّا طَلَبَ مَعَاوِيَةَ عَمْرُو وَطَلَبَ مَعَهُ زَاهِرًا فَقَتَلَ عَمْرُو وَأَفْلَتَ زَاهِرٌ، فَحَجَّ سَنَةَ سِتِّينَ، فَالْتَقَى مَعَ الْحُسَيْنِ (ع) فَصَحَبَهُ وَحَضَرَ مَعَهُ كَرْبَلَاءَ.

(٢) إننا نعتقد أن الكذب فيها مركب في الأصل والتفصيل، أما في الأصل فإننا لا نعتقد أن عثمان الثقفي

بظفره به، فكتب مُعَاوِيَةَ إليه: إنه يزعم أنه طعن عثمان تسع طعنات، وأنا لا نريد أن نعتدي عليه، فاطعنه تسع طعنات كما طعن عثمان، فأخرج فطعن تسعاً مات في الأولى منهن أو الثانية، ثم احتز رأسه وبعث به إلى مُعَاوِيَةَ، فهو أول رأس بعث به في الإسلام»، فَلَمَّا أتى مُعَاوِيَةَ الرَّسُولَ بِالرَّأْسِ بعث به إلى أمّاته آمنّة بنت الشريد^(١) وقال للحرسى احفظ ما تتكلّم به حتّى تُؤدّيه الي واطرح الرّأس في حجرها فلَمَّا اتاها الرَّسُولُ بِالرَّأْسِ وطرحه في حجرها ارتاعت له ساعة ثمّ وضعت يدها على راسها ثمّ قالت واحزنه لصغره في دار هوان وضيق مجلس سلطان نفيتموه عني طويلاً ثمّ اهديتموه إليّ قتيلاً فأهلاً وسهلاً بمن كنت له غير قالية وأنا اليوم له غير ناسية ارجع أيها الرَّسُولُ إلى مُعَاوِيَةَ وقل له ولا تطوه أيتم الله ولدك وأوحش منك أهلك ولا غفر لك ذنبك». ^(٢)

ويظهر أن الأمر كان من الشناعة بحيث وقع محلاً للانتقاد والتشريب، وهذا واضح من كلمات الإمام الحسين عليه السلام ونظرائه، إذ كيف يقتل صاحب رسول الله ﷺ -الذي عده النبي من أهل الجنة وهو في ذلك العمر- صبراً، وذلك بعدما أعطاه الأمان شخصياً كما في الرسالة التي نقلناها في الصفحات الماضية، فضلاً

قد أرسل لمعاوية يستشيريه في ذلك وإنما كانت لديه صريحة أو ضمنية بالقتل، وذلك أن عمرا قد قتل بمجرد القبض عليه، من دون أن ينتظر به أن يذهب البريد إلى معاوية ذهاباً وعودة ومنتظر أوامره! خاصة وأن هؤلاء الولاة يعلمون أن قتلهم لأعداء الخليفة يحظيهم ويزيد في منزلتهم! والمسارة في قتل معارضي الخليفة يمنع الوساطات والشفاعات المحتملة ويرفع الحرج لو كان عن الخليفة بزعم أنه تسرع فلان فقتله ولم يرجع إلي! وهذه طريقة يسبغون عليها عادة! وكذلك فإن الكلام عن أن معاوية (العادل جدا) اقتص منه تسع طعنات بتسع!

(١) وكان معاوية قد سجنها منذ اختفاء زوجها كوسيلة للضغط عليه ليسلم نفسه.. لتفاصيل عن موقفها وسيرتها يمكن مراجعة كتابنا: نساء حول أهل البيت ﷺ.

(٢) ابن بكّار: أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان ١/ ٥٢، ابن طيفور: بلاغات النساء



عن الأمان العام الذي أعطاه لشيعة علي بن أبي طالب وأنصاره، وأنه لا يؤاخذهم بمواقفهم (السياسية) فإذا به يلحس كل ذلك بلسان غدرته؟ ومن الطريف أن أشهر الأحاديث التي نقلت عن عمرو بن الحمق هو ما يتعلق بالغدر بعد تأمين الشخص، فقد روي عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا أَمِنَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ عَلَى دَمِهِ ثُمَّ قَتَلَهُ رُفِعَ لَهُ لُؤَاءُ الْغَدْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

هنا تغير الاتجاه العام ليقال على ألسنة المؤيدين لبني أمية أن عمراً بن الحمق مات بسبب أنه لدغته حية^(٢) وهو في الجبل مختبئ، فأين ذهبت الطعنات التسع؟ وأين الرسالة لمعاوية؟ وأين العدالة في ألا تزيد الضربات له عما ضرب؟ الغرض هو تأكيد تهمة لم تتحقق وهي دوره المزعوم في قتل عثمان الخليفة، وكأنه يقال ما دام قد قتل فلا بد أن يُقتل!

ومن هنا نفهم سر تأكيد أمير المؤمنين ﷺ على القول (إنك لمقتول وإن رأسك لمنقول) وكلام الإمام الحسين ﷺ الصريح في أن قاتله هو معاوية بعدما آمنه لا

(١) الطيالسي: مسند أبي داود ٦١٤/٢. والبيهقي: السنن الكبرى ت التركي ٤٦٩/١٨

(٢) ذكر ذلك الدينوري، ابن قتيبة في المعارف ٢٩٢/١ حيث قال: هرب إلى «الموصل»، ودخل غارا، فنهشته حية فقتلته، وبعث إلى الغار في طلبه، فوجدوه ميتا.. وأما البلاذري في أنساب الأشراف ٢٧٣/٥ فقد نقل الروايات المختلفة: فبدأ أولا بحكاية القبض عليه وطعنه بتسع طعنات! ثم قال وروي أنه ذهب إلى أذربيجان فنزل عند رجل فمات عنده!! وثلت بالقول إنه دخل أقصى الغار فنهشته حية ومات! ثم قطع رأسه. وأما الذهبي في تاريخ الإسلام ٤٢٤/٢ فقد جعل الأمر عند الله!! وأنه أعلم! وإن كان ظاهره يميل إلى حكاية الحية حيث هي أقل شناعة من فعلة معاوية! وقال عمارة الدهني: أوّل رأس نُقلَ رأسُ ابنِ الحمق، وذلك لِأَنَّهُ لُدِغَ فمات، فَخَشِيَتِ الرُّسُلُ أَنْ تُتَّهَمَ بِهِ، فَحَزُوا رَأْسَهُ وَحَمَلُوهُ. قلت: هذا أصحُّ ممَّا مرَّ، فإنَّ ذاكَ من روايةِ ابنِ الكلبيِّ، فالله أعلمُ هل قُتِلَ أو لُدِغَ. ومثله صنع ابن عبد البر في الاستيعاب ١١٧٤/٣ فإنه بعدما أدخله الغار أقنع الحية بأن تنهشه!! فقتلته، فبعث الوالي في طلبه، فوجد ميتا، فأخذ عامل الموصل رأسه (هكذا!!) وقيل: بل قتله عبد الرحمن بن عثمان الثقفي عم عبد الرحمن بن أم الحكم!!

الحية التي خلقها المؤرخون في أوهامهم!

وبعد هذا فقد أخبر هو نفسه عن مصيره لكي لا تسجل القضية ضد مجهول أو أفعى فقال: واللَّهِ، لَوْ كُنْتُ فِي جُحْرٍ فِي جَوْفِ جُحْرٍ لَأَسْتَخْرِجَنِي بَنُو أُمِّيَّةَ حَتَّى يَقْتُلُونِي حَدَّثَنِي بِهِ حَبِيبِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، «أَنَّ رَأْسِي أَوَّلُ رَأْسٍ تُحْتَضُّ فِي الْإِسْلَامِ، وَيُنْقَلُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ».



أبو أيوب الأنصاري (خالد بن زيد)

مضيف الرسول صلى الله عليه وآله.

شهيداً في غزوة الروم في سنة ٥٢ هـ.

مما رواه أبو أيوب عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ «أَنَا سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ وَعَلِيٌّ سَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ وَسَبْطَايَ سَيِّدَا الْأَسْبَاطِ وَمِنَّا الْأُئِمَّةُ الْمَعْصُومُونَ وَمِنَّا مَهْدِيٌّ هَذِهِ الْأُمَّةُ».^(١)

أبو أيوب الأنصاري هو خالد بن زيد بن كليب الخزرجي وقد اشتهر بكُنْيَتِهِ (أبي أيوب) أكثر مما عرف باسمه، وقد شهد مشاهد الرسول ﷺ باستثناء بدر كما قيل.

وتبدأ العلاقة بينه وبين النبي ﷺ من أيام ما قبل الهجرة، حيث بايع النبي ﷺ مع أهل المدينة السبعين في العقبة الثانية ليتشرف فيما بعد باختيار النبي -وتسديد الله- له بأن يكون مضيفاً للرسول حيث نزل النبي في منزله مدة تزيد على ستة أشهر كما سيأتي في حديث هجرة النبي إلى المدينة.

(١) الخزاز القمي: كفاية الأثر ١٣٧ ما جاء عن أبي أيوب الأنصاري خالد بن زيد عن النبي ﷺ.

ذلك أن النبي ﷺ بعد أن خرج من مكة متجهاً نحو المدينة نزل أول أمره في منطقة قباء، وصلى فيها وأقام فيها ثلاثة أيام منتظراً قدوم ابن عمه علي بن أبي طالب ومعه رحل رسول الله ﷺ والفاطميات، حتى إذا قدم دخل النبي أحياء المدينة، ليتخذ له منزلاً. وبطبيعة الحال فقد كان كل المسلمين يحبون لو نزل الرسول في حيّهم بل كل منهم يتمنى لو يستضيفه في منزله، حيث البركة الدينية والجاه الدنيوي، وغير ذلك.

«فَاعْتَرَضَتْ لَهُ بَنُو سَالِمٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ -وَأَخَذُوا بِخِطَامِ رَاحِلَتِهِ- هَلُمَّ إِلَى الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ وَالسَّلَاحِ وَالْمَنْعَةِ! فَقَالَ: «خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ» ثُمَّ اعْتَرَضَتْ لَهُ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ الْحَزْرَجِ، فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ اعْتَرَضَتْ لَهُ بَنُو عَدِيٍّ، فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ»^(١).

«حَتَّى إِذَا أَتَتْ دَارَ بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ بَرَكَتَ عَلَى بَابِ مَسْجِدِهِ ﷺ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مَرْبَدٌ^(٢) لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ، وَهُمَا فِي حِجْرِ مَعَاذِ بْنِ عَفْرَاءَ، سَهْلٌ وَسُهَيْلُ ابْنَيْ عَمْرٍو، فَلَمَّا بَرَكَتَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهَا لَمْ يَنْزِلْ، وَثَبَتَ فَسَارَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاضِعٌ لَهَا زِمَامَهَا لَا يَثْنِيهَا بِهِ، ثُمَّ التَفَتَتْ إِلَى خَلْفِهَا، فَرَجَعَتْ إِلَى مَبْرِكِهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَبَرَكَتَ فِيهِ، ثُمَّ تَحَلَّحَتْ وَرَزَمَتْ وَأَلْقَتْ بِجَرَانِهَا فَنَزَلَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحْتَمَلَ أَبُو أَيُّوبَ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ رَحْلَهُ، فَوَضَعَهُ فِي بَيْتِهِ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَأَلَ عَنِ الْمَرْبَدِ لِمَنْ هُوَ؟ فَقَالَ لَهُ مَعَاذُ بَنِي عَفْرَاءَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِسَهْلٍ وَسُهَيْلِ ابْنَيْ عَمْرٍو وَهُمَا يَتِيمَانِ لِي، وَسَأَرُضِيهِمَا مِنْهُ، فَاتَّخَذَهُ مَسْجِدًا»^(٣).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١/٢٣٧

(٢) ساحة تحبس فيها الإبل أو يجفف فيها التمر..

(٣) سيرة ابن هشام ٢/١٠١



ربما كان التدبير الإلهي في هذا ينتهي إلى ألا يكون النبي نقطة قوة لهذه الجهة في مقابل تلك، الأوس مقابل الخزرج، أو هذا الزعيم مقابل ذلك.. وبدل أن يكون محور اجتماع للناس سيكون عنصراً جديداً في التفرق! فكان أن تركت الناقة (المأمورة) تتجه حيثما توجه ولن يكون هناك مجال للاعتراض أو التهضم والعتاب! ونلاحظ أن مكان المسجد والمنزل سيكون في محل اليتيمين بعد اعطائهما ما يرضيهما.

وعلى العكس مما يحدث عندما يأتي زعيم إلى منطقة، فإنه ينزل عند ذوي الشأن الاجتماعي أو المالي الكبير، فإننا نلاحظ أن النبي ﷺ نزل عند أبي أيوب ولم يكن من هذا الصنف، وابتنى مسجده ومنزله في مريد اليتيمين! وكأن الباري تعالى أراد من خلال هذا أن يقول إن ما تعتبرونه قيمة كبيرة وتتنافسون فيها ليست بالضرورة قيمة كبيرة عند الله تعالى ف«العدد والعدة والسلاح والمنعة» بل حتى عامل القرابة النسبية المجردة لا يعطي بالضرورة ميزة على الغير!

لم تسع الدنيا أبا أيوب وهو يرى منزله مضافة رسول الله ﷺ، وهو الذي لا يملك ما يملك آخرون من مال أو جاه أو أنصار، لكنه التوفيق الإلهي الذي حصل له، فبعد أن حمل رحل رسول الله ﷺ، وكان منزله من (طابقين) فعرض على رسول الله أن يكون في الأعلى لأنه استعظم أن يكون (فوق) رسول الله من الناحية الجغرافية! لكن النبي أخبره بأن بقاءه في الطابق (الأول) أرفق به وأسهل لمن يأتي إليه من المسلمين.^(١)

أكثر من ستة أشهر هي الفترة التي بقيها النبي ﷺ في منزل أبي أيوب الأنصاري، وكان أبو أيوب وزوجته يوليان رسول الله العناية التامة في الاهتمام بشؤونه بما

(١) ابن أبي عاصم: الأحاد والمثاني ٤٣٩/٣. عَنْ أَبِي أَيُوبَ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ قُلْتُ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ فَوْقَ وَتَكُونَ أَسْفَلَ مِنِّي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَرْفَقَ بِنَا أَنْ نَكُونَ فِي السُّفْلِ لِمَنْ يَعْشَانَا

يناسب محبتهم وتوقيرهما لمقامه. وكان أبو أيوب يتلقى في هذه الفترة من علوم رسول الله وهداياته ما لم يحصل لغيره.

ولذلك فإننا نتعجب عندما يذكر محدثو مدرسة الخلفاء أن ما رواه أبو أيوب عن النبي هو ١٥٥ حديثاً، كما نقل عن بقي بن مخلد في مسنده ومنها سبعة متفق عليها، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بخمسة أحاديث! وهذا من أعجب العجب فإن أقل ما قيل في مكث النبي ﷺ ضيفاً عليه في بيته هو ٦ أشهر وكان يجلب له الطعام ويجلس معه عليه، ويكون معه في خروجه ودخوله، ومن الطبيعي أن يتحادثا في كل ذلك، فلو فرضنا أنه يسمع منه في كل يوم حديثاً واحداً وهو أقل شيء يمكن تصوره، فإن ذلك يعني أنه سمع منه ١٨٠ حديثاً! فكيف ينقل عنه البخاري حديثاً واحداً؟! أو مسلم ٥ أحاديث!؟

نعتقد كما أشرنا أكثر من مرة أن مصنفى ومحدثى مدرسة الخلفاء، كانوا يفرضون ما يشبه (الفلتر) على أحاديث الصحابة مهما كانت درجة قربهم من النبي ﷺ، فإذا كان الحديث المنقول عن النبي يتوافق مع توجهاتهم العقديّة والمذهبية نقلوه مهما كانت درجة ذلك الصحابي! وأما إذا كان لا يتوافق معهم فهم يغفلون نقل الحديث عنه ولا يعتنون به وإن كان مضيف النبي ﷺ والذي اختير لينال هذه الدرجة!

لكننا لو تتبعنا في مصادر الامامية وغيرها سنجد الكثير مما رواه أبو أيوب الأنصاري وهي التي تدل على ولائه لآل محمد ﷺ، وشدة علاقته بهم.

أحاديث الولاية والفقّه يرويهما أبو أيوب

فمن تلك الأحاديث التي رواها أبو أيوب عن النبي ﷺ:

١. «أنا سيّد الأنبياء وعليّ سيّد الأوصياء وسبطاي (أي الحسن والحسين ﷺ)



سيِّدا الأسباط ومنا الأئمة المَعصومون ومنا مهديّ هذه الأمة». وفي هذا الحديث إجمال للعقائد الحقّة المشتملة على النبوة والإمامة والاعتقاد بالمهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف، في وقتٍ يعتبر فيه الحديث عن إمامة الأئمة وعن المهدي مبكراً جداً.

٢. اختيار الله محمداً نبياً وعلياً وصياً، عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال: مرض رسول الله ﷺ مرضة، فأتته فاطمة ؓ تَعوده، فلما رأت ما برسول الله ﷺ من المرض والجهد استعبرت وبكت حتى سالت دموعها على خديها، فقال لها النبي ﷺ: يا فاطمة، إني لكرامة الله إياك زوجتك أقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً، إن الله تعالى اطّلع إلى أهل الأرض اطلاعة فاختارني منها فبعثني نبياً، واطّلع إليها ثانية فاختار بعلك فجعله وصياً^(١).

٣. وعنه عن رسول الله ﷺ إنه قال لعليّ ؓ: لا يحبك إلا مؤمنٌ، ولا يبغضك إلا منافقٌ، أو ولد الزنية، أو من حملته أمه وهي طامثٌ^(٢).

(١) الطوسي، الأمالي ١٥٥

(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة (الإسلامية) ٢/ ٣٨ وقد يتساءل هنا عن أنه كيف يقول من حملته أمه وهي طامث أي حائض مع أنه لا يمكن من الناحية الطبية أن تحمل المرأة وهي في حال الحيض؟ والجواب على ذلك أنه قد لا يكون المقصود هنا الحيض بالمعنى التكويني والطبي، وإنما من يكون حكمها حكم الحائض حتى لو لم يكن يخرج منها الدم، فإنه يختلف الحكم الشرعي بالنسبة للحيض عن الحيض الطبي والتكويني، وشاهد ذلك أن الطب لا يثبت وجود إمكانية حيضتين في شهر واحد لأنها دورة شهرية واحدة لكن في الشرع من الممكن أن يستوعب الشهر الواحد حكماً بثلاث حيضات من الناحية النظرية.. فقد ذكر الفقهاء الحنابلة أن أقل مدة يمكن أن تعتد فيها المرأة وهي (ثلاثة قروء) هي شهر واحد فقط. بينما ذهب الإمامية إلى أن «أقلّ زمان يمكن أن تنقضي به العدة ستة وعشرون يوماً ولحظتان بأن كان طهرها الأول لحظة ثمّ تحيض ثلاثة أيام ثمّ ترى أقلّ الطهر عشرة أيام ثمّ تحيض ثلاثة أيام ثمّ ترى أقلّ الطهر عشرة أيام ثمّ تحيض فبمجرد رؤية الدم الأخير لحظة من أوله تنقضي العدة، وهذه اللحظة الأخيرة خارجة عن العدة وإنما يتوقف عليها تمامية الطهر الثالث» منهاج الصالحين ٣/ مسأله ٥٤٩ للسيد السيستاني. وهناك شواهد أخر على افتراق الحيض التكويني عن

٤. وعن أبي أيوب أن النبي ﷺ قال لعمار: إنه سيكون بعدي هنات حتى يختلف السيف فيما بينهم، إلى أن قال: فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني علي بن أبي طالب فإن سلك الناس كلهم وادياً وسلك علي وادياً فاسلك وادي علي وخل الناس، يا عمار إن علياً لا يردك عن هدى ولا يدلك على ردى، يا عمار طاعة علي طاعتي، وطاعتي طاعة الله. (١)

وقد طبق أبو أيوب وعمار ما سمعا من النبي ﷺ.

٥. وعن أبي أيوب عن النبي ﷺ في حديث قال لعليّ ﷺ: إنك تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بعدي. (٢)

وهذا الحديث كان يفشيه أبو أيوب ويتحدث به للناس ليتخذوا المواقف الصحيحة تجاه تلك الفئات وهم أصحاب الجمل وأتباع معاوية وخوارج النهروان.

الشرعي وما حكمه حكم الحيض، ولعل المقصود هنا في الحديث أنه حملت به أمه في وقت كان حكم الجماع حراماً فيه، فانعدت نطفته في وقت محرم!

(١) الحر العاملي: إثبات الهداة ٣/ ١٢٦ ونقله محمد بن الحسين الأجري في كتابه الشريعة ٤/ ٢٠٩٢ بنحو آخر عن عَلْقَمَةَ بْنِ قَيْسٍ، وَالْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ قَالَا: أَتَيْنَا أَبَا أَيُوبَ الْأَنْصَارِيَّ فَقُلْنَا لَهُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَكْرَمَكَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ إِذْ أَوْحَى إِلَى رَاحِلَتِهِ فَبَرَكَتَ عَلَى بَابِكَ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضَيْفَكَ، فَضَيْلَةً فَضَلَّكَ اللَّهُ بِهَا، ثُمَّ خَرَجْتَ تُقَاتِلُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: مَرَّ حَبَابُكُمْ وَأَهْلًا، إِنِّي أُقْسِمُ لَكُمْ بِاللَّهِ لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ، وَمَا فِي الْبَيْتِ غَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلِيِّ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِهِ، وَأَنَا قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، إِذْ حُرِّكَ الْبَابُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَنَسُ، انظُرْ مِنَ الْبَابِ» فَخَرَجَ فَنَظَرَ وَرَجَعَ فَقَالَ: هَذَا عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ قَالَ أَبُو أَيُوبَ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَا أَنَسُ، افْتَحْ لِعَمَارِ الطَّيِّبِ الْمُطَيَّبِ» فَفَتَحَ أَنَسُ الْبَابَ، فَدَخَلَ عَمَارٌ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوَدَّ وَرَحَّبَ بِهِ، وَقَالَ: «يَا عَمَارُ إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي بَعْدِي هَنَاتٌ وَاخْتِلَافٌ حَتَّى يَخْتَلِفَ السَّيْفُ بَيْنَهُمْ حَتَّى يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَتَبَرَّأَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا رَأَيْتَ ذَلِكَ فَعَلَيْكَ بِهَذَا الَّذِي عَنْ يَمِينِي يَعْنِي عَلِيًّا وَإِنْ سَلَكَ كُلُّهُمْ وَادِيًا وَسَلَكَ عَلِيُّ وَادِيًا فَاسْلُكْ وَادِي عَلِيٍّ، وَخَلِّ النَّاسَ طَرًّا، يَا عَمَارُ، إِنَّ عَلِيًّا لَا يَرُدُّكَ عَنْ هُدَى، يَا عَمَارُ، إِنَّ طَاعَةَ عَلِيٍّ طَاعَتِي، وَطَاعَتِي مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ..»

(٢) الحر العاملي: إثبات الهداة ١/ ٣٤٤



٦. وبشكل أوضح فقد روى أبو أيوب عن النبي ﷺ أنه قال للزبير: لتقاتلن علياً يوماً وأنت ظالم له.

٧. ونقل عنه حديث الغدير حيث كان في جملة من روى هذا الحديث، فعَنْ رِيَّاحِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: جَاءَ رَهْطٌ إِلَى عَلِيٍّ بِالرَّحْبَةِ فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلَانَا قَالَ: كَيْفَ أَكُونُ مَوْلَاكُمْ وَأَنْتُمْ قَوْمٌ عَرَبٌ؟ قَالُوا: سَمِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ غَدِيرِ حُمٍّ يَقُولُ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ، فَإِنَّ هَذَا مَوْلَاهُ» - قَالَ رِيَّاحٌ: فَلَمَّا مَضَوْا تَبِعْتُهُمْ، فَسَأَلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: نَفَرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِيهِمْ أَبُو أَيُوبِ الْأَنْصَارِيُّ. (١)

٨. ما سبق كان في أصول العقائد، وله في الفقه روايات يستدل بها الفقهاء، فمنها: ما نقله شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي في كتابه الخلاف واستشهد على مختاره بما هو عن أبي أيوب الأنصاري فقال في مسألة ٤٨: لا يجوز استقبال القبلة ولا استدبارها ببول ولا غائط، ولا عند الاضطرار، لا في الصحاري، ولا في البنيان. وبه قال أبو أيوب الأنصاري. (٢)

وهو الرأي المشهور بين الامامية أنه لا يجوز حين قضاء الحاجة استقبال المسلم القبلة كما لا يجوز أن يستدبرها بل إما أن يشرق أو يغرب.. بينما اختلفت الآراء في مدرسة الخلفاء فبعضهم قال لا يجوز استقبال القبلة او استدبارها في ما إذا كان في الصحراء وأما إذا كان في البنيان فلا مانع.

(١) حنبل؛ أحمد بن: مسند أحمد ٥٤١/٣٨

(٢) الطوسي: الخلاف ١/ ١٠١ وذكر عبد الحق الأشبيلي في الجمع بين الصحيحين ١/ ٢١٣ عن أبي أيوب؛ أن النبي ﷺ قال: (إِذَا أَتَيْتُمُ الْغَائِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا بِبَوْلٍ وَلَا بَغَائِطٍ، وَلَكِنْ سَرُّوْهُ أَوْ عَرَّبُوْهُ). قال أبو أيوب: فَقَدِمْنَا الشَّامَ، فَوَجَدْنَا مَرَايِضَ قَدْ بَنِيَتْ قِبَلَ الْقِبْلَةِ، فَتَنَحَّرَفْنَا عَنْهَا وَنَسْتَعْفِرُ اللَّهَ.

٩. ونقل عن أبي أيوب - وابن عمر وابن عباس - ما يرتبط بالجمع بين الصّلاتين وأنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَالظَّهْرِ وَالْعَصْرِ فِي غَيْرِ سَفَرٍ وَلَا مَطَرٍ وَلَا عُذْرٍ. «صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ» وبالطبع هنا لا يراد الإخبار عن أصل صلاته لهما، فهذا لا معنى له وإنما المقصود هو أنه صلاهما معاً حيث هو محل الاختلاف في جوازه وعدم ذلك، فكان الإخبار عن فعله ذلك يستحق أن ينقل ويكون دليلاً لمن يقول بجوازه. والشاهد عليه ما أشار إليه شارح البخاري بدر الدين العيني في ذكره مقصود الحديث بقوله: وَهَذَا التَّعْلِيْقُ فِيهِ ثَلَاثَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، وَأَبُو أَيُّوبَ خَالِدُ بْنُ زَيْدِ الْخَزْرَجِيِّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ. أما حديث ابن عمر فوصله البخاري في الحج بلفظ: (صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِالْمُزْدَلِفَةِ). وأما حديث أبي أيوب فوصله أيضاً بلفظ: (جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ). وأما حديث ابن عباس فوصله في باب تَأْخِيرِ الظُّهْرِ إِلَى الْعَصْرِ، وَكَذَا أَسْنَدُهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ. (١)

١٠. وكذلك عن أبي أيوب الأنصاري، قال: «جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بِجَمْعٍ» (٢) أي مزدلفة.

مواقفه بعد رسول الله ﷺ

كان من الطبيعي لأبي أيوب وقد تعرف على ولي الله ووصي رسول الله أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، أن يعرف عظم الخسارة التي منيت بها الأمة حينما أقدم بعض رجالها على تنحيته من موقع الخلافة لرسول الله والقيادة لأمتة! ولذا فقد اعترض

(١) العيني؛ بدر الدين: عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٥/ ٦١

(٢) مسند أحمد ٣٨/ ٥٤٨



على هذا الأمر، وأبدى كلامه صريحا في الاثني عشر^(١) الذين اعترضوا على الخليفة الأول في مسجد رسول الله ﷺ، وقد أشرنا إلى ذلك من حديث الاحتجاج حيث يعد هذا الحديث أحد العلامات المبكرة على الاتجاه الموالي لأمير المؤمنين ﷺ بين الصحابة.

وفي زمان الخليفة الثاني نحن نلاحظ أنه لم ينتخب في جملة القراء الذين جمعوا القرآن وحفظوه، والذين أرسلوا إلى الشام في زمان يزيد بن أبي سفيان الأموي، وكان العذر في ذلك أنه كبير!^(٢) مع أننا نعتقد أن هذا العذر ليس تاماً وذلك لأن الحادثة لا بد أن تكون قبل سنة ١٨ هـ حيث توفي يزيد بن أبي سفيان والي الشام حينئذ، وحين استشهد أبو أيوب سنة ٥٢ هـ، كان عمره ٩٨ وهذا يعني أنه حين تم هذا الحديث معه كان بحوالي ٦٥ سنة من العمر، فلا نعرف وجهاً واضحاً لاستبعاده وهو بتلك السن! حيث أنه كان في زمان أمير المؤمنين ﷺ مقاتلاً في الجمل وصفين والنهر وان، وكان عمره حينها حوالي ٨٠ سنة، فكيف يستكبر عمره على مثل تعليم القرآن هنا وهو من أبناء ٦٥ سنة؟ إننا لا نرى وجهاً واضحاً لذلك.

(١) الطبرسي، أحمد بن علي: الاحتجاج ١ / ١٠٧: عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ﷺ: جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله ﷺ أنكر على أبي بكر فعله وجلوسه مجلس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم كان الذي أنكر على أبي بكر اثني عشر رجلاً من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص، وكان من بني أمية وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وبريدة الأسلمي ومن الأنصار أبو الهيثم بن التيهان وسهل وعثمان ابنا حنيف وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وأبي بن كعب وأبو أيوب الأنصاري.

(٢) جَمَعَ الْقُرْآنَ حَمْسَةَ: مُعَاذٌ، وَعِبَادَةٌ بِنِ الصَّامِتِ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ، وَأَبِي، وَأَبُو أَيُوبَ، فَلَمَّا كَانَ زَمَنُ عُمَرَ، كَتَبَ إِلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ: إِنَّ أَهْلَ الشَّامِ قَدْ كَثُرُوا، وَمَلَّؤُوا الْمَدَائِنَ، وَاحْتَجَّجُوا إِلَى مَنْ يُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ، وَيُقَيِّمُهُمْ، فَأَعْنِي بِرِجَالٍ يُعَلِّمُونَهُمْ.

فَدَعَا عُمَرَ الْحَمْسَةَ، فَقَالَ: إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ اسْتَعَانُونِي مَنْ يُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ، وَيُقَيِّمُهُمْ فِي الدِّينِ، فَأَعِينُونِي يَرْحَمَكُمُ اللَّهُ بِثَلَاثَةِ مِنْكُمْ إِنْ أَحْبَبْتُمْ، وَإِنْ انْتَدَبَ ثَلَاثَةٌ مِنْكُمْ، فَلْيُخْرِجُوا. فَقَالُوا: مَا كُنَّا لِنَسْأَهُمْ، هَذَا شَيْخٌ كَبِيرٌ - لأبي أيوب - وأما هذا فَسَقِيمٌ - لأبي - . فَخَرَجَ: مُعَاذٌ، وَعِبَادَةٌ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ.

ويظهر أن أبا أيوب كان يتقي من الخليفة عمر، ويخشى عقابه ولذلك فقد ترك بعض السنن التي كان يقوم بها، فقد روي أن أبا أيوب الأنصاري «كان يصلي قبل خلافة عمر ركعتين بعد العصر، فلما استخلف عمر تركهما، فلما توفي عمر ركعهما ف قيل له ما هذا؟ فقال: إن عمر كان يضرب عليهما»^(١).

ويظهر أنه في أيام الخليفة عثمان قد التزم موقف أمير المؤمنين عليّ ﷺ في أنه لم يكن قد ذهب بها عريضة كما فعل الثائرون على عثمان القادمون من الأمصار، كما أنه لم يقف إلى جانبه أو يبرر أخطاءه، ونجد أنه أحد شهود الكتاب الذي كتبه الإمام عليّ ﷺ بين عثمان والثائرين عليه..

فقد ذكر المؤرخون ذلك، ومنهم البلاذري الذي قال: «أتى المغيرة بن شعبه عثمان فقال له: دعني آت القوم فأنظر ما يريدون! فمضى نحوهم فلما دنا منهم صاحوا به: يا أعور وراءك، يا فاجر وراءك، يا فاسق وراءك، فرجع!

ودعا عثمان عمرو بن العاص فقال له: ائت القوم فادعهم إلى كتاب الله والعتبي ممّا ساءهم، فلما دنا منهم سلم فقالوا: لا سلم الله عليك، ارجع يا عدو الله، ارجع يا ابن النابغة فلست عندنا بأمين ولا مأمون، فقال له ابن عمر وغيره: ليس لهم إلا عليّ بن أبي طالب فبعث عثمان إلى عليّ!

فلما أتاه قال: يا أبا الحسن ائت هؤلاء القوم فادعهم إلى كتاب الله وسنة نبيه، قال: نعم؛ إن أعطيتني عهد الله وميثاقه على أنك تفي لهم بكل ما أضمنه عنك، قال: نعم، فأخذ عليّ عليه عهد الله وميثاقه على أوكد ما يكون وأغلظ، وخرج إلى القوم، فقالوا: وراءك، قال: لا بل أمامي تعطون كتاب الله وتعتبون من كل ما سخطتم، فعرض عليهم ما بذل عثمان، فقالوا: أتضمن ذلك عنه؟ قال: نعم، قالوا:

(١) المتقي الهندي: كنز العمال ٤٩/٨



رضينا، وأقبل وجوههم وأشرفهم مع علي حتى دخلوا على عثمان وعاتبوه فأعتبهم من كل شيء، فقالوا: اكتب بهذا كتاباً فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله عثمان أمير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين والمسلمين: إن لكم أن تعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه، يعطى المحروم ويؤمن الخائف ويرد المنفي ولا تجمر البعوث ويوفر الفيء، وعلي بن أبي طالب ضمين للمؤمنين والمسلمين على عثمان بالوفاء بما في هذا الكتاب. شهد الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن مالك بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وسهل بن حنيف وأبو أيوب خالد بن زيد، وكتب في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين، فأخذ كل قوم كتاباً فانصرفوا. (١)

في زمان الإمام علي عليه السلام

بالرغم من أن خلافة الإمام الظاهرية صادفت غروب أيام عمره، وما يترافق مع الشيخوخة من ضعف حيث كان حينها بحدود الثمانين من العمر إلا أنه كان يتحرك فيها بحماس ابن العشرين، وقوة ابن الثلاثين فقد شهد مشاهد أمير المؤمنين عليه السلام كلها، (٢) فها هو يقدم إلى البصرة في حرب الجمل بنحو يصفه بعض الناظرين: «لما قدم علي البصرة خرجت أنظر إليه فورد موكب نحو ألف فارس يقدمهم فارس على فرسٍ أشهب عليه قلسوة وثيابٌ بيض متقلدٌ سيفاً معه راية وإذا تيجان القوم الأغلب عليها البياض والصفرة مدججين في الحديد والسلاح فقلت من هذا؟

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ٥٥٣/٥

(٢) ولا يصح قول بعضهم أنه اشترك في النهروان خاصة! وذلك لتنزيه جماعة الجمل وصفين، كما في الطبقات الكبرى ط دار صادر ٤٨٤/٣ ابن سعد قال مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ: أَخْبَرْتُ عَنْ شُعْبَةَ قَالَ: قُلْتُ لِلْحَكَمِ: مَا شَهِدَ أَبُو أَيُوبٍ مِنْ حَرْبِ عَلِيٍّ؟ قَالَ: شَهِدَ مَعَهُ حُرُورًا.

فقيل: أبو أيوب الأنصاري وهؤلاء الأنصار..»^(١) ولم يكن دوره في صفين دون دوره في الجمل حتى لقد نسب إلى معاوية بن أبي سفيان في ديوانه أنه وجه إليه رسالة يتهمه فيها بأنه من قتلة عثمان، وأنه مطالب بدمه وأن عداوته إياه لآخر الأبد. فقد جاء في الديوان المنسوب لمعاوية أنه كتب إلى أبي أيوب، خالد بن زيد الأنصاري هذه الابيات:

أَبْلَغُ لَدَيْكَ أبا أيوب مَأْلَكَةً أَنَا وَقَوْمِكَ مِثْلُ الذَّبِّ وَالنَّقْدِ
 إِمَّا قَتَلْتُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا تَرْجُوا الْهَوَادَةَ عِنْدِي آخِرَ الْأَبْدِ
 إِنَّ الَّذِي نَلْتُمُوهُ ظَالِمِينَ لَهُ أَبَقْتُ حَرَارَتُهُ صَدْعًا عَلَى كِبْدِي
 إِنِّي حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْرَ كَاذِبَةٍ لَقَدْ قَتَلْتُمْ إِمَامًا غَيْرَ ذِي أَوْدِ
 لَا تَحْسَبُوا أَنِّي أَنْسَى مَصِيبَتَهُ وَفِي الْبِلَادِ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَحَدِ
 أَعَزَزَ عَلَيَّ بِأَمْرٍ لَسْتُ نَائِلُهُ وَاجْهَدْ عَلَيْنَا فَلَسْنَا بِيضَةَ الْبَلَدِ
 قَدْ أَبَدَلُ اللَّهُ مِنْكُمْ خَيْرَ ذِي كَلْعِ وَالْيَحْصِيَّيْنَ أَهْلَ الْحَقِّ فِي الْجَنْدِ^(٢)

وكما في الحربين الأوليين فقد كان له في الثالثة الحروب مع الخوارج دورٌ مهمٌ، فقد أرسله الإمام علي عليه السلام وقام فيهم يخطب، معرِّفاً بنفسه وأنه من استضاف رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمره الإمام أن ينصب راية أمان لمن شاء أن يترك الخوارج وأنه لن يعاقب أو يؤاخذ أحداً وأخذ يعظهم بما استطاع.^(٣)

(١) الأمين، السيد محسن: أعيان الشيعة ١/ ٢٤

(٢) معاوية بن أبي سفيان: ديوان معاوية بن أبي سفيان ١/ ٦١

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ٢٨٨ — وأمر عليّ أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج ويقول لهم: من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن، إنه لا حاجة لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا، فانصرف منهم طوائف كثيرون - وكانوا في أربعة آلاف - فلم يبق منهم إلا ألف أو أقل..



وحين عاتبه بعض القاعدين عن أمير المؤمنين عليه السلام، بأنه بعدما كان يقاتل الكفار بحماس أصبح يقاتل المسلمين أجابه بأن رسول الله أمره بأن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.^(١)

أبو أيوب في دولة الإمام علي عليه السلام

لم تقتصر أدوار أبي أيوب الأنصاري في نصرته علياً عليه السلام على ميادين الحرب والقتال وإن عظمت وجلت، بل كان له في ميادين السلم والحضور الاجتماعي أدوار لا تقل عنها، فهذا هو يقوم في أول من استشهدهم أمير المؤمنين عليه السلام على حديث الغدير، وكان هذا الأمر ضرورياً فإن تحقيق التواتر للحديث طبقة بعد طبقة يكون بهذا وأمثاله، بالإضافة إلى أن الجيل الجديد من أبناء الصحابة، حيث مر على حادثة الغدير نحو من عشرين سنة من الزمان، وباعتبار أن هذا الجيل كان في الكوفة وهي من الناحية الجغرافية بعيدة عن موقع الحدث قرب مكة، وعن تداول الحديث كما في المدينة، فافتضى ذلك لتأكيد الخبر وروايته جيلاً بعد جيل، أن يستشهدهم إياه ويطلب منهم قراءته وهذا ما حصل: «فعن الأصبع بن نباتة، قال: نشد عليّ الناس في الرحبة من سمع النبي صلى الله عليه وآله يوم غدير خم ما قال إلا قام، ولا يقوم إلا من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول، فقام بضعة عشر رجلاً فيهم أبو أيوب الأنصاري، وأبو عمرة بن عمرو بن محسن، وأبو زينب، وسهل ابن حنيف، وخزيمة بن ثابت، وعبد الله بن ثابت الأنصاري، وحبشي بن جنادة السلولي، وعبيد بن عازب الأنصاري، والنعمان بن عجلان الأنصاري، وثابت بن وديعة الأنصاري، وأبو فضالة الأنصاري، وعبد الرحمن بن عبد رب الأنصاري، فقالوا: نشهد أنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله»

(١) ابن الأثير: أسد الغابة ٤ / ٣٣: قال أتينا أبا أيوب الأنصاري فقلنا قاتلت بسيفك المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثم جئت تقاتل المسلمين قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله بقتل الناكثين والقاسطين والمارقين

عليه وسلم يقول: «ألا إن الله ﷻ وليي وأنا وليي المؤمنين، ألا فمن كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وأعن من أعانه»^(١).

ولإخلاص أبي أيوب ورؤيته الواضحة فقد جعله أمير المؤمنين ﷺ والياً على مدينة رسول الله ﷺ وبقي فيها إلى ما بعد صيفين حيث بدأ معاوية بن أبي سفيان يجهز الغارات والحملات العسكرية على مناطق حكم الإمام علي ويهاجم أهلها ويرعبهم^(٢)، وقد انتخب له رجلاً شرساً لم يعرف سوى طعم الجريمة ولم يلتذ بغير الدماء وهو بسر بن أرطاة.. فصار هذا إلى الإغارة على المدينة ومكة بما يشبه هجمات داعش في هذه الأيام، بعناصر متعطشة للغنيمة والدماء، وكانوا لا يواجهون في معركة معلنة وإنما يباغتون المنطقة المستهدفة وهي غير مستعدة فيعملون فيها القتل والسلب، وكان أحد أهدافهم قتل ولادة الإمام ومن ناصره من أعيان أصحابه، ولا ريب أن أبا أيوب هو أحد أهدافهم! فلما هاجموا المدينة على حين غرة استطاع أبا أيوب النجاة منهم والاختباء حتى حين.

(١) أسد الغابة (دار الفكر)، ج ٣، ابن الأثير، ص ٣٦٦ ولا يخفى أن بعض الأسماء تحتاج إلى تدقيق وليس هذا مجاله.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ٢/ ٤٥٤ هكذا كانت سياستهم كما ورد في أمر معاوية لبسر «..واقتل كل من كان في طاعة عليّ إذا امتنع من بيعتنا، وخذ ما وجدت لهم من مال.

فلما دخل بسر المدينة أخاف أهلها وقال: إن بلدكم كان مهاجر نبيكم ومحل أزواجه والخلفاء الراشدين بعده، فكفرتم نعمته الله عليكم ولم تحفظوا حق أئمتكم حتى قتل عثمان بينكم فكنتم بين خاذل له ومعين عليه، ولم يزل يرهبهم حتى ظنوا أنه موقع بهم، ثم دعا الناس إلى بيعه معاوية فبايعه قوم وهرب منه قوم فهدم منازلهم. وكان عامل علي على المدينة يومئذ أبا أيوب خالد بن زيد الأنصاري فتواري..



أبو أيوب في زمان معاوية بن أبي سفيان

آل الأمر إلى معاوية بعد أن كان في يد أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا مما يزهده المؤمن في الدنيا، وأصبح بنو أمية «خلفاء» النبي!! ومرت وصايا النبي صلى الله عليه وسلم في شأنهم وأنهم إذا بلغوا ثلاثين اتخذوا مال الله دولاً وعباده خولاً والمؤمنين حرباً والكافرين حزباً.. وأوامره في أنهم إذا رأوا معاوية على منبره فليقتلوه، ذهب كل ذلك أدراج الرياح!

وصار بإمكان مروان بن الحكم الذي كان ملعوناً على لسان رسول الله مطروداً من مدينته! أصبح هو والي المدينة الأمر النهائي فيها والذي يقيم صلاة جماعتها وعيدها ويحكم في خيارها وأطهارها!! بل ويعلم مثل أبي أيوب ما يجوز وما لا يجوز وما يصح وما لا يصح!!

نعم هكذا قالوا.. أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر،^(١) فأخذ برقبته وقال: أتدري ما تصنع؟ قال: نعم، فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب الأنصاري، فقال: جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم آت الحجر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله».^(٢)

وكان هذا الكلام الأخير الذي نقله أبو أيوب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعبر بأحسن ما يمكن عن موقفه تجاه الحكم الأموي والمرحلة الجديدة في تاريخ الإسلام.

أصبح الآن أبو أيوب الأنصاري الذي كان مضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووالي علي بن أبي طالب على المدينة والمقاتل في صفوفه، ومن جمع القرآن حفظاً ومعرفة..

(١) الاتجاه المعارض لتعظيم النبي وتوقيره حياً وميتاً هو الاتجاه الاساس لدى الأمويين ولم يقتصر الأمر على أبي أيوب

(٢) الحاكم، أبو عبد الله: المستدرک على الصحيحين ٤/ ٥٦٠

تحت حكم مروان بن الحكم (بأمره) بما يصلح وينهاه عما لا يصلح!!

كيف شارك في جيش القسطنطينية؟

يقول المؤرخون^(١) إن معاوية جهز جيشاً لقتال الروم وجعل ابنه يزيد مع ذلك الجيش، وأن هذا الجيش كان فيه عدد من أصحاب رسول الله ﷺ وكان منهم أبو أيوب الأنصاري الذي استشهد في ذلك المسير الجهادي ودفن خارج أسوار القسطنطينية (اسطنبول حالياً)، مع تفاصيل كثيرة.

ويأتي السؤال عريضاً كيف لأبي أيوب أن يشارك في هذا الجيش وهو صاحب المواقف المعروفة من معاوية، ومن يزيد تحديداً حيث نصح معاوية ألا يستخلف يزيد^(٢) وهذا كان قبل تجهيز ذلك الجيش فكيف يكون تحت قيادته وقد كان يراد من

(١) ابن الأثير، أبو الحسن: الكامل في التاريخ ٥٦/٣ ذكر غزوة القسطنطينية في هذه السنة ٤٩ وقيل: سنة خمسين، سير معاوية جيشاً كثيراً إلى بلاد الروم للغزاة وجعل عليهم سفیان بن عوف وأمر ابنه يزيد بالغزاة معهم، فتناقل واعتل، فأمسك عنه أبوه، فأصاب الناس في غزاتهم جوع ومرص شديد، فأنشأ يزيد يقول:

ما إن أبالي بما لاقت جموعهم بالفرقدونة من حمى ومن موم
إذا اتكأت على الأنماط مرتفقا بدير ممران عندي أم كلثوم

وأم كلثوم امرأته، وهي ابنة عبد الله بن عامر.

فلغ معاوية شعره فأقسم عليه ليلحقن بسفيان إلى أرض الروم ليصيبه ما أصاب الناس، فسار معه جمع كثير أضافهم إليه أبوه، وكان في هذا الجيش ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري وغيرهم وعبد العزيز بن زرارة الكلابي، فأوغلوا في بلاد الروم حتى بلغوا القسطنطينية، ثم رجع يزيد والجيش إلى الشام وقد توفي أبو أيوب الأنصاري عند القسطنطينية فدفن بالقرب من سورها، فأهلها يستسقون به..

(٢) في تاريخ دمشق: ٤٣ / ٣١٩: وقال له أبو أيوب الأنصاري: اتق الله ولا تستخلف يزيد! قال: امرؤ

ناصر وإنما أشرت برأيك، وإنما هم أبناؤهم فابني أحب إلي من أبنائهم!



قيادة يزيد للجيش ذاك اعداده للخلافة؟

والجواب: تارة يكون في تحقيق أصل قيادة يزيد للجيش وصحة ذلك، وهو محل نقاش بين الباحثين بالرغم من أن أصحاب الاتجاه الأموي تمسكوا بهذه الفكرة وكأنها آية منزلة، لأنها تبرر ليزيد ما سيرتكب من جرائم وتظهره بمظهر القائد الفاتح الحريص على نشر الإسلام، ونسبوا للنبي ﷺ حديثاً بأن الجيش الذي يغزو القسطنطينية مغفور لهم! وهذا موضوع تاريخي تم بحثه والتفصيل فيه من باحثين لمن أراد المراجعة.^(١)

وأخرى يكون في مشاركة أبي أيوب الأنصاري في ذلك الجيش؛ فقد اعترض بعض علماء الطائفة على ذلك وأولهم فيما نقل هو الفضل بن شاذان النيسابوري كما نقله شيخ الطائفة في اختيار معرفة الرجال حيث قال: «وسئل الفضل بن شاذان عن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري وقاتله مع معاوية المشركين؟ فقال: كان ذلك منه قلة فقه وغفلة، ظن أنه إنما يعمل عملاً لنفسه يقوي به الإسلام ويوهي به الشرك وليس عليه من معاوية شيء كان معه أو لم يكن»!^(٢)

وقد رد السيد مهدي بحر العلوم الطباطبائي كلام الفضل بن شاذان بقوله: «ونقم عليه بعض أصحابنا قتاله مع معاوية ودخوله تحت رايته وأجيب بأنه إنما عمل عملاً لنفسه قاصداً به تقوية الإسلام وليس عليه من معاوية شيء - كان أو لم يكن - وهو: كما ترى والأولى أن يقال: إن الخطأ في الاجتهاد لا ينافي سلامة الأصول».^(٣)

وأجاب السيد أبو القاسم الخوئي على إشكال الفضل باحتمال أن يكون أبو

(١) الكوراني؛ الشيخ علي: جواهر التاريخ - سيرة الإمام الحسن ﷺ وتسلط بني أمية ومواجهة أهل

البيت ﷺ لخططهم ٣/ ٣٢٣ نسخة الكترونية / من موقع المؤلف.

(٢) الطوسي: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ١/ ٢١٧

(٣) بحر العلوم، السيد محمد مهدي: الفوائد الرجالية ٢/ ٣٢٤

أيوب قد استأذن الإمام الحسن أو الحسين ﷺ^(١) أو اعتمد على إذن عام منهما أو من أبيهما، وقد حصل هذا بقتال بعض أصحاب الإمام وهم أعلى مقاماً من أبي أيوب - بأحد النحويين من الإذن - تحت راية من هو أسوأ من معاوية.. فقال في معجم رجال الحديث: «اعتراض الفضل، على أبي أيوب في غير محله. فإن قتال المشركين مع خلفاء الجور، إذا كان بإذن خاص أو عام من الإمام ﷺ لا بأس به، بل هو موجبٌ للأجر والثواب، فقد قاتل الكفار مع من هو شرٌّ من معاوية، من هو خيرٌ من أبي أيوب وأجلُّ وأرفعُ مقاماً»^(٢).

وذكر آخرون اعتراضاً على كلام الفضل؛ أنه من أين له أن يعلم أن ذلك لم يكن بإذن من الإمام ﷺ؟ فإن غاية ما يستطيع أن يقول لم نعلم باستئذانه الإمام وبإذن الإمام له! وذلك أن احتمال الاستئذان - مع جلاله أبي أيوب ومواقفه - قائمٌ وموجود^(٣).

ويمكن إضافة النقاط التالية لتوضيح ما سبق والموقف من هذه القضية:

١. أن أبا أيوب لم يكن في صدد تقوية السلطة الأموية أو تأييد معاوية أو ابنه وإنما كان في صدد إيصال نداء الإسلام إلى سائر الشعوب، وحيث ان حكام تلك

(١) لتردد المؤرخين في أن المشاركة في الجيش ذاك كان في زمان الإمام الحسن أو بعد شهادته.

(٢) الخوئي؛ أبو القاسم: معجم رجال الحديث ٢٦ / ٨

(٣) أشار لذلك المحققان لكتاب الفوائد الرجالية؛ السيدان محمد صادق وحسين بحر العلوم، والسيد جعفر العاملي في مقال له في مجلة شعائر ع ١٩ السنة ٢: جعله محتملاً وإن كان لا شاهد لدينا عليه فقال: «على أن من الجائر أن يكون رحمه الله قد استأذن من الإمام الحسن أو الحسين ﷺ في خروجه لهذا الوجه. وإن كان ذلك لا شاهد له فيما بين أيدينا من النصوص»، والغريب أن السيد العاملي رحمه الله قال في كتابه مختصر مفيد، ج ٧ / ١٥١: ولا ندري إن كان قد بلغ أبو أيوب - وهو خالد بن زيد - في معرفته لأئمتنا حداً يجعله يلتزم باستئذانهم، أو يدرك لزوم الاستئذان منهم في مثل هذا الأمر الخطير!..



الشعوب كانوا يمنعونها من الوصول إلى الهداية الربانية أو وصول الهداية الالهية إليها، ويحاربون من يفعل ذلك فكان من الطبيعي أن تتم مواجهتهم وقتالهم! وربما يكون هذا مقصود السيد جعفر العاملي في قوله «إنَّ أبا أيوب لم يذهب معهم ليكون تحت أمرهم، ويعمل بقيادتهم، بل ذهب على سبيل الاستقلال بنفسه، ورغبةً في الدِّفاع عن دينه».

٢. وربما يضاف لهذه الفكرة؛ أن أولى الناس بنشر الدين ولا سيما الصورة الصحيحة عنه هم المخلصون، وألَّا يُترك نشر الدين فقط للحاكمين والمنحرفين، وحيث ان إحدى أهم الطرق الشائعة في تلك الفترة كانت المواجهة العسكرية على أثر رفض حكومات الكفر انتشار دين الإسلام فقد كانت المواجهة طريقاً، وأولى الناس بذلك هم الأكثر حرصاً على الدين والأفضل التزاماً بتعاليمه ومنهم أبو أيوب.

ولعله لهذا السبب وجدنا أن كثيراً من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قد شاركوا في الفتوحات^(١) كقادة للجيوش أو كعسكريين مهمين، لهذا الغرض السابق أو

(١) تختلف نظرة الباحثين من شيعة أهل البيت عليهم السلام إلى الفتوحات، ففيما تذهب النظرة التقليدية إلى رفض موضوع الفتوحات والنظر إليها بشكل سلبي سواء على مستوى المشروعية أو على مستوى النتائج أو القيادات، هناك نظرة أخرى تظهر من كلمات الشيخ علي الكوراني بوضوح وتنتهي إلى أن أكثر الجهد في الفتوحات كان شيعياً! فإن شيعة الإمام علي عليه السلام هم الذين قاموا بها بل والإمام نفسه، لكن المؤرخين نسبوا تلك الجهود لغير الإمام وشيعته، وقد لخص فكرته في كتابه: قراءة جديدة للفتوحات الإسلامية، بما يلي: هناك ثلاثة أنواع من فعالية علي عليه السلام في الفتوحات:

الأول: أن تلاميذه تصدوا لقيادة معاركها، حتى لو لم تعطهم السلطة دور القيادة العليا. كما نرى في خالد بن سعيد بن العاص وأبي ذر وحذيفة بن اليمان وهاشم المرقال والأشتر وحجر بن عدي وغيرهم.

الثاني: دور أمير المؤمنين عليه السلام في استكمال الفتوحات في خلافته بالرغم من ثلاث حروب داخلية فتحوها عليه! وقد سجل التاريخ منها فتح قسم من إيران كان مستعصياً، وفتح قسم من الهند.

في بعض الحالات لتقليل حجم التجاوزات التي قد تصدر من القادة المعينين من السلطة والراكضين وراء الغنائم، فوجود هذه الشخصيات الموالية للإمام والمهذبة بتهذيب الإسلام يجعل الأخطاء أقل. ولا سيما وأن القادة الدنيويين يعرفون قيمة هؤلاء الأصحاب والصفوة، ويراعون -ولو بنسبة- حضورهم.

٣. إن احتمال أن يكون أبو أيوب قد فهم مشروعية الانضمام إلى جيوش المسلمين بغض النظر عن شرعية الحاكم العام قد يكون من خلال ملاحظته لمشاركة أصحاب أمير المؤمنين ﷺ الخالص من أمثال عمار بن ياسر وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان ونظرائهم في معارك كثيرة قبل خلافة الإمام علي ﷺ، فقد يكون استأذن لنفسه وقد يكون فهم الإذن العام من خلال ذلك، ولعل هذا ما يشير إليه كلام السيد الخوئي رحمه الله.

وعلى أي حال فقد كان من تقدير الله ﷻ أن يكون مشى أبي أيوب الأنصاري؛ خالد بن زيد على سور القسطنطينية التي ستفتح ذات يوم وتصبح اسطنبول عاصمة الدولة العثمانية المسلمة في قلب أوروبا ويكون قبره مزاراً وماناراً يتوسل به المسلمون إلى ربهم، ويحترمه المسيحيون ويتبارك به الجميع. سلام على مضيف الرسول وناصر أمير المؤمنين.

الثالث: أن عمر بن الخطاب بعد هزيمة المسلمين في معركة الجسر مع القوات الإيرانية، أعطى علياً ﷺ الدور الأساسي في إدارة الفتوحات..



أَبِيُّ بِن كَعْب سِيد القِرَاء أَبُو المَنذَر وَأَبُو الطِفِيل

قال الله العلي العظيم ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾^(١)

لكي نتناول شخصية أبي^(٢) بن كعب بن قيس النجاري الأنصاري الخزرجي المدني نرى لزاماً علينا أن نتعرض إلى مقدمة مختصرة حول موقع القرآن في الأمة الإسلامية، لكون عنوان هذا الصحابي الجليل يرتبط بالقرآن الكريم باعتبار أنه سيد القراء كما عُرف.

يحتل القرآن الكريم في الأمة الإسلامية منزلة كبيرة لا توازيها منزلة فهو:
١. من الناحية العقائدية معجزة نبينا المصطفى محمد ﷺ؛ وبرهان صدقه والنداء المتحدي الدائم على أن البشر لا يستطيعون الاتيان بمثله بل ولا بمثل سورة مثل سوره، وإعجازه متعدد المناحي والجهات.^(٣)

(١) الإسراء: ٩

(٢) على وزن قُصَيٍّ وعُدَيٍّ.

(٣) للإطلاع على بعض جهات الاعجاز القرآني يراجع كتابنا معارف قرآنية.

٢. وهو بالإضافة إلى ذلك منبع الأحكام والحجة عليها والدليل الذي ينتفع به المستنبط والفقهاء في استنباط الأحكام باستمرار للقضايا المتجددة فهو ليس قضية تاريخية كانت في الماضي، وإنما هو مستمر في عطاءه، وهذا من عناصر الاعجاز فيه، إذ معارفه متجددة بحسب استيعاب وحاجات كل جيل بشري.

٣. وأفضل وصف وصف القرآن نفسه به هو قول الله ﷻ ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ فرسالة القرآن أن يصنع للإنسانية الحياة الفاضلة في هذه الدنيا وفي نفس الوقت هو مبشِّرٌ بأن للمؤمنين العاملين للصلوات أجراً كبيراً في يوم القيامة.

ولما سبق وغيره فقد تعددت أوجه الاهتمام بالقرآن الكريم من قبل الأمة؛ تلاوةً فنحن نجد الكثير من المسلمين يواظبون على تلاوته ولا سيما في أيام شهر رمضان المبارك، ولا ريب أن تلاوة القرآن بذاتها وبغض النظر عن التأمل في المعاني -حيث هي مرحلة أعلى- تؤثر في قلب القارئ وبصيرته بنحو ملحوظ، فهو مثل إمرار الماء النظيف العذب على لباس متسخ فإنه بكثرة مروره فيه ينظفه ويجليه أو النور يمر في وسط ظلام فإنه يضيئه.

ويزداد هذا التأثير كلما تدبر الانسان في آيات القرآن وتأمل في خطابه، وأحسن من ذلك وأبلغ لو طبق ما فهم منه على حياته الفردية والاجتماعية.

ومن أوجه اهتمام المسلمين بالقرآن حفظه كاملاً أو حفظ أجزاء منه، ومن ذلك سعي العلماء في تفسير آياته وتبيينها لعامة الناس.

ولا يقتصر الأمر على هذا بل إن بعض أصحاب الأموال والتجار يستشعرون مسؤوليتهم تجاه القرآن فيسعون لطباعته تارة وينشئون دور تعليمه، وينفقون على



حفاظ ودارسي القرآن الكريم.

هذه الأشكال من الاهتمام بالقرآن لا ريب أنها مقدره اجتماعيا ومشكورة ومحصلة للثواب إليها للقائمين بها.

وكلها لا ريب تعتمد على وجود القرآن الكريم (المحفوظ بحفظ الله ﷻ) منذ نزوله إلى يومنا وإلى قيام يوم الدين.

ومع تقدم الوسائل أصبح هذا الحفظ^(١) أسهل وأسرع.

هذه الأنحاء المختلفة التي يتعدد القائمون بها في هذه الأيام والعصور، كانت تجتمع في السابق في فئة يطلق عليها القراء فهم من جهة يحفظون آيات القرآن عن ظهر قلب وهو ما يقوم به الحفاظ في زماننا، وهم أيضا يفهمون آياته ويستدلون بها على الأحكام الشرعية وهو ما يقوم به الفقهاء والمجتهدون، وهم كذلك يتلون القرآن في الصلوات وغيرها وهو ما يقوم به عامة الناس. وربما لهذا السبب كان يقال عنهم أنهم «جمعوا» القرآن. وبالطبع فهم يتفاوتون في هذا «الجمع». فلا يمكن أن نقرن إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أحدًا من أصحاب النبي بل ولا هم مجتمعين! وإنما الكلام هو فيما بين أصحاب النبي.

وفي هذا الإطار الثاني يعدُّ أبو بن كعب الأنصاري سيد القراء^(٢). والشخص المفضل عند أهل البيت، بين أصحاب النبي المتخصصين في قراءة القرآن.

(١) الحفظ له درجات بعضها فوق بعض، أولاها أن يتم حفظ اللفظ القرآني وكلام الله كما أنزل، وعليه تترتب باقي درجات الحفظ.

(٢) عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَةَ كُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ: زَيْدُ بْنُ نَابِتٍ وَأَبُو زَيْدٍ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأَبِيٌّ بْنُ كَعْبٍ.. وبالرغم مما في هذا الأثر من مناقشة بالنسبة للثلاثة إلا أنه يثبت ما نحن فيه بالنسبة أبي بن كعب.

فلتتحرك مع أبي من البدايات حيث بايع رسول الله ﷺ في منى في العقبة وهي بيعة العقبة الثانية مع نحو سبعين رجلاً من أهل المدينة من الأنصار، ولا نملك معلومات عن عمره في ذلك الوقت، لكنه بعد هجرة النبي ﷺ شارك في جميع مشاهده وغزواته، وهذا لم يكن الجانب الأبرز فيه وإنما جانبه المميز هو اهتمامه بالقرآن حفظاً ومعرفة وكتابة.

فإنه كان من الكتّاب المعدودين في المدينة، فاستخلصه رسول الله فيمن اختص لكتابة القرآن، وتدوينه أيام حياته ﷺ، ولما كان يحمل أبو الطفيل وهي إحدى كناه من ميزات في الأمانة والاستيعاب وولاء آل محمد فقد اختصه النبي وقربه وأظهر الاهتمام به مثلما فعل أهل البيت فيما بعد بقراءته بعدما تعددت القراءات والقراء.

وكان النبي ﷺ يشير إليه أن الله سبحانه وتعالى راضٍ عن مسيرته وأن النبي ﷺ كذلك يرتضيه ويرتضيها، فقد روي عن أنس، قال: رَسُوْلُ اللهِ ﷺ دَعَا أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُقْرَأَكَ الْقُرْآنَ» فَقَالَ أُبَيُّ: يَا رَسُوْلَ اللهِ، سَمَانِي؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: فَجَعَلَ أُبَيُّ يَبْكِي! (١)

وإذا أراد النبي ﷺ أن يخبر عن علم لا يحمله إلا المستقيمون على منهاجه كان يستدعي أبا، فقد روي أن رَسُولَ اللهِ ﷺ نادى أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ وَهُوَ يُصَلِّي - فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ لِحَقِّهِ - فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى يَدِهِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ. فَقَالَ: «إِنِّي لَا رَجُو أَنْ لَا تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى تَعْلَمَ سُورَةَ؟ مَا أُنَزِلَ فِي التَّوْرَةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا»، فَقَالَ أُبَيُّ: فَجَعَلْتُ أُبْطِي فِي الْمَشْيِ، رَجَاءَ ذَلِكَ. ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، السُّورَةَ الَّتِي وَعَدْتَنِي؟

قال: «كَيْفَ تَقْرَأُ إِذَا افْتَتَحْتَ الصَّلَاةَ؟» قال: فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

(١) بن أبي شيبه؛ أبو بكر: مصنف ابن أبي شيبه ٦/٣٩٣ ومسند أحمد ٢١/١١٦



العَالَمِينَ ﴿ حَتَّى آتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هِيَ هَذِهِ السُّورَةُ. وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، الَّذِي أُعْطِيتُ». (١)

وهكذا الحال عندما أراد أن ينبهه إلى عظمة آية الكرسي وما فيها، فقد روي عنه أنه قال: «قال رسول الله ﷺ: يا أبا المنذر، أي آية في كتاب الله أعظم؟ قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، قال: فضرب في صدري، ثم قال: ليهنك العلم، والذي نفس محمد بيده، ان لهذه الآية لساناً وشفعتين، يقدر الملك لله عند ساق العرش». (٢)

ولم يكن هذا ناشئاً من فراغ بل كان لتوقير أبي رسول الله ﷺ، واحترامه الكبير إياه، وكثرة صلواته على النبي محبة له، كان لذلك الدور الأساس، بل نراه يعرف أن لهذه الصلاة ثواباً عظيماً ويريد أن يجعل ذلك الثواب لرسول الله!! فانظر إلى هذه المحبة! وانظر إلى قول بعضهم بالنسبة لرسول الله أنه ليهجر -والعياذ بالله- أو أن قرباه ونسبه لا ينفع في شيء وأمثال ذلك!

فقد روي عن الطَّفِيلِ بْنِ أَبِي بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِي بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَكْثَرُ الصَّلَاةِ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: «مَا شِئْتَ». قُلْتُ: الرَّبْعَ. قَالَ: «مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ».

قُلْتُ: الثُّلُثَ. قَالَ: «مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ».

قُلْتُ: النُّصْفَ.

(١) بن أنس؛ مالك: موطأ مالك ت عبد الباقي ٨٣/١

(٢) النوري في مستدرک الوسائل عن الشيخ الطبرسي في مجمع البيان، ومصنف عبد الرزاق الصنعاني

قال: «ما شئت، وإن زدت فهو خير لك».

قلت: الثالثين.

قال: «ما شئت، وإن زدت فهو خير لك».

قلت: أجعل صلاتي كلها.

قال: «تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ ذَنْبُكَ!!»

الله أكبر! أي محبة هذه هي التي تسوقه إلى أن يشغل وقته بالصلاة على النبي محمد، ثم يجعل أجر تلك الصلوات كاملة لرسول الله نفسه!

وكما كان يختصه في أمور القرآن وآياته فقد كان كذلك حتى بالنسبة لبعض الأمور العسكرية، كما نقل أنه عندما أرسل أبو سفيان لرسول الله ﷺ قبل غزوة الخندق رسالة جاء فيها:

«باسمك اللهم، فإني أحلف باللات والعزى، لقد سرت إليك في جمعنا، وإننا نريد ألا نعود إليك أبداً حتى نستأصلك، فرأيتك قد كرهت لِقَاءَنَا، وجعلت مضايق وخنادق، فليت شعري من علمك هذا؟ فإن ترجع عنكم فلكم منا يوم كيوم أحد، تُبْقَرُ فِيهِ النِّسَاءُ..» وبعث بالكتاب مع أبي أسامة الجشمي، فلما أتى بالكتاب دعا رسول الله ﷺ أبا بن كعب، فدخل معه قبته، فقرأ عليه أبي كتاب أبي سفيان. وأخفاه النبي عن غيره لئلا ينتشر في المسلمين ويحدث أثراً سلبياً فيهم!

ولاختصاصه بالنبي ﷺ فقد أخذ عنه القراءة الصحيحة لآيات القرآن، وهي التي كان يقرأ بها أهل البيت ﷺ كما في الخبر عن عبد الله بن فرقد والمعلی بن خنيس قالوا: كنا عند أبي عبد الله -الإمام جعفر الصادق- ﷺ ومعنا ربيعة الرأي فذكرنا فضل القرآن فقال أبو عبد الله ﷺ: إن كان ابن مسعود لا يقرأ على قراءتنا فهو ضال،



فقال ربيعة: ضالٌّ؟ فقال: نعم ضال، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: أما نحن فنقرأ على قراءة أبي. ^(١)

بل أخذ كفيات العبادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يختلف في بعض تفاصيله عما هو موجود لدى بعض مذاهب مدرسة الخلفاء ففيما اختلفت اختلافاً شديداً آراؤهم فيها، ^(٢) ذهبت مدرسة أهل البيت عليهم السلام إلى أنها ركعتان في كل ركعة خمس ركوعات، ^(٣) وهو ما رواه أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم (أنه ركع خمس ركوعات ثم سجد سجدين وفعل في الثانية مثل ذلك) ومثله روي عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم ونقله علماء الإمامية عن أئمة أهل البيت.

وكان لأبي من الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجعله يستقبل بالتصديق أحاديثه في حق أهل بيته بالقبول، وإن كان يستوضح ويستفهم منه، ومن ذلك ما نقل عن سماعه النبي يصف سبطه الحسين بأنه زين السماوات والأرض، ولما استفهم منه

(١) الكليني: الكافي ٢/ ٦٣٤

(٢) القرطبي، محمد بن رشد: بداية المجتهد ١/ ٤٥٧: في صلاة الكسوف: اختلفوا في صفتها وفي صفة القراءة فيها وفي الأوقات التي تجوز فيها وهل من شروطها الخطبة أم لا؟ وهل كسوف القمر في ذلك ككسوف الشمس فيها؟ ثم قال: ذهب مالك والشافعي وجمهور أهل الحجاز وأحمد أن صلاة الكسوف ركعتان؛ في كل ركعة ركوعان.. وذهب أبو حنيفة والكوفيون إلى أن صلاة الكسوف ركعتان على هيئة صلاة العيد والجمعة.. إلى أن يقول: وقال أبو عمر: وقد روي في صلاة الكسوف عشر ركعات في ركعتين وثمان ركعات في ركعتين وست ركعات في ركعتين وأربع ركعات في ركعتين لكن من طرق ضعيفة..

(٣) الخوئي؛ أبو القاسم: منهاج الصالحين ١/ ١٩٧: صلاة الآيات ركعتان، في كل واحدة خمسة ركوعات ينتصب بعد كل واحد منها، وسجدتان بعد الانتصاب من الركوع الخامس، ويتشهد بعدهما ثم يسلم، وتفصيل ذلك أن يحرم مقارنا للنية كما في سائر الصلوات. ثم يقرأ الحمد وسورة. ثم يركع، ثم يرفع رأسه منتصباً يقرأ الحمد وسورة، ثم يركع، وهكذا حتى يتم خمسة ركوعات، ثم ينتصب بعد الركوع الخامس، ويهوي إلى السجود، فيسجد سجدين ثم يقوم ويصنع كما صنع أولاً، ثم يتشهد ويسلم.

أنه هل يوجد أحد غير النبي زين السماوات والأرض أفاض النبي في ذكر أوصاف الحسين عليه السلام.

ففي الخبر الإمام الجواد ينقله متسلسلاً عن آبائه المعصومين عليهم السلام - وهذه ميزة في هذا الخبر - عن الحسين بن علي أبي طالب عليه السلام قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده أبي بن كعب فقال لي رسول الله: مرحبا بك يا أبا عبد الله يا زين السماوات والأرضين! قال له أبي: وكيف يكون يا رسول الله زين السماوات والأرضين أحد غيرك؟ قال: يا أبي والذي بعثني بالحق نبياً إن الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الأرض وإنه لمكتوب عن يمين عرش الله تعالى: مصباح هدى وسفينة نجاة وإمام خير ويمن وعز وفخر وعلم وذخر...»^(١)

أبي بعد رسول الله ﷺ

مع عرض جبرئيل القرآن على النبي مرتين في السنة الحادية عشر، وإخبار النبي أياً أن رحيله قريب اسودت الدنيا في عينيه، إذ هو يتصور بقلق كيف سيكون مستقبل الرسالة وقد شممت قريش عن سواعدها لإعادة سنتها السابقة ولمنع الإمامة أن تأخذ موقعها، بعدما زعموا أن الخلافة والنبوة لا تجتمعان في بيت واحد! بل تعاقدوا كما روي عن أبي علي هذا الأمر.

وحصل المحذور وما كان يخشى، فإذا بقريش قد اختارت لنفسها كما قال أحدهم على رغم ارادة السماء وتوصيات النبي المصطفى ووصاياه في اتباع وصيه الذي كانوا يعلمون أن محله منها «محل القطب من الرحي ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير».

(١) الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ٦٢



ولأن أبياً كان قد أخذ كل ذلك عن رسول الله ﷺ فقد اعترض في المعترضين الذين قاموا في وجه الخليفة الأول وله كلمات تنقل في هذا منها قوله: «يا أبا بكر لا تجحد حقاً جعله الله لغيرك، ولا تكن أول من عصى رسول الله ﷺ في وصيته، وأول من صدف عن أمره، ورد الحق إلى أهله تسلم، ولا تتمادى في غيك تستندم، وبادر بالإجابة يخف وزرك، ولا تخصص بهذا الأمر الذي لم يجعله الله لك نفسك فتلقى وبال عملك، فعن قليل تفارق ما أنت فيه، وتصير إلى ربك، فيسألك عما جئت وما ربك بظلام للعبيد»^(١).

ولم يكتف بذلك بل كان يستفيد من الفرص المتاحة لبيان أحقية أمير المؤمنين ﷺ في خلافة النبي وإمامة الناس فقد نقل صاحب الاحتجاج أنه خطب في الناس في شهر رمضان -ويظهر أنها في نفس السنة التي قبض فيها رسول الله ﷺ- فقال: يا معشر المهاجرين الذين هاجروا واتبعوا مرضات الرحمن وأثنى الله عليهم في القرآن، ويا معشر الأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان وأثنى الله عليهم في القرآن، تناسيتم أم نسيتم، أم بدلتم، أم غيرتم، أم خذلتهم، أم عجزتم؟ أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قام فينا مقاماً أقام فيه علياً فقال: «من كنت مولاه فهذا مولاه يعني علياً ومن كنت نبيه فهذا أميره»؟ أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى طاعتك واجبة على من بعدي كطاعتي في حياتي غير أنه لا نبي بعدي»؟ أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «أوصيكم بأهل بيتي خيراً فقدّموهم ولا تقدّموهم، وأمروهم ولا تأمروا عليهم»؟ أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال «أهل بيتي منار الهدى، والدالون على الله»؟ أو لستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال لعلي ﷺ: «أنت الهادي لمن ضلّ»؟ أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «علي المحيي لستتي، ومعلم أمتي، والقائم بحجتي وخير من أخلف

(١) الطبرسي، أحمد بن علي: الاحتجاج / ١ / ١٦٣

من بعدي، وسيد أهل بيتي، وأحب الناس إلي طاعته كطاعتي على أمتي؟ أستم تعلمون أنه لم يولّ عليّ عليّ أحداً منكم وولاه في كل غيبته عليكم؟ أستم تعلمون أنه كان منزلهما في أسفارهما واحداً وارتحالهما واحداً؟ أستم تعلمون أنه قال: «إذا غبت فخلفت عليكم علياً فقد خلفت فيكم رجلاً كنفسي...»^(١) والخطاب طويل أخذنا منه هذا المقدار.

لقد حصل ما حصل ورأى أمير المؤمنين ﷺ وخلص أصحاب رسول الله ﷺ أن «الصبر على هاتى أحجى فصبر وفي العين قذى وفي الحلق شجى يرى تراثه نهبا»، حتى إذا جاء من بعده وجاء الخبط والشماس والتلون والاعتراض والاجتهاد غير المنضبط في الأحكام فكان عليّ أمير المؤمنين ﷺ والخلص من تلامذة النبي ﷺ أن يقوموا الاعوجاج ما استطاعوا وأن يرفعوا الإشكال مهما قدروا، وكان لأبي بن كعب في هذا نصيب واضح، فعندما أراد الخليفة الثاني أن يوزع أموال الكعبة، رفض ذلك منه أبي بن كعب، وقال له: والله ما ذلك لك، لأن الله قد بين موضع كل مال وأقرّ رسول الله هذا المال في الكعبة على ما هو عليه، فانتهى الخليفة عن عزمه ذلك.^(٢)

ومثل ذلك ما كان في قضية المتعتين اللتين نهى عنهما الخليفة الثاني، فقد أعلن أبي بوضوح بأنهما كانتا أيام رسول الله ولم ينه عنهما فلا معنى لتغيير سنن النبي ﷺ.

فَعَنْ قَتَادَةَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ: «مُتَعَتَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْهَى

(١) المصدر نفسه ١٦٥، واليقين، للسيد ابن طاووس ص ٤٧٩

(٢) الصنعاني؛ عبد الرزاق؛ مصنف عبد الرزاق ٥/ ٨٨: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: لَوْ أَخَذْنَا مَا فِي هَذَا الْبَيْتِ يَعْنِي الْكَعْبَةَ فَفَسَمْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ أَبِي بْنُ كَعْبٍ: «وَاللَّهِ مَا ذَلِكَ لَكَ» قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: «لَأَنَّ اللَّهَ قَدْ بَيَّنَّ مَوْضِعَ كُلِّ مَالٍ، وَأَقْرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» قَالَ: صَدَقْتُ



عَنْهُمَا، وَأَعاقِبُ عَلَيْهِمَا، أَثْبَتُوا نِكَاحَ هَذِهِ النِّسَاءِ، وَاللَّهِ لَا أُوتَيْنَ بِرَجُلٍ يَتَزَوَّجُ امْرَأَةً إِلَى أَجْلِ مُسَمًى إِلَّا غَيَّبْتُهُ بِالْحِجَارَةِ، وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ!

فَقَالَ لَهُ أَبِي بْنُ كَعْبٍ: مَا لَكَ ذَاكَ، لَقَدْ تَمَتَّعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَمَتَّعْنَا مَعَهُمْ، تُؤَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَنْهَ عَنْ ذَلِكَ! (١)

هل صلى بهم صلاة التراويح؟

تكاد مصادر مدرسة الخلفاء تجتمع على أن أياً قد عين من جهة الخليفة الثاني ليكون إماماً يؤم الناس في نوافل شهر رمضان! (٢)

ولا ريب أن أبي بن كعب كان محل احترام من جهة الخلافة، لمكانته العلمية فهو يعد سيد القراء كما ذكرنا، وقراء القرآن في ذلك الوقت أشبه بموقع المجتهدين في هذا الزمان، لديهم معارف واسعة بالإسلام، فلا نستغرب من الخليفة أن يطلب منه ذلك ويكلفه به، إلا أن موضع الغرابة هو أنه يصلي بهم إماماً في النوافل! مع أن الجماعة في النوافل على ما هو الصحيح من الدين ومنهج أهل البيت ﷺ غير مشروعة.

(١) المناسك لابن أبي عروبة ١/ ٨٤ وقد علق في الكتاب بقوله: واللَّهِ مَا نَهَى عَنْهَا عُمَرُ، لَقَدْ أَرَادَ ذَلِكَ لَكِن هَذَا التعليق غير صحيح إذ نهى عمر عن المتعتين من القضايا التاريخية التي قد تصل إلى حد التواتر. نعم ربما وجه ذلك بأن نهيه عن متعة النساء كان مشدداً وكان يعاقب عليه وأما نهيه عن متعة الحج فكان على المستوى النظري لا العملي.

(٢) البخاري؛ محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري ٣/ ٤٥.. عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْقَارِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ، يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلَاتِهِ الرَّهْطُ، فَقَالَ عُمَرُ: «إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلَاءِ عَلَى قَارِيٍّ وَاحِدٍ، لَكَانَ أَمْثَلٌ» ثُمَّ عَزَمَ، فَجَمَعَهُمْ عَلَى أَبِي بْنِ كَعْبٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ قَارِيَّتِهِمْ، قَالَ عُمَرُ: «نِعْمَ الْبِدْعَةُ هَذِهِ، وَالَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي يَقُومُونَ» يَرِيدُ آخِرَ اللَّيْلِ وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ..

فلم يعهد من رسول الله ﷺ أنه صلى بالناس النافلة جماعة، ولا أنه أشار إلى مشروعيتها وهذا يعرفه حتى أتباع مدرسة الخلفاء، وقد أقر به الخليفة عمر حينما وصفه بأنه (بدعة) لكن رآها بدعة حسنة ولا نعلم كيف يجتمع الابتداع في الدين مع وصف الحسن؟

ونرى في منهج أهل البيت ﷺ أن هذا النحو من الصلاة غير مشروع، وأنها بدعة والبدعة لا تكون من الدين، وهنا يثار السؤال: كيف قام أبي بن كعب بهذه المهمة وقبلها من الخليفة؟

وفي الاجابة عن ذلك يمكن تقديم الأمور التالية:

١. ما رآه بعضهم من أن أبي بن كعب لم يكن راغباً في ذلك وكأنه كان يرى عدم مشروعيتها لكنه لما رأى الأمر جزءاً من الخليفة ولا مجال للتملص منه استجاب، وقد يستفاد هذا مما ذكر من «أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ أمره أن يصليَّ بالليل في رمضان، فقال: إنَّ الناسَ يصومونَ النهارَ، ولا يحسنونَ أن يقرأوا، فلو قرأت عليهم بالليل، فقال: يا أميرَ المؤمنينَ هذا شيءٌ لم يكن، فقال: قد علمتُ، ولكنه حسنٌ! فصلَّى بهم عشرينَ ركعةً» وكان أبيُّ لا يرغبُ في المشاركة مع الناسِ في العشرِ الأواخرِ من شهرِ رمضانَ، وكان يفرُّ بنفسه من أجلِ الخلوةِ مع الله، والتنفلِ في بيته، عودةً منه إلى سُنَّةِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وكان يتعرَّضُ إلى الانتقاد الشديد من قبل أنصار «الترايح»؛ حتَّى أنَّهم نعتوه بـ «الآبق»، تشبيهاً له بالعبدِ الهارب^(١).. ولعلَّ تخلفَ أبي كان تأسياً برسولِ اللهِ^(٢) ﷺ.

(١) الباقرى، الشيخ جعفر: صلاة التراويح، سنة مشروعة أو بدعة محدثة؟ ٤٦

(٢) الطوسى، محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام ٣/٦٩: بسند معتبر صحيحة الفضلاء زارة وابن مسلم والفضيل عن الباقرين ﷺ قالوا: سألتاهما عن الصلاة في رمضان نافلة بالليل جماعة فقالا: ان



٢. هناك احتمال آخر وهو أن عدم مشروعية النوافل جماعة لم تكن واضحة بهذا النحو الذي هي عليه الآن في مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومن تأثر بها، نعم ربما كان هناك كراهة لها من حيث أنها لم تكن معهودة أيام رسول الله صلى الله عليه وآله، ومع حديث أمير المؤمنين علي عليه السلام ونهيه عنها ثم كلمات أولاده الأئمة عليهم السلام اتضح أن تلك غير مشروعة أصلاً لا أنها مجرد كراهة. ولعل إحدى جهاتها أن النوافل أصل تشريعها هو لمزيد من التطوع والتكلف في القراءة والتسييح والأفعال، بينما الجماعة من مقوماتها هو سقوط القراءة عن المأموم وتكلف الإمام بها، فكأنَّ المعنيين متخالفان، هذه يقوم أساس تشريعها على مزيد من التكلف والتطوع، والجماعة يقوم أساس تشريعها على إسقاط القراءة عن المأموم.. فكيف يجتمعان في جماعة النوافل!؟

٣. على أننا يمكن لنا أن نشكك في كثير من روايات قيامه بهذا، بعدما ثبت أن أنصار التراويح والنوافل جماعة قد نسبوا إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام قيامه بها، مع أن المعلوم من مذهبه ومذهب ابنائه وأتباعهم محاربتة لها ونهيه عنها «فإنه عليه السلام قد جدَّ لأن يمحو تلك البدعة الحسنة (صلاة التراويح) التي سنَّت من قبل عمر، لكنَّ الجند صاحوا: وا سنَّة عمراه، وا سنَّة عمراه، وقد جاء

النبوي صلى الله عليه وآله كان إذا صلى العشاء الآخرة انصرف إلى منزله، ثم يخرج من آخر الليل إلى المسجد فيقوم فيصلي، فخرج في أول ليلة من شهر رمضان ليصلي كما كان يصلي فاصطف الناس خلفه فهرب منهم إلى بيته وتركهم ففعلوا ذلك ثلاث ليال فقام في اليوم الرابع على منبره فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أيها الناس إن الصلاة بالليل في شهر رمضان النافلة في جماعة بدعة، وصلاة الضحى بدعة ألا فلا تجتمعوا ليلا في شهر رمضان لصلاة الليل ولا تصلوا صلاة الضحى فان ذلك معصية، الا وإن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها إلى النار) ثم نزل وهو يقول: (قليل في سنة خير من كثير في بدعة). ويلاحظ أن نفس هذه الرواية موجودة في مصادر مدرسة الخلفاء لكنها ناقصة ومنقولة إلى القول بأنه فاصطف الناس خلفه فهرب منهم إلى بيته وتركهم.. ثم لا ينقل باقي الرواية.. فراجع صحيح البخاري

في كلام له يشير إلى ذلك، فقال: قد عملت الولاية قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله، متعمدين لخلافه، ناقضين لعهد، مغيرين لسنّته، ولو حملت الناس على تركها، وحوّلتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله ﷺ لتفرّق عني جندي حتى أبقى وحدي، أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة رسول الله». (١)

هل توفي في أيام خلافة عمر أو عثمان؟

تختلف أقوال المؤرخين (٢) في تاريخ وفاة أبي بن كعب، بعد أن تجمع على أنه لم يدرك أيام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وخلافته الظاهرية..

(١) الشهرستاني، السيد علي: وضوء النبي ص ١٤٤

(٢) أشار إليه أغلب من تعرض لسنة وفاته، وقد جمع الذهبي بعض أطرافه في سير أعلام النبلاء، ج ١، الذهبي، ص ٥٦٨ بقوله: « قال محمد بن عمر الواقدي: تدل أحاديث على وفاة أبي بن كعب في خلافة عمر. ورأيت أهله وغيرهم يقولون: مات في سنة ثنتين وعشرين بالمدينة، وأن عمر قال: اليوم مات سيد المسلمين.

قال: وقد سمعنا من يقول: مات في خلافة عثمان سنة ثلاثين. قال: وهو أثبت الأقاويل عندنا، وذلك أن عثمان أمره أن يجمع القرآن.

وقال محمد بن سعد: حدثنا عارم، حدثنا حماد، عن أيوب، عن ابن سيرين أن عثمان جمع اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار فيهم أبي بن كعب، وزيد بن ثابت في جمع القرآن.

قلت: هذا إسناد قوي، لكنه مرسل. وما أحسب أن عثمان ندب للمصحف أبيًا، ولو كان كذلك، لاشتهر، وكان الذكر لأبي لا لزيد، والظاهر وفاة أبي في زمن عمر حتى إن الهيثم بن عدي وغيره ذكروا موته سنة تسع عشرة.

وقال محمد بن عبد الله بن نمير، وأبو عبيد، وأبو عمر الضرير: مات سنة اثنتين وعشرين، فالنفس إلى هذا أميل، وأما خليفة بن خياط، وأبو حفص الفلاس فقالا: مات في خلافة عثمان. وقال خليفة مرة: مات سنة اثنتين وثلاثين.



ويجمع الأقوال أن بعضها تقول إنه توفي في سنة ٢٠ هـ أيام الخليفة الثاني بينما تذهب أقوال آخر إلى أنه كان في زمان الخليفة الثالث وأنه بقي إلى سنة ٣٠ هـ.

والظاهر أن الرأي القائل بأنه بقي إلى زمان عثمان وأنه توفي فيه هو الراجح، وما ذكره بعضهم كالذهبي من أنه لو بقي لكان عثمان ينتدبه للمصحف ولو انتدبه لاشتهر، فيه تغافل عن أن موقف عثمان من أبي وبالعكس لم يكن حسناً وبالتالي فلم يكن محتملاً أن ينتدبه - كما لم ينتدب غيره كابن مسعود - لذلك وانتدب زيد بن ثابت مع الفرق الكبير بينهما وبين زيد، ورد الذهبي على كلام الواقدي الذي قال بأن أبياً توفي في سنة ٣٠ هـ وأن عثمان انتدبه للمصحف، رده بأنه لو كان لاشتهر هو كلام صحيح فإن موقع أبي من القرآن ليس هامشياً بل هو سيد القراء والمتقدم عليهم لكن عدم انتدابه لا لأجل أنه قد توفي وإنما لأن موقف عثمان منه كموقفه من عثمان كان سلبياً!

هذا بالرغم من أن أبياً لم يكن يتظاهر ويعلمن موقفه السلبي من الخليفة عثمان لا سيما وأن تجاوزات الخليفة لم تبلغ حدها الأعلى كما في السنوات الأخيرة من حكمته ما جر عليه ثورة أهل الكوفة ومصر وانتهت بمقتله، لكن رأيه فيه كان سلبياً والشاهد على ذلك؛ ما ذكره الشيخ التستري في شرح النهج من: «أن رجلاً جاء إلى أبي بن كعب، فقال: يا أبا المنذر ألا تخبرني عن عثمان ما قولك فيه فأمسك عنه. فقال الرجل: جزاكم الله شراً يا أصحاب محمد شهدتم الوحي وعايتموه، ثم نسألکم التفقه في الدين فلا تعلمونا. فقال أبي: عند ذلك هلك أصحاب العقدة^(١) ورب

(١) مما يلحظ في بعض مصادر مدرسة الخلفاء أن الحديث أحياناً يقطع ويوضع في غير سياقه ويكتم تفسيره لما يسبب من حرج للأصول الاعتقادية عندهم.. فمن هم مثلاً أهل العقدة؟ وقد أغفل ذكرهم في الحديث الذي سيأتي نقله عن مصادرهم بينما موقعه هناك بينما ورد ذكرهم في حديث آخر في غير سياقه كما نقله أبو داود الطيالسي في مسنده ١/ ٤٥٠: «هَلَكَ أَهْلُ الْعُقَدَةِ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ قَالَهَا ثَلَاثًا هَلَكُوا وَأَهْلَكُوا، أَمَا إِنِّي لَا أَسَى عَلَيْهِمْ وَلَكِنِّي أَسَى عَلَى مَنْ يُهْلِكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَإِذَا الرَّجُلُ أَبُو بَنُ

الكعبة، أما والله ما عليهم آسى ولكن آسى على من أهلكوا، أما والله لئن أبقاني الله إلى يوم الجمعة، لأقومنّ مقاماً أتكلّم فيه بما أعلم، قُتلت أو استحييت. فمات (رحمه الله) يوم الخميس»^(١).

وقد تساءل بعض الباحثين^(٢) عن أنه هل كان موته قبل الجمعة من باب المصادفة أو أنه كان بسبب أصحاب العقدة الذين خافوا من الانكشاف؟

كَعْبٌ.. وفسره أبو داود الطيالسي بما لا معنى له، وهو قوله: قال أبو داود: أهل العُقْدَةِ ما أهرأقَ عَلَيْهِ الدَّمَاءُ وَاغْتَصَبَهُ ثُمَّ اعْتَقَدَهُ!! بينما فسره غيره بأنهم الأمراء!! كما في سنن النسائي واستقروا على هذا الرأي حتى لا يخرجوا في طلب التفسير أكثر من هذا؟

(١) التستري، الشيخ محمد تقي: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ١٨/٣، والطريف ان هذا الخبر قد نقله مصادر مدرسة الخلفاء (منزوع الدسم!!) فلم يذكر فيه عماداً سأل ذلك السائل؟ ولماذا تردد أبيّ في إخباره بالجواب؟ فهل كان يسأله عن غسل الجنابة؟ أو عن اعراب آية؟ أو عن سيرة النبي؟ إن كل ذلك لا يخشى من القول فيه بالصراحة! ولكن عندما تصل القضية إلى الرأي الصريح في الخليفة.. هنا يحتاج إلى أن يقول لئن بقيت إلى الجمعة لأقولن قولاً لا يبالى معه إن بقي أو قتل! فانظر إلى الذهبي في سير أعلام النبلاء ١/٥٦٧ وتذهيب التهذيب وتهذيب الكمال نفسه كذلك، كيف نقل الخبر بهذه الصيغة: عوف: عن الحسن، عن عتي بن ضمرة، قلت لأبي بن كعب: ما شأنكم يا أصحاب رسول الله ﷺ نأتىكم من الغربة نرجو عندكم الخير فتهاونون بنا؟ قال: والله لئن عشت إلى هذه الجمعة لأقولن قولاً لا أباي استحيتموني أو قتلتهموني، فلما كان يوم الجمعة، خرجت، فإذا أهل المدينة يمجون في سكرها، فقلت: ما الخبر؟ قالوا: مات سيد المسلمين أبي بن كعب.. ومثل ذلك في تاريخ دمشق لابن عساكر ٧/٣٤٠. وربما والله اعلم كان مثل هذا الحديث وهذا الموقف من دوافع بعضهم لتبني الرأي القائل بأن أبيّ بن كعب قد توفي في زمان الخليفة عمر وأنه لم يدرك خلافة عثمان..

(٢) العسكري؛ السيد مرتضى: القرآن الكريم وروايات المدرستين ١/١٩٢ قال: لست أدري: هل اغتيل أبيّ بن كعب من قبل أهل العقدة كي لا يفشي سرهم؟!



زَيْدُ بْنُ أَرْقَمِ الْخَزْرَجِيِّ الْأَنْصَارِيِّ

«من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين» الفضل بن شاذان

بعد غزوة بني المصطلق (المريسيع) والتي هزم فيها المعتدون الذين كانوا يتهيأون لغزو المدينة، حدث بين بعض المهاجرين وبعض الأنصار تنازع كاد يهدد وحدة المجتمع المسلم، لولا حكمة رسول الله ﷺ، وكان المنافقون يستعدون لاستثمار ذلك النزاع لتحويله لحرب داخلية.

وذلك أنهم قد أقبلوا على بئر ماء يستقون منه، وفي هذه الأثناء وكما يحصل عادة من التشاح والتنافس فقد تنازع جهجاه بن مسعود الغفاري

وعندما سمع النبي ﷺ بذلك حذرهم من دعوى الجاهلية تلك! وتعجل في المسير عائداً إلى المدينة على غير ما كان قد خطط له.

وقد حاول عبد الله بن أبي، زعيم المنافقين أن يستثمر هذه الحالة ويستثير في أهل المدينة عصبيتهم على أولئك «الغرباء الوافدين» الذين زاحموهم في أمور حياتهم، فقال: لقد نافرنا وكاثرونا في بلدنا، وأنكروا امتنا، والله ما صرنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: «سَمَّنْ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ»، والله لئن رجعنا إلى المدينة

ليخرجن الأعز منها الأذل..

وكان زيد بن أرقم في ذلك الوقت صغير السن فلم يشهد المعارك الأولى لرسول الله ﷺ، لكنه كان ذا أذن واعية وقلب حفيظ، فلما سمع ما قاله عبد الله بن أبي كبرت عليه تلك الكلمات، وقام إلى رسول الله ﷺ، فأخبره الخبر بتمامه.

«فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبْرَهُ وَتَغَيَّرَ وَجْهَهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا غُلَامُ، لَعَلَّكَ غَضِبْتَ عَلَيْهِ! قَالَ: لَا وَاللَّهِ، لَقَدْ سَمِعْتَهُ مِنْهُ. قَالَ: لَعَلَّهُ أَخْطَأَ سَمْعُكَ! قَالَ: لَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ! قَالَ: لَعَلَّهُ شَبَّهَ عَلَيْكَ! قَالَ: لَا وَاللَّهِ، لَقَدْ سَمِعْتَهُ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَشَاعَ فِي الْعَسْكَرِ مَا قَالَ ابْنُ أَبِي، وَلَيْسَ لِلنَّاسِ حَدِيثٌ إِلَّا مَا قَالَ ابْنُ أَبِي، وَجَعَلَ الرَّهْطُ مِنَ الْأَنْصَارِ يُؤَنَّبُونَ الْغُلَامَ وَيَقُولُونَ: عَمَدْتَ إِلَى سَيِّدِ قَوْمِكَ تَقُولُ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَقُلْ، وَقَدْ ظَلَمْتَ وَقَطَعْتَ الرَّحِمَ!

فَقَالَ زَيْدٌ: وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْهُ! قَالَ: وَوَاللَّهِ، مَا كَانَ فِي الْخَزَرَجِ رَجُلٌ وَاحِدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي، وَاللَّهِ، لَوْ سَمِعْتُ هَذِهِ الْمَقَالَةَ مِنْ أَبِي لَنَقَلْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُنَزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ حَتَّى يَعْلَمُوا أَنَا كاذِبٌ أَمْ غَيْرِي، أَوْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَصْدِيقَ قَوْلِي.

وَجَعَلَ زَيْدٌ يَقُولُ: اللَّهُمَّ، أَنْزِلْ عَلَى نَبِيِّكَ مَا يُصَدِّقُ حَدِيثِي! (١)

كان ذلك أول عهده بالمواجهة مع المنافقين والخطوط المنحرفة، وما لبث أن تكشفت خيوط مؤامرتهم حينما نزل القرآن يفضحهم في سورة كاملة، تعرض فيها لكلامهم ومواقفهم، وكأنها كانت شهادة لزيد بصدق حديثه: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ



الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ
وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾.

وزيد بن أرقم الذي كان يتيماً وتربى في حجر عبد الله بن رواحة الأنصاري، وإن لم يشهد الغزوات الأولى ولكنه شارك في غزوات النبي ﷺ التالية، وناصره في سبع عشرة غزوة ومعركة، كان منها غزوة مؤتة (٨ هـ) حيث كان لا يزال في أوليات شبابه، حيث كان عمره دون العشرين، وكان عبد الله بن رواحة زوج والدته، فخرج به معه إلى مؤتة يحمله على حقيبة رحله، فسمعه زيد بن أرقم من الليل وهو يتمثل أبياته التي يقول فيها:

إذا أدنيتني وحملت رحلي مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فأنعمي وخلاك ذم ولا أرجع إلى أهلي ورائي
وجاء المؤمنون وغادروني بأرض الشام مشتهر الثواء

فبكى زيد بن أرقم، فخفقه عبد الله بن رواحة بالدرّة، وَقَالَ: ما عليك يا لكع أن يرزقني الله الشهادة وترجع بين شعبي الرحل؟^(٢)

وكان منها غزوة تبوك (٩ هـ) حيث نقل بمناسبتها ما دار بين رسول الله ﷺ وبين علي بن أبي طالب من حوار يرد إرجاف المرجفين حول سبب تأخر عليّ ﷺ في المدينة مع أنه معلوم البطولة والقوة ومكانه المعركة الفاصلة تلك! فعنه أنه قال: «لَمَّا كَانَ عِنْدَ غَزْوَةِ جَيْشِ الْعُسْرَةِ وَهِيَ تَبُوكُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: «إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ أُقِيمَ أَوْ تُقِيمَ»، فَخَلَّفَهُ، فَلَمَّا فَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَازِيًا، قَالَ نَاسٌ: مَا خَلَّفَ عَلِيًّا إِلَّا لِشَيْءٍ كَرِهَهُ مِنْهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا فَاتَّبَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى

(١) المنافقون: ٧-٨

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٣٩، ومعجم الصحابة للبلغوي ٣/ ٥٢٠.. وشعبتا الرحل: مقدمه ومؤخره.

انتهى إليه، فقال له: «ما جاء بك يا عليّ» قال: لا، يا رسول الله، إلا أنني سمعتُ ناساً يزعمون أنك إنما -خلفتني لشيءٍ كرهته مني، فتضاحك رسول الله ﷺ وقال: «يا عليّ، أما ترضى أن تكون مني كهارون من موسى، غير أنك لست بنبيّ» قال: بلى يا رسول الله، قال: «فإنه كذلك»^(١).

وكما كانت مشاركته في غزوات ومعارك رسول الله ﷺ، فقد كانت مشاركته مجالس رسول الله ومعرفته بأحاديثه كثيرة، و متميزة. ويلحظ منه تركيزه على تلك التي تتصل بإمامة أمير المؤمنين ﷺ ومنزلة أهل بيت النبي ﷺ ولا سيما أصحاب الكساء، ولأجل ذلك معرفته الواسعة تلك فقد عُد في نظر علماء مدرسة الخلفاء بأنه «معدود في خاصة أصحابه»^(٢)، وأما عند أتباع أهل البيت فهو «من السابقين الذين رجعوا إلى علي بن أبي طالب»^(٣).

ويتبين من خلال أحاديثه التي رواها توجهه الولائي وإيمانه بخط أمير المؤمنين ﷺ، فمما روى:

١. روايته المكررة لكون عليّ ﷺ هو أول من أسلم وأول من صلى مع رسول الله ﷺ، ويلاحظ أن هذه المسألة تستثير علماء مدرسة الخلفاء ويعارضونها بشدة، لأنهم يعتمدون عليها في تفضيل أبي بكر على من سواه، فإذا قال زيد بن أرقم خلاف ذلك فهو ينسف أحد الأسس التي يعتمدون عليها في التفضيل.

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى ٢٤/٣

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٥٣٦/٢ قال: شهد زيد بن الأرقم مع علي رضي الله عنه صفين، وهو معدود في خاصة أصحابه»

(٣) في اختيار معرفة الرجال للكتشي، والذي اختاره الشيخ الطوسي: «إن من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين ﷺ أبو الهيثم بن التيهان وأبو أيوب وخزيمة بن ثابت وجابر بن عبد الله وزيد بن أرقم...»



فعنه أنه كان يقول: «أَوَّلَ مَنْ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَلِيٌّ قَالَ عَمْرٌو: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِإِبْرَاهِيمَ، فَانْكَرَهُ، وَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ^(١)».

وتارة يتحدث عن ذلك بعنوان أنه أول من أسلم، ويلقى أيضاً نفس المعارضة فعنه أنه قال: «أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلِيٌّ فَذَكَرْتُهُ لِإِبْرَاهِيمَ، فَانْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ^(٢)».

٢. وكذلك يروي عن النبي ﷺ ما يحدد الموقف من أعداء علي ﷺ ومحاربيه وأنهم سيكونون حرباً على رسول الله ﷺ مهما كانت العناوين التي توضع لها، فعن صُبَيْحِ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ، وَفَاطِمَةَ، وَالْحَسَنَ، وَالْحُسَيْنَ ﷺ: «أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ، وَسَلَّمَ لِمَنْ سَالَمَكُمْ^(٣)».

٣. وقد سبق أن ذكرنا نقله لحديث المنزلة والذي فيه أن النبي ﷺ خاطب علياً ﷺ بأنه منه كهارون من موسى أو بمنزلته منه، وفي هذا الحديث معان كثيرة تستفاد من الآيات المباركة وقد تعرضنا لجانب منها عند الحديث عن شخصية أبي سعيد الخدري رضوان الله عليه.

٤. وأكد على أن النبي ﷺ قد سدَّ أبواب الصحابة الشارعة على مسجده، وأبقى باب أمير المؤمنين عليٍّ ﷺ، وبالرغم من اعتراض الأصحاب على ذلك، وفيهم من هو من قرابة النبي وذوي المنزلة العالية، لكن النبي أجابهم بصراحة ووضوح أن الأمر ليس اجتهاداً شخصياً ولا أمراً إدارياً وإنما هو أمر من الله سبحانه، فعن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ قَالَ: كَانَ لِنَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ

(١) مسند أحمد ٣٢/٥٨، ومسند ابن الجعد ١/٢٩

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٧/١٢

(٣) مسند ابن أبي شيبة ١/٣٥٥

الله ﷻ أبوابُ شارعَةٍ في المسجدِ. قال: فقالَ يوماً: «سُدُّوا هَذِهِ الأبوابَ، إلَّا بابَ عليٍّ» قال: فتكلَّم في ذلكِ النَّاسِ، قال: فقامَ رَسولُ اللهِ ﷺ، فحمدَ اللهُ تعالى، وأثنى عليه، ثمَّ قال: «أما بعدُ، فإنِّي أمرتُ بسدِّ هَذِهِ الأبوابِ، إلَّا بابَ عليٍّ وقالَ فيه قائلُكم، وإنِّي والله ما سدَدْتُ شيئاً ولا فتحتُهُ، ولكنِّي أمرتُ بشيءٍ فاتَّبَعْتُهُ»^(١) وكان ينبغي أن يفهم المسلمون أن القضية ليست مجرد فتح باب لتقريب المسافة إلى المسجد، وإنما هو مرتبط بطهارة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ومرتبطة بقضية عقائدية تقول للناس أغلقوا كل باب إلا باب علي لأنه يؤدي إلى سنة النبي وشريعته، ولا تفتحوا أبواباً منافسة لباب أمير المؤمنين وطريقته.. وهذا الأمر أمر إلهي. ويتكامل مع سائر الأحاديث مثل سلمك سلمي وحربك حربي.

٥. تسع خصال لأمر المؤمنين ﷺ يرويها زيد بن أرقم عن رسول الله ﷺ، فعن عطية، عن زيد بن أرقم قال رسول الله ﷺ لعلي ﷺ: أعطيت فيك يا عليُّ تسع خصال: ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة واثنتان لك وواحدة أخافها عليك، فأما الثلاثة التي في الدنيا فإنك وصيي وخليفتي في أهلي وقاضي ديني، وأما الثلاث التي في الآخرة فإني أعطى لواء الحمد فأجعله في يدك وآدم وذريته تحت لوائي، وتعيني على مفاتيح الجنة، وأحكمك في شفاعتي لمن أحببت، وأما اللتان لك فإنك لن ترجع بعدي كافراً ولا ضالاً، وأما التي أخافها عليك فغدره قريش بك بعدي يا علي»^(٢).

٦. كما روى حديث الثقلين؛ ونلاحظ اختياره له مع أنه لم يطلب منه هذا الحديث تحديداً وإنما طُلب منه أن يحدثهم عن النبي ﷺ، فاختر لهم حديث الثقلين،

(١) مسند أحمد مخرجا ٤٢/٣٢ ومثله في الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٤١٣

(٢) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٤٢٩



وهو الذي نلاحظ غيابه في قسم من كتابات مدرسة الخلفاء عنه، وإثبات بعضها إياه، وتذييل بعضها إياه بما لا ينسجم مع أوله مما يجعلنا نشكك في كون هذا الذيل مما قاله زيد؛ فعن زَيْدِ بْنِ حَيَّانَ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ، فَقَالَ حُصَيْنٌ: يَا زَيْدُ لَقَدْ لَقَيْتَ خَيْرًا كَثِيرًا رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ، وَغَزَوْتَ مَعَهُ، حَدَّثْنَا يَا زَيْدُ بِمَا سَمِعْتَ مِنْهُ، قَالَ زَيْدُ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُنَا بِمَاءٍ يُدْعَى حُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَّظَ، وَذَكَرَ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُهُ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَتَمَسَّكُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَخُذُوا بِهِ» - فَرَغَبَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَحَثَّ عَلَيْهِ - ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي. أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. (١)

ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي يتحدث فيها زيد عن حديث الثقلين، فإنه في حديث آخر يروي فيه الأعمش بطريقتين (عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَالْأَعْمَشِ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخِرِ: كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ. وَعِزَّتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ يَنْفَرَّ قَاتِيٌّ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَاَنْظُرُوا

(١) ابن أبي شيبة؛ أبو بكر: مسند ابن أبي شيبة ١/٣٥١ وفي ذيل الحديث، «فَقَالَ لَهُ زَيْدُ وَحُصَيْنٌ: مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: بَلَى إِنْ نِسَاءَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنَّ أَهْلَ بَيْتِهِ مَنْ حُرِّمَ الصَّدَقَةُ. قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: آلُ عَلِيٍّ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ الْعَبَّاسِ، قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِّمَ الصَّدَقَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ!» فإنه بعد أن نفى كون النساء من المقصودين بالحديث، جعل آل العباس وآل جعفر وآل علي هم المقصودين، ومن الواضح أن مقدمة الحديث التي تشير إلى أن النبي ترك ثقلين في الأمة تهتدي بهما أحدهما القرآن والآخر العترة لا يتواءم أبدا مع كون آل العباس وآل جعفر ينطبق عليهم هذا المعنى! ولم يدعه لا آل العباس ولا آل جعفر. وإنما أهل البيت يفسرهم ما جاء في حديث الكساء وهو محل اتفاق من الفريقين، وقد سبق ذكره في ترجمة أبي سعيد الخدري.

كَيْفَ تَخْلَفُونِي فِيهِمَا» (١).

٧. وكل الصيد في جوف الفراء، عندما يروي عن النبي ﷺ، أن من أراد الجنة فطريقها ولاية علي بن أبي طالب وذريته من بعده، ومفهومها واضح أن من أخطأ هذا الطريق فلا ينبغي أن يصل إلى الجنة، ولأجل هذا المضمون القوي فيه فقد ضعفه بعض علماء مدرسة الخلفاء وبعضهم حكم عليه بالضعف مع أن روايته في مستدرک الحاكم تقتضي أن يكون صحيحاً على شرط الصحيحين أو أحدهما لكنه بهذا المضمون محرر جداً لهذه المدرسة فلا طريق لهم إلا إسقاط الحديث عن زيد بن أرقم قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَحْيَا حَيَاتِي، وَيَمُوتَ مَوْتِي، وَيَسْكُنَ جَنَّةَ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَنِي رَبِّي، فَلْيَتَوَلَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنَّهُ لَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ هُدَى، وَلَنْ يُدْخِلَكُم فِي ضَلَالَةٍ» (٢).

وكذلك الحديث الآخر المروي عنه عن رسول الله ﷺ فهو نص في إمامة أمير المؤمنين ﷺ، ولذلك اضطر ابن أبي الحديد إلى تبرير موقفه وموقف المعتزلة القائلين بعدم النص عليه، بأن الإمام لم يرغب في الخلافة ولم ينازع دونها فسقط حقه!! الأمر الذي جعل العلامة التستري يناقشه بقوة في أنه أي طلب أكثر مما صنع الإمام؟

«عن زيد بن أرقم، قال: قال النبي ﷺ: أَلَا أَدَلِّكُمْ عَلَى مَا إِنْ تَسَالَمْتُمْ عَلَيْهِ لَمْ تَهْلِكُوا؟ إِنْ وَلِيَّكُمْ اللَّهُ، وَإِمَامَكُمْ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَنَاصِحُوهُ وَصَدِّقُوهُ، فَإِنَّ جِبْرَائِيلَ ﷺ أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ».

(١) الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي ت بشار ٦/١٣٣

(٢) الحاكم، أبو عبد الله: المستدرک على الصحيحين ٣/١٣٩ وعلق عليه بالقول: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ »



قال التستري: ومن المضحك! أن ابن أبي الحديد قال بعد نقله: إنه نص صريح في الإمامة، إلا أنا معتزلة بغداد نقول: إن الإمامة كانت لعليؑ إن رغب فيها ونازع عليها، لكنه لم ينازع الثلاثة.

فهل كان فوق منازعته يوم السقيفة حتى أرادوا إحراقه وإحراق أهل بيته (فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام) وحتى أرادوا ضرب عنقه؟^(١)

٨. هل أنكر زيد بن أرقم حديث الغدير ولم يعلنه وأنه عمي بسبب ذلك؟

الكثير ممن تعرض لحياة زيد بن أرقم يثبت أنه عمي بسبب كتمانته الشهادة لأمير المؤمنين بحديث الغدير عندما استنشده وجماعة ويقولون: إن أمير المؤمنينؑ قد استشهد من كان حاضراً في رحبة مسجد الكوفة بعد خلافته الظاهرية إذا كان قد سمع حديث الغدير من رسول الله ﷺ فليشهد، وكان في الحاضرين زيد بن أرقم فلم يشهد، وكذلك فعل أنس بن مالك، فكان ان دعا الإمام على كل من رفض إن كان غير صادق أن تصيبه نقمة من الله تعالى في بدنه، وهذا الذي حصل مع زيد بن أرقم حيث عمي بصره. وقد ذكر ذلك الشيخ المفيد، عن أبي إسرائيل، عن الحكم بن أبي سلمان المؤذن عن زيد بن أرقم، قال: نشد عليؑ الناس في المسجد فقال: أنشد الله رجلاً سمع النبي ﷺ، يقول: (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) فقام اثنا عشر بديراً ستة من الجانب الأيمن، وستة من الجانب الأيسر فشهدوا بذلك، فقال زيد بن أرقم، وكنت أنا في من سمع ذلك فكتمته فذهب الله ببصري، وكان يندم على ما فاته من الشهادة..^(٢)

كما نقل الشيخ الطبرسي في الاحتجاج، الحادثة بنحو آخر تحت عنوان: «ذكر

(١) التستري، الشيخ محمد تقي: قاموس الرجال ٤ / ٥٣١

(٢) المفيد: الارشاد ١ / ٣٥٢

طرف مما جرى بعد وفاة رسول الله ﷺ من اللجاج والحجاج في أمر الخلافة من قبل من استحقها ومن لم يستحق، والإشارة إلى شيء من إنكار من أنكر على من تأمر على علي بن أبي طالب ﷺ تأمره وكيد من كاده من قبل ومن بعد، عن أبي المفضل محمد بن عبد الله الشيباني بإسناده الصحيح عن رجال ثقة.. ونقل حديثاً طويلاً من أيام حياة النبي إلى قضية جيش أسامة ثم إلى مجريات السقيفة والنقاش الذي دار فيها، إلى أن وصل إلى قوله: يحذف وقالت جماعة من الأنصار: يا أبا الحسن لو كان هذا الأمر سمعته منك الأنصار قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف فيك اثنان، فقال علي ﷺ: يا هؤلاء كنت أدع رسول الله مسجى لا أواريه وأخرج أنازع في سلطانه؟ والله ما خفت أحداً يسموه له وينازعنا أهل البيت فيه ويستحل ما استحلتتموه، ولا علمت أن رسول الله ﷺ ترك يوم غدير خم لأحد حجةً ولا لقائل مقالاً، فأنشد الله رجلاً سمع النبي يوم غدير خم يقول: «من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» أن يشهد الآن بما سمع.

قال زيد بن أرقم: فشهد اثنا عشر رجلاً بدرياً بذلك وكنت ممن سمع القول من رسول الله ﷺ فكتمت الشهادة يومئذ، فدعا علي بن أبي طالب فذهب بصري.

قال: وكثر الكلام في هذا المعنى وارتفع الصوت وخشي عمر أن يصغي الناس إلى قول علي ﷺ..^(١)

وقد يكون مصدر الرواية الأولى المنقولة عن إرشاد الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) هو مسند أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) حيث ذكر الحديث بنفس السند^(٢) إلى قوله

(١) الطبرسي: الاحتجاج ١ / ١٠٧

(٢) وصف السند بأنه إسناد ضعيف، أبو إسرائيل - وهو إسماعيل بن خليفة الملائتي - ليس بذاك القوي، وأبو سلمان - وهو يزيد بن عبد الله مؤذن الحجاج - جهله الدارقطني. الحكم: هو ابن عتيبة الكندي الكوفي.



فشهدوا، من دون ذيله (وكننت أنا في من سمع ذلك فكتمته فذهب الله ببصري، وكان يندم على ما فاته من الشهادة..). ثم الطبراني^(١) (ت ٣٦٠ هـ) في المعجم الكبير^(٢) - ويظهر أنه أول كتاب جاء فيه (وكننت فيمن كتم فذهب الله ببصري) وأخذ الحديث مع ذيله عن الطبراني، ابن مردويه الاصفهاني وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج، وابن المغازلي والذهبي وغيرهم.. وكلها بإضافة هذا الذيل.

وهنا نستطيع تسجيل النقاط التالية:

١. أن رواية الطبراني وهي أول نص فيما يبدو ذكر فيه عن زيد أنه كتم فذهب الله ببصره، لا تتمتع بالاعتبار السَّنَدِي لا في مدرسة الخلفاء ولا بحسب مدرسة أهل البيت، فقد مر ذكر أن في سندها ثلاثة رواة تم تضعيفهم كما تجد في الهامش، وكذلك الأمر في رأي رجاليي وفقهاء الامامية فقد ردّ السيد الخوئي الرواية وهي التي نقلها المفيد بعلي الارسال والضعف^(٣). وهي الأساس في ما بعد الطبراني من المحدثين والكتب. نعم كانت موجودة في مسند أحمد وهو يسبق الطبراني بنحو قرن من الزمان إلا أنه لا يوجد فيها ذكر عن الكتمان وعمى البصر.

٢. بالنسبة لرواية الاحتجاج، التي نقلها عن أبي المفضل الشيباني، فهي كسابقتها حيث أنها بالإضافة إلى إرسالها من جهة الطبرسي، فإن أبا المفضل وُصِف تارة بالضعيف وأخرى بأنه كان ثبتاً في أول أمره ثم خلط، مما يمنع الاعتماد عليه، كذلك فهو يرويها بسندٍ لا نعرفه وإن كان وصفه هو -أو صاحب

(١) بنفس السند السابق الضعيف بإضافة اسماعيل بن عمرو فزاد في السند ضعيف ثالث! مع زيادة (فكننت فيمن كتم؛ فذهب بصري)

(٢) الطبراني: المعجم الكبير ١٧١/٥

(٣) الخوئي، أبو القاسم: معجم رجال الحديث ٨ / ٣٤٤ أقول: هذه الرواية لا اعتماد عليها فإنها مرسلة، على أن أبا إسرائيل والحكم مجهولان.

الاحتجاج - بأنه صحيح. هذا مع أن الحادثة لو تمت وهو فقدان بصره فهي لا ترتبط بموضوع المناشدة وحادثة رحبة مسجد الكوفة لأن سياقها يتحدث عن أنها حصلت ما بعد بيعة السقيفة مباشرة وفي المدينة، بينما المناشدة إنما كانت في الكوفة وبعد السقيفة بما يزيد عن ربع قرن من الزمان. فإذاً هذه لا ترتبط بموضوع المناشدة.^(١) وعلى فرض حصول العمى فإنه لا ريب لم يستمر معه وإلا كيف يقال بأنه شهد مع أمير المؤمنين حرابه وقاتل فيها؟ والذين يذكرون فقدانه البصر إنما يذكرون ذلك في أيام أمير المؤمنين وفيما بعد إلى أواخر عمره! وقد بقي إلى سنة ٦٨ هـ.

٣. إن مما يضعف هذه الروايات ما أشار إليه غير واحد من الأعلام بأن زيداً بن أرقم كان ممن «بالغ وتظاهر» في رواية أحاديث مناقب أهل البيت ﷺ عموماً وأمير المؤمنين ﷺ على وجه الخصوص، وحديث الغدير بشكل أخص، فقد رواه عنه العشرات بألفاظ مختلفة وتعابير متعددة بين ذكرٍ لمُلخص القصة والحادثة والحديث وبين تفصيلٍ لها.

وفي خصوص حادثة الرحبة ينقل أحمد بن حنبل وغيره عن زيد بن أرقم شيئاً آخر، حاصله أنه كان يزيل استنكار واستبعاد البعض من أن يكون النبي قد قال الحديث بهذه الألفاظ، وهذا يشير إلى خلاف ما تقدم من إنكاره وكتمانه وأنه لذلك عمي بصره، فقد أخرج أحمد في مسنده وغيره من بعده في كتبهم: عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ: جَمَعَ عَلِيُّ النَّاسِ فِي الرَّحْبَةِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَنْشُدُوا اللَّهَ كُلَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ مَا سَمِعَ، لَمَّا قَامَ فَقَامَ ثَلَاثُونَ مِنَ النَّاسِ، وَقَالَ أَبُو نُعَيْمٍ: فَقَامَ نَاسٌ كَثِيرٌ فَشَهِدُوا حِينَ أَخَذَهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «أَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ

(١) هناك رواية ينقلها الطبراني في المعجم تفيد بأن زيداً فقد بصره أيام رسول الله ﷺ.



وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ» قَالَ: فَخَرَجْتُ وَكَأَنَّ فِي نَفْسِي شَيْئًا، فَلَقِيتُ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمٍ فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي سَمِعْتُ عَلِيًّا عليه السلام يَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَمَا تُنْكِرُ؟ قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ ذَلِكَ لَهُ! ^(١) فَبِنَاءِ عَلِيٍّ هَذِهِ الرَّوَايَةُ لَوْ تَمَّتْ وَتَجَاوَزْنَا عَنِ الْمَعْنَى الظَّاهِرِيِّ الَّذِي يَفِيدُ تَشْكِيكَ أَبِي الطَّفِيلِ، فَإِنْ جَوَابُ زَيْدٍ يَفِيدُ عَكْسَ مَا يُقَالُ مِنْ أَنَّهُ كَتَمَ فَعَمِي بَصْرَهُ!

ولأجل أن رواياته فضائل الإمام وخصوصاً حديث الغدير كانت كثيرة فقد رأى السيد الامين في الأعيان أن موضوع كتمان الشهادة لم يتحقق في شأنه وأنه تم الاشتباه بينه وبين البراء بن عازب وقال: «أما ما نسب إليه من كتمان الشهادة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه فلم يتحقق، ويوشك أن يكون وقع فيه اشتباه بالبراء بن عازب فقد روي أنه لما استشهد علي عليه السلام الصحابة بالكوفة على حديث من كنت مولاه فعلي مولاه كتم الشهادة البراء بن عازب فدعا عليه علي عليه السلام بالعمى فعمي وتوقف أنس بن مالك فدعا عليه بالبرص فاستجيب دعاؤه، أما زيد بن أرقم فقد جاء في بعض الروايات انه كتم الشهادة بذلك أيضاً وهو بعيد بعد أن

(١) ابن حنبل: مسند أحمد ٣٢ / ٥٥ والذهبي، شمس الدين: رسالة طرق حديث من كنت مولاه فعلي مولاه ٣٥ / ١. قال ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ٣٣١ / ٤ أخرجه أحمد (٤ / ٣٧٠) وابن حبان في «صحيحه» (٢٢٠٥ - موارد الظمان) وابن أبي عاصم (١٣٦٧ و ١٣٦٨) والطبراني (٤٩٦٨) والضياء في «المختارة»

قلت: وإسناده صحيح على شرط البخاري. وقال الهيثمي في «المجمع» (٩ / ١٠٤): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة». وتابعه سلمة بن كهيل قال: سمعت أبا الطفيل يحدث عن أبي سريحة أو زيد بن أرقم - شك شعبة - عن النبي صلى الله عليه وسلم به مختصراً: «من كنت مولاه، فعلي مولاه». أخرجه الترمذي (٢ / ٢٩٨) وقال: «حديث حسن صحيح».

أقول: نستبعد صدور تشكيك من جهة أبي الطفيل (عامر بن واثلة الكناني) فإن مكاتبه واختصاصه بأمر المؤمنين ثم بالحسنين وبأهل البيت أعظم من ذلك بكثير وقد كتبنا شيئاً عن أحواله في كتاب (رجال حول أهل البيت ج ١) فراجع.

تكون روايات حديث الغدير أكثرها عنه وكونه أحد من فضل علياً على غيره وكونه من خاصة أصحابه كما يأتي»^(١)

ولعله أيضاً كان السيد بحر العلوم ناظراً لهذه الجهة عندما قال: إن طرق حديث الغدير عنه تصل إلى عشر طرق، فقد ذكر في ترجمته تصديق الله له في سورة المنافقين وأشار إلى ذكر البرقي إياه ونقل كلمة الفضل بن شاذان، وأن العلامة وابن داود ذكراه في القسم الأول (الثقات) وأنه نقل عنه حديث الغدير بطرق متعددة تقرب من عشرة وأن له روايات كثيرة في فضائل علي ومناقب أهل البيت وذكره بالرحمة قائلاً توفي رحمه الله سنة ٦٨ هـ.^(٢)

وعلى نفس الجهة اعتمد الشيخ محمد هادي الأميني ليرد جازماً حديث أنه كتّم حديث الغدير فقال: أما زيد فغير صحيح أنه كتّم، لأن أكثر أحاديث الغدير مستندة إليه.^(٣)

٤. إنه لو ثبت أن زيدا بن أرقم قد عمى بصره فإن ذلك لا يلزم بالضرورة أن يكون بسبب حادثة الرحبة فإن الكثير من أصحاب النبي^(٤) قد أصيبوا في أواخر عمرهم بالعمى وهناك روايات تفيد بأن زيدا قد عمى بصره، لكن بعضها يشير إلى أنه كان بعيد وفاة النبي وقضية السقيفة، وبعضها كما في رواية الطبراني التي كنا بصدها يشير إلى أنها كانت في الكوفة أيام حكومة الامام ﷺ وعلى أثر المناشدة، وبعضها يتركها بلا تحديد زمني وهكذا.. المهم أننا نستبعد كما فعل علماء نقلنا كلماتهم أن يكون زيد بن أرقم قد كتّم حديث الغدير فضلاً عن عمى بصره بسبب ذلك.

(١) الأمين؛ السيد محسن: أعيان الشيعة ٧/ ٨٨

(٢) بحر العلوم: الفوائد الرجالية ٢/ ٣٥٩

(٣) الأمين؛ الشيخ محمد هادي: أصحاب أمير المؤمنين ﷺ والرواة عنه ١/ ٢٣١

(٤) عد بعضهم ثلاثين صحابياً كف بصرهم أواخر عمرهم.



مواقفه من الحاكمين

لا تنقل المصادر التاريخية شيئاً واضحاً عن مواقفه تجاه الخليفة الأول والثاني، بل ولا الثالث^(١) لكن يظهر من بعض الروايات أنه كان ممن نقم عليه، فيظهر من سؤال يحيى بن جعدة إياه أنه ماذا نقموا على عثمان، فقال: بثلاث: جعل المال دولة بين الأغنياء، وجعل المهاجرين بمنزلة من حارب الله ورسوله، والعمل بغير كتاب الله^(٢).

وعندما يصل الدور إلى أيام معاوية، فإن هناك وضوحاً في موقفه كما نقلته بعض المصادر، فإنه ينقل أنه عندما رأى معاوية وعمرو بن العاص جالسين متجاورين فإنه جلس وسطهما مفرقاً بينهما، وعلل ذلك بسماعه من رسول الله أنه مهما رأيتموهما مجتمعين ففرقوا بينهما فإنهما لا يجتمعان على خير كما أشار إلى ذلك السيد العسكري ناقلاً عن كتاب صفين للمنقري: «قال: دَخَلَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمِ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَإِذَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ جَالِسٌ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ زَيْدٌ جَاءَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَهُمَا، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: أَمَا وَجَدْتَ لَكَ مَجْلِسًا إِلَّا أَنْ تَقْطَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟» فَقَالَ زَيْدٌ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ غَزَا غَزْوَةً وَأَنْتُمْ مَعَهُ، فَرَأَكُمَا مُجْتَمِعِينَ، فَنَظَرْتُ إِلَيْكُمَا نَظْرًا شَدِيدًا، ثُمَّ رَأَكُمَا الْيَوْمَ الثَّانِي، وَالْيَوْمَ الثَّلَاثَ، كُلُّ ذَلِكَ يُدِيمُ النَّظَرَ إِلَيْكُمَا، فَقَالَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ: «إِذَا رَأَيْتُمْ مُعَاوِيَةَ وَعَمْرُو بْنَ

(١) وإن كان كتاب سليم بن قيس كما نقل عنه في الاحتجاج ١ / ٢٢٤ قد أثبت مناقشة أخرى في زمان الخليفة الثالث، حصلت كما في الكتاب في مسجد رسول الله ﷺ، وفيها أن الإمام استشهدهم، فقاموا وشهدوا وكان منهم زيد بن أرقم والبراء بن عازب وأبو ذر والمقداد وعمار.. الخ ما نقله، والكلام قائم في صحة الكتاب عموماً، وفي خصوص هذه الرواية حيث لم تذكر في مصدر من المصادر..

(٢) كاشف الغطاء، الشيخ جعفر: العقائد الجعفرية ص ٩٥

العاصِ مُجْتَمِعِينَ، فَفَرَّقُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنَّهُمَا لَنْ يَجْتَمِعَا عَلَى خَيْرٍ»^(١).

وقد كان يعترض المغيرة بن شعبة والي معاوية بن أبي سفيان على الكوفة، عندما كان يسب علياً أمير المؤمنين ﷺ، ويخاطبه بما يستطيع الاحتجاج عليه فيه، وهو أن النبي قد نهى عن سب الموتى!^(٢) فما كان المغيرة يجد جواباً لذلك.

ولأجل أحاديثه الكثيرة عن أهل البيت ﷺ وحول أمير المؤمنين ﷺ، بل وربما حديثه عن الحوض الذي يسقي منه أمير المؤمنين مواليه ويمنع أعداءه، مما لم ينقله المحدثون، ولكننا نستفيدة من اعتراض ابن زياد عليه وتوبيخه، بل وتظاهره بطريقة خاصة في صلاة الجنازة وهي التي كانت تميز خط أهل البيت ﷺ عن خط مدرسة الخلفاء حيث طريقتهم المعتادة فيها هو التكبير أربعاً بينما التزم شيعة أهل البيت بالتكبير خمساً على الجنازة كما التزم شيعتهم بذلك. وفي زمانه كان زيد قد اشتهر عنه أنه لا يصلى على الجنازة إلا خمساً ويقول هي صلاة أبي القاسم أي النبي المصطفى وأنه لا يتركها،^(٣) كل ذلك دعا عبيد الله بن زياد الذي تولى أمر الكوفة بعد البصرة في زمان يزيد بن معاوية وما بعده إلى أن يتهدده فيها وينسبه إلى التخريف، وهي نفس التهمة التي سيقولها عنه عندما اعترض عليه في مجلسه مع مجيء سبايا الحسين ويأتي الحديث عنه، أما ما سبق ذكره من اعتراض ابن زياد

(١) المنقري؛ نصر بن مزاحم: كتاب وقعة صفين ص ٢١٨، والآبي منصور بن الحسين الرازي: نثر الدر في المحاضرات ٧٠/٢

(٢) ابن المبارك؛ عبد الله: مسند عبد الله بن المبارك ١/١٥٦: عَنْ قُطَيْبَةَ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ مَنْ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟ فَقَالَ لَهُ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمٍ: أَمَا إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ «رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَنْهَى عَنْ شَتْمِ الْهَلَكِيِّ، فَلِمَ تَسُبُّ عَلِيًّا وَقَدْ مَاتَ؟»

(٣) أحمد بن حنبل مسند أحمد مخرجا ٣٢/٥٤ —: عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ صَلَّيْتُ خَلْفَ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ عَلَى جِنَازَةٍ، فَكَبَّرَ خَمْسًا، فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو عَيْسَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى فَأَخَذَ يَدَهُ فَقَالَ: نَسِيتَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ «صَلَّيْتُ خَلْفَ أَبِي الْقَاسِمِ خَلِيلِي ﷺ، فَكَبَّرَ خَمْسًا، فَلَا أَنْتَرُكُهَا أَبَدًا».



عليه في أنه يحدث بأحاديث لا يعرفها، ولا يسمعها في كتاب الله - حسب نص الرواية - وكان الأحاديث ينبغي أن تسمع في كتاب الله وإلا لا تصدق!!

فعن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ، فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ: مَا أَحَادِيثُ تُحَدِّثُ بِهَا - فِيمَا بَلَّغْنَا عَنْكَ - وَتُرْوِيهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا نَسْمَعُهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ وَتُحَدِّثُ أَنَّ لَهُ حَوْضًا فِي الْجَنَّةِ^(١) قَالَ: قَدْ حَدَّثْنَا عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ شَيْخٌ قَدْ خَرَفْتَ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ سَمِعْتُهُ أُذْنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي يَقُولُ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». ^(٢)

ولنا أن نعتبر أن إحالة الإمام الحسين ﷺ جيش أهل الكوفة الذي يواجهه في يوم عاشوراء،^(٣) نوع إخبار بأن هذا الشخص وأمثاله لديهم المعرفة بحديث رسول الله في منزلة الحسين ﷺ وبأنه سيخبرهم بهذه المناقب.

وقد ذكر المؤرخون أنه اعترض على عبيد الله بن زياد، قيامه بضرب ثنانيا رأس الحسين ﷺ عندما أدخل عليه الرأس في قصر الامارة في الكوفة، طالباً منه أن يكف

(١) نحتمل أن تركيز ابن زياد على حديث الحوض لأن في أحاديث الحوض إثبات أن بعض أصحاب النبي يذادون ويطردون عنه وأنهم أحدثوا بعد النبي ما أحدثوا، وأن من يسقي من الحوض النبي وعليه عليهما وألهما السلام. وقد يكون إشارة إلى حديث الثقلين الذي في نهايته إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض.. إن الله هو الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، وسألته ذلك لهما. والحوض عرضه ما بين بصرى وصنعاء، فيه من الآبئة عدد الكواكب. والله سائلكم كيف خلفتموني في كتابه وأهل بيته

(٢) مسند ابن أبي شيبة ١/ ٣٥٣ - أبو بكر بن أبي شيبة (ت ٢٣٥)

(٣) الطبري، أبو جعفر: تاريخ الطبري ٥/ ٤٢٥: في خطبة الحسين ﷺ أمام أهل الكوفة: فإن صدقتموني بما أقول - وهو الحق - فوالله ما تعمدت كذبا مذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، ويضربه من اختلقه، وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، أو أبا سعيد الخدري، أو سهل بن سعد الساعدي، أو زيد بن أرقم، أو أنس بن مالك، يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله ﷺ لي ولأخي..

عن ذلك فقد رأى شفتي رسول الله مراراً على تلك الثنایا یقبلها! فأمر ابن زیاد بإخراجه وقال: لو لا أنك شیخ قد خرفت لضربت عنقك، بينما نهض زيد قائلاً: أنتم العبيد بعد الیوم قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة! ^(١)

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ٣/ ٢٠٨ وجعل ابن زیاد ینکت بین ثنتي الحُسَيْن بالقضيب فَقَالَ لَهُ زيد بن أرقم: اعل بهذا القضيب غير هاتين الشفتين فو الله لقد رأيت شفتي رسول الله عليهما یقبلهما. ثم جعل الشيخ يبكي فقال له (ابن زياد): أبكى الله عينيك فو الله لولا أنك شیخ قد خرفت لضربت عنقك! فنهض (زيد) وهو یقول للناس: أنتم العبيد بعد الیوم! یا معشر العرب قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة؟! فهو یقتل خياركم ویستعبد شراركم فبعدا لمن رضي بالعار والذل!



المصادر

بعد القرآن الكريم

١. الأبّي؛ منصور بن الحسين الرازي: نثر الدر في المحاضرات، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
٢. الأجرّي البغدادي؛ محمد بن الحسين بن عبد الله: الشريعة، تحقيق عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي الناشر: دار الوطن - الرياض السعودية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٣. الأزدي؛ الفضل بن شاذان: الإيضاح، تحقيق السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، مؤسسة انتشارات وچاپ دانشگاه تهران ايران
٤. الإشبيلي؛ عبد الحق بن عبد الرحمن: الجمع بين الصحيحين، الناشر: دار المحقق للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
٥. الأصبحي المدني؛ مالك بن أنس: موطأ الإمام مالك، تحقيق عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م.

٦. الأصبهاني؛ أبو نعيم أحمد بن عبد الله: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي - بيروت والأصبهاني؛ أبو الفرج علي بن الحسين: مقاتل الطالبين، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت.
٧. ابن أعثم الكوفي؛ أحمد: الفتوح، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١١هـ.
٨. الأضرابلسي؛ خيثمة بن سليمان: من حديث خيثمة بن سليمان، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي - لبنان ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٩. الإمام زين العابدين؛ علي بن الحسين: الصحيفة السجادية، دفتر نشر الهادي، قم - إيران، ١٤١٨هـ.
١٠. الأمين؛ السيد محسن: أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات بيروت.
١١. الأميني النجفي؛ عبد الحسين أحمد: الغدير، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ١٣٩٧ - ١٩٧٧م.
١٢. الأميني؛ محمد هادي: أصحاب الإمام أمير المؤمنين ﷺ والرواة عنه، دار الغدير للمطبوعات دار الكتاب الإسلامي بيروت - لبنان.
١٣. الأندلسي، أحمد بن محمد ابن عبد ربه: العقد الفريد، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٤هـ.
١٤. الباقر، الشيخ جعفر: صلاة التراويح، سنة مشروعة أو بدعة محدثة؟ مركز الأبحاث العقائدية: إيران - قم، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٥. بحر العلوم؛ السيد محمد مهدي: الفوائد الرجالية، تحقيق محمد صادق



بحر العلوم - حسين بحر العلوم. مكتبة العلمين النجف الأشرف.

١٦. البخاري؛ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم: التاريخ الأوسط، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، مكتبة دار التراث - حلب، القاهرة ١٣٩٧ - ١٩٧.

١٧. البخاري؛ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم: صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، وأيضا: طبعة دار الطباعة العامة باستانبول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٨. البرقي، أحمد بن محمد بن خالد: الرجال، نشر جامعة طهران رقم ٨٥٧ / ١٣٤٢.

١٩. البروجردي؛ السيد حسين الطباطبائي؛ جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية - قم ١٣٩٩ هـ.

٢٠. البزار؛ أبو بكر أحمد بن عمرو: مسند البزار = البحر الزخار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرين مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ٢٠٠٩ م.

٢١. البغدادي؛ محمد بن حبيب، المُحَبَّر، تحقيق: إيلزة ليختن شتير، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٢٢. البغوي؛ عبد الله بن محمد بن عبد العزيز: معجم الصحابة، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان - الكويت ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٣. البلاذري؛ أحمد بن يحيى: جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر - بيروت ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٢٤. البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ: السنن الكبرى، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
٢٥. البيهقي؛ أحمد بن الحسين بن علي: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥ هـ.
٢٦. التستري، الشيخ محمد تقي: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، تحقيق: مؤسسة نهج البلاغة، الناشر: دار امير كبير للنشر ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٢٧. التستري، الشيخ محمد تقي: قاموس الرجال نشر وتحقيق: مؤسسة النشر الاسلامي، قم ايران ١٤١٠ هـ.
٢٨. الترمذي؛ محمد بن عيسى: الجامع الكبير - سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٩٩٨ م.
٢٩. الترمذي؛ محمد بن عيسى: الشمائل المحمدية، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٣٠. التميمي: محمد بن حبان بن أحمد: صحيح ابن حبان تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
٣١. ابن تيمية؛ أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام: منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٣٢. الثقفى؛ إبراهيم بن محمد: الغارات، تحقيق السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، مطبعة بهمن.



٣٣. الجواهري، محمد: المفيد من معجم رجال الحديث، نشر محلاتي قم ١٤٢٤هـ.

٣٤. الجوهري؛ أحمد بن عبد العزيز: السقيفة وفدك، تحقيق: الشيخ محمد هادي الأميني شركة الكتبي للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٣٥. الحاكم الحسكاني؛ عبيد الله بن أحمد: شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي م مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٣٦. ابن أبي الحديد؛ عبد الحميد: شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.

٣٧. الحر العاملي؛ الشيخ محمد بن الحسن: وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي، دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان.

٣٨. الحرّ العاملي؛ محمد بن الحسن: إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، خرّج أحاديثه: علاء الدين الأعلمي مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٣٩. الحلبي؛ نور الدين علي بن إبراهيم: السيرة الحلبيّة، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٧هـ.

٤٠. الحلبي بن طاووس؛ السيد رضي الدين علي: إقبال الأعمال، تحقيق: جواد

- القيومي الأصفهاني، مركز النشر مكتب الاعلام الاسلامي ١٤١٤ هـ
٤١. الحلبي بن طاووس؛ السيد رضي الدين علي: الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف، مطبعة الخيام- قم ١٣٩٩ هـ.
٤٢. الحلبي بن طاووس؛ السيد رضي الدين علي: اليقين باختصاص مولانا عليؑ بإمرة المؤمنين مؤسسة دار الكتاب الجزائري للطباعة والنشر- قم- إيران.
٤٣. الحميري؛ عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٧٥ هـ- ١٩٥٥ م.
٤٤. ابن حنبل؛ أحمد بن محمد: فضائل الصحابة، تحقيق وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة- بيروت ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣ م.
٤٥. ابن حنبل؛ الإمام أحمد: مسند أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١ م.
٤٦. وأيضا تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، د. حمزة الزين،، دار الحديث، القاهرة- مصر سنة الطبع: ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م.
٤٧. الحواربي الشافعي: يحيى بن شرف الحزامي: صحيح مسلم بشرح النووي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان. ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م.
٤٨. الخزاز القمي؛ علي بن محمد بن علي: كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، تحقيق السيد عبد اللطيف الحسيني الكوه كمرى الخوئي، انتشارات بيدار قم ايران ، ١٤٠١ هـ.



٤٩. خطاب؛ محمود شيت: الرسول القائد، دار الفكر- بيروت ١٤٢٢هـ.
٥٠. ابن خلدون؛ عبد الرحمن بن محمد: تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
٥١. الخوئي؛ أبو القاسم: منهاج الصالحين، نشر مدينة العلم- آية الله العظمى السيد الخوئي، الطبعة: الثامنة والعشرون ١٤١٠هـ.
٥٢. الخوئي، أبو القاسم: معجم رجال الحديث الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
٥٣. ابن أبي خيثمة؛ أبو بكر أحمد: التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة، تحقيق: صلاح بن فتحي هلال، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر- القاهرة ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
٥٤. الدِّليمي؛ أبو شجاع شيرويه بن شهردار: الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٥٥. الدينوري؛ أبو حنيفة أحمد بن داود: الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركاه / القاهرة ١٩٦٠م.
٥٦. الدينوري؛ ابن قتيبة: الإمامة والسياسة = تاريخ الخلفاء، تحقيق طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.
٥٧. الدينوري؛ ابن قتيبة عبد الله بن مسلم: المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.

٥٨. الذهبي؛ محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٥٩. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز: سير أعلام النبلاء، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٦٠. الذهلي الشيباني؛ يحيى بن هبيرة: الإفصاح عن معاني الصحاح، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن ١٤١٧هـ.
٦١. الزركشي؛ محمد بن بهادر بن عبد الله: البحر المحيط في أصول الفقه. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٦٢. الزمخشري؛ جار الله: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٤١٢هـ.
٦٣. السبحاني؛ الشيخ جعفر: الانصاف في مسائل دام فيها الخلاف، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) - قم - ايران ١٤٢٣هـ ق.
٦٤. السبحاني؛ الشيخ جعفر: بحوث في الممل والنحل، مؤسسة النشر الإسلامي - مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) - قم.
٦٥. السخاوي؛ محمد بن عبد الرحمن: فتح المغيث بشرح الفية الحديث، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة - مصر ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٦٦. السرخسي؛ محمد بن أحمد بن أبي سهل: شرح السير الكبير، الشركة الشرقية للإعلانات ١٩٧١م.
٦٧. ابن أبي سفيان؛ معاوية: ديوان معاوية بن أبي سفيان، تحقيق: فاروق أسليم



- بن أحمد، دار صادر- بيروت ١٩٩٦م.
٦٨. ابن سعد البغدادي؛ محمد بن سعد بن منيع: الطبقات الكبرى تحقيق: محمد عبد القادر عطا دار الكتب العلمية- بيروت ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
٦٩. السماوي؛ الشيخ محمد طاهر: إِبْصَارُ الْعَيْنِ فِي أَنْصَارِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام)، تحقيق: الشيخ محمد جعفر الطبسي، مركز الدراسات الإسلامية لممثلة الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية ١٤١٩هـ.
٧٠. السهيلي؛ عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢هـ.
٧١. آل سيف؛ فوزي: رجال حول أهل البيت، دار الصفوة، بيروت لبنان.
٧٢. آل سيف؛ فوزي: معارف قرآنية، دار أطيايف للنشر، القطيف، السعودية.
٧٣. آل سيف؛ فوزي: نساء حول أهل البيت (عليه السلام)، دار الصفوة، بيروت لبنان.
٧٤. السيوطي؛ جلال الدين: الدر المثلث في التفسير بالمأثور، دار الفكر- بيروت.
٧٥. السيوطي؛ جلال الدين: تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
٧٦. السيوطي؛ جلال الدين: جمع الجوامع «الجامع الكبير» تحقيق: مختار إبراهيم الهائج- عبد الحميد محمد ندا- حسن عيسى عبد الظاهر، الناشر: الأزهر الشريف، القاهرة.
٧٧. الشريف الرضي؛ محمد بن الحسن: نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام) تحقيق د. صبحي الصالح، بيروت ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

٧٨. ابن أبي شيبه؛ عبد الله بن محمد: مسند ابن أبي شيبه، المحقق: عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن - الرياض ١٩٩٧ م.
٧٩. الشهرستاني، السيد علي: وضوء النبي، جامعة الفردوسي، مشهد ايران، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
٨٠. الشيباني الجزري؛ ابن الأثير علي بن أبي الكرم محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان. وأيضا دار الفكر - بيروت ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
٨١. الشيباني الجزري؛ ابن الأثير علي بن أبي الكرم محمد: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٨٢. الصالحي الشامي؛ محمد بن يوسف: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
٨٣. الصدر؛ السيد مهدي: أخلاق أهل البيت ﷺ دار الكتاب الإسلامي.
٨٤. الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم.
٨٥. الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الخصال، تعليق علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم ايران.
٨٦. الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: عيون أخبار الرضا ﷺ، تعليق الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان



٨٧. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه: معاني الأخبار، تعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ١٣٧٩ هـ.
٨٨. الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: من لا يحضره الفقيه، تعليق علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم.
٨٩. الصفدي؛ صلاح الدين خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٩٠. ابن الصلاح؛ عثمان بن عبد الرحمن: شرح مشكل الوسيط، تحقيق: عبد المنعم خليفة أحمد بلال، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.
٩١. الصنعاني؛ عبد الرزاق بن همام بن نافع: المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٣ هـ.
٩٢. الضبي؛ العباس بن بكار: الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان، تحقيق سكينه الشهابي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
٩٣. الطبراني؛ سليمان بن أحمد بن أيوب: المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة.
٩٤. الطبراني؛ سليمان بن أحمد بن أيوب: المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة.
٩٥. الطبرسي؛ الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن: إعلام الوري بأعلام الهدى، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - قم ١٤١٧ هـ.

٩٦. الطبري الشيعي، محمد بن جرير: المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تحقيق الشيخ أحمد المحمودي، مؤسسة الثقافة الإسلامية لكوشانبور.
٩٧. الطبري؛ محمد بن جرير أبو جعفر: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٩٨. الطبري؛ أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، دار التراث - بيروت ١٣٨٧هـ.
٩٩. الطوسي؛ محمد بن الحسن: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، تحقيق السيد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت ﷺ، قم إيران ١٤٠٤هـ.
١٠٠. الطوسي، محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام، تحقيق السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية طهران ١٣٩٠هـ.
١٠١. الطوسي؛ شيخ الطائفة محمد بن الحسن: الخلاف، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ١٤٠٧هـ.
١٠٢. الطيالسي؛ أبو داود سليمان بن داود بن الجارود: مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر - مصر ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١٠٣. ابن طيفور؛ أبو الفضل بن أبي طاهر: بلاغات النساء، منشورات مكتبة بصيرتي قم.
١٠٤. العاملي؛ السيد جعفر مرتضى: الصحيح من سيرة النبي الأعظم، دار الحديث للطباعة والنشر، قم ١٤٢٦هـ.



١٠٥. العاملي؛ السيد جعفر مرتضى: مختصر مفيد، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت ١٤٢٣-٢٠٠٢
١٠٦. ابن عبد البر؛ يوسف بن عبد الله بن محمد: الاستيعاب في معرفة الأصحاب تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت- لبنان ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
١٠٧. ابن أبي عروبة؛ أبو النضر سعيد: المناسك، تحقيق: عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت- لبنان ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
١٠٨. ابن عساكر؛ علي بن الحسن بن هبة الله: تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
١٠٩. العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٤١٥هـ.
١١٠. العسقلاني أحمد بن علي بن حجر: تهذيب التهذيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان. ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
١١١. العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر: المطالبُ العالِيَةُ بزوائد المسانيد الثَّمَانِيَّة تنسيق: د. سعد الشَّري. دار العاصمة للنشر والتوزيع- دار الغيث للنشر والتوزيع الرياض.
١١٢. العسكري؛ السيد مرتضى: خمسون ومائة صحابي مختلق، دار التوحيد للنشر رقم ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
١١٣. العيني؛ بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

- ١١٤ . العسكري؛ السيد مرتضى: القرآن الكريم وروايات المدرستين، الناشر: المجمع العلمي الاسلامي ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ١١٥ . القرشي الأسدي؛ الزبير بن بكار بن عبد الله: الأخبار الموفقيات، تحقيق: سامي مكّي العاني، عالم الكتب - بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ١١٦ . القرطبي؛ محمد بن أحمد بن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق السيد محمد علي بحر العلوم / مؤسسة النشر الاسلامي.
- ١١٧ . القندوزي الحنفي؛ سليمان بن إبراهيم ينايع المودة لذوي القربى، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ - ١١٨ . كاشف الغطاء، الشيخ جعفر بن خضر: العقائد الجعفرية، مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر - قم ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ١١٩ . ابن كثير الدمشقي؛ إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت ١٤١٩هـ.
- ١٢٠ . ابن كثير الدمشقي؛ إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ١٢١ . الكليني؛ محمد بن يعقوب بن إسحاق: الكافي، تعليق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية طهران ايران ١٣٨٨هـ.
- ١٢٢ . الكوراني؛ الشيخ علي: جواهر التاريخ - سيرة الإمام الحسن (عليه السلام) وتسلط بني أمية ومواجهة أهل البيت (عليهم السلام) لخطتهم نسخة الكترونية



١٢٣. الكلبايگانی؛ أبحاث آية الله الحاج السيد محمد رضا: نتائج الأفكار في نجاسة الكفار: تقرير الشيخ علي الكريمي الجهرمي، دار القرآن الكريم، قم المقدسة. ١٤١٣هـ.
١٢٤. العلامة المامقاني؛ الشيخ عبد الله: تنقيح المقال في علم الرجال، تحقيق: الشيخ محمد رضا المامقاني، مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث- إيران- قم ١٤٣١هـ.
١٢٥. ابن المبارك؛ عبد الله بن واضح: مسند الإمام عبد الله بن المبارك، المحقق: صبحي البدري السامرائي الناشر: مكتبة المعارف- الرياض ١٤٠٧هـ.
١٢٦. المتقي الهندي؛ علي بن حسام الدين: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
١٢٧. المجلسي؛ المولى محمد باقر: بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء- بيروت- لبنان ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
١٢٨. المحب الطبري؛ أبو جعفر أحمد: الرياض النضرة في مناقب العشرة: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
١٢٩. ابن مخلد الشيباني؛ أبو بكر بن أبي عاصم: الأحاد والمثاني، تحقيق باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية- الرياض ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
١٣٠. المسعودي؛ علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، منشورات دار الهجرة ايران- قم ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
١٣١. ابن المغازلي؛ علي بن محمد بن محمد: مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تحقيق: تركي بن عبد الله الوادعي، دار الآثار-

- صنعاء ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
١٣٢. مغنية؛ محمد جواد: الشيعة في الميزان، دار التعارف للمطبوعات - بيروت - لبنان ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
١٣٣. المفيد؛ محمد بن محمد بن النعمان العكبري: الاختصاص، تعليق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم إيران.
١٣٤. المفيد؛ محمد بن محمد بن النعمان العكبري: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق مؤسسة آل البيت ﷺ لتحقيق التراث، دار المفيد.
١٣٥. المفيد؛ محمد بن محمد بن النعمان العكبري: الأمالي، تحقيق: الحسين أستاذ ولي - علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم ١٤٠٣ هـ.
١٣٦. المقرئزي؛ أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد: إمتاع الأسماع تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م»
١٣٧. المنذري؛ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي: الترغيب والترهيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
١٣٨. المنقري؛ نصر بن مزاحم: وقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ١٣٨٢ هـ.
١٣٩. الموصلي؛ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى: مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.



١٤٠. النسائي؛ أحمد بن شعيب بن علي بن بحر: سنن النسائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م.
١٤١. وأيضا تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
١٤٢. النمازي الشاهرودي؛ علي: مستدركات علم رجال الحديث مستدركات علم رجال الحديث، نشر حسينية عماد زاده - اصفهان ١٤١٢ هـ.
١٤٣. النميري؛ عمر بن شبة: تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، جدة ١٣٩٩ هـ، وأيضا عن دار الكتب العلمية بيروت، سنة ١٤١٧ هـ.
١٤٤. النوري الطبرسي؛ ميرزا حسين: نفس الرحمن في فضائل سلمان، تحقيق: جواد قيومي الجزه اي الأصفهاني، مؤسسة الكوكب ١٤١١ هـ.
١٤٥. النوري الطبرسي؛ ميرزا حسين: مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
١٤٦. النيسابوري؛ أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله: المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
١٤٧. الهيثمي؛ نور الدين علي بن أبي بكر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م. وأيضا دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
١٤٨. الواحدي النيسابوري؛ أبو الحسن علي بن أحمد: أسباب نزول الآيات، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

١٤٩. الواقدي؛ محمد بن عمر بن واقد: المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي - بيروت، ١٤٠٩هـ.
١٦٥. آل ياسين؛ محمد حسن: أصول الدين، نشر: مؤسسة قائم آل محمد عجل الله فرجه، الأولى - ١٤١٣هـ.
١٦٦. اليعقوبي؛ أحمد بن أبي يعقوب بن واضح: تاريخ اليعقوبي، دار صادر - بيروت - لبنان.
١٦٧. <https://www.mezan.net/radalshobohat/18Shabah.htm>.
١٦٨. صحيفة أنحاء الالكترونية/2016/01/18/ <https://an7a.com/2016/01/18/> في يناير ١٨ ٢٠١٦م.



كلمة شكر وتقدير.

لكل من تعاون في إنجاز هذا الكتاب بنحو من الأنحاء:

للأخوات الفاضلات: خديجة العيد، وليلى الشافعي، ومعصومة الخضراوي،
ورملة الخضراوي فاطمة الخضراوي وزهرة اليوسف وفاطمة قانصو وفاطمة
الرّمضان وزينب المعراج وأزهار السلیمان وفادية الضامن وتهاني الغاوي.

ولللإخوة الفضلاء: سماحة الشيخ جعفر البناوي، وعيسى الربيع، وعبد العزيز
العباد، وعبد الأمير أبو علي البحرين.



الفهرس

| | |
|----|--|
| ٧ | مقدمة |
| ١٣ | نظرية عدالة الصحابة أدلتها ومناقشتها |
| ١٣ | القسم الأول |
| ١٥ | أدلة نظرية عدالة الصحابة |
| ٢٣ | هل ارتد الصحابة؟ |

نظرية عدالة الصحابة

| | |
|----|------------------------------------|
| ٢٧ | في تطورها التاريخي |
| ٢٨ | التطور التاريخي لهذه النظرية |
| ٣٠ | الدور العباسي وتطوير النظرية |

- ٣١ مراحل التطور لمسألة عدالة الصحابة
- ٣٤ الأسباب والدوافع
- ٣٩ الصحابة المفضلون في المدرستين
- قائمة ببعض أسماء الصحابة الممدوحين**
- ٤٧ عند الإمامية
- ٥٠ أسماء الصحابة المرضيين
- ٦٧ المقداد بن الأسود.. زُبُر الحديد موقفاً
- ٧١ بدر ومقولة تشتري بحمر النعم
- ٧٧ مواقف المقداد في وجه الخلافة الرسمية
- ٨٣ سلمان المحمدي.. واجد الحقيقة
- ٨٤ نشأته وديانته
- ٨٨ لقاءه بالنبي ﷺ واعتناقه الإسلام
- ٩٠ تحرره من العبودية
- ٩٠ سلمان مع المسلمين
- ٩٤ موقف سلمان من الخلافة الرسمية



- ٩٧..... سلمان والياً على المدائن
- ٩٨..... سلمان يتزوج في المدائن
- ١٠٣..... **خُزَيْمة بن ثابت ذو الشهادتين**
- ١٠٦..... ذو الشهادتين
- ١٠٦..... ذو الشهادتين والاعتراض على بيعة السقيفة
- ١١٢..... في صفيين في مواجهة الفئة الباغية
- ١١٧..... معضلة مدرسة الخلفاء مع شهادة خزيمة
- ١١٩..... خاتمة المطاف
- ١٢١..... **مصعب بن عمير العبدي.. فاتح المدينة بالقرآن**
- ١٢١..... بطاقة شخصية
- ١٢٥..... لقاء أسعد بن زرارة مع رسول الله
- ١٣٣..... مصعب في ميدان الجهاد العسكري
- ١٣٤..... معركة أحد وشهادة مصعب
- ١٣٧..... **أبو ذر الغفاري.. سلطان الكلمة الصادق**
- ١٣٧..... مَنْ هو أبو ذر؟

- ١٣٩..... ما هي ديانة أبي ذر قبل إسلامه؟
- ١٤٢..... أبو ذر بعد إسلامه
- ١٤٤..... أبو ذر في مواجهة الثقافة اليهودية
- ١٤٦..... موقف أبي ذر من السياسة المالية للخليفة عثمان
- ١٤٨..... التسفير إلى الشام
- ١٥٠..... التسفير الثاني ونهاية حياته غريبا
- ١٥٢..... ملحق في وصية النبي لأبي ذر الغفاري
- ١٥٧..... الوصية النبوية الثانية لأبي ذر
- ١٦١..... **عمار بن ياسر: راية الفئة الهادية**
- ١٦١..... من هو عمار بن ياسر؟
- ١٦٤..... إسلام عمار وبداية أهم التشريعات الدينية
- ١٦٥..... مكانة عمار لدى النبي ﷺ
- ١٦٦..... مشاركة عمار في قتال مسيلمة الكذاب أيام الخليفة الأول
- ١٦٧..... أيام الخليفة الثاني والياً على الكوفة
- ١٦٩..... عمار في زمن الخليفة الثالث



- ١٧١ عمار في أيام أمير المؤمنين عليه السلام
- ١٧٩ المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي
- ١٨٠ الوليد بن المغيرة المخزومي:
- ١٨٧ جابر الأنصاري.. سبعة عقود إنتماء لآل محمد
- ١٨٧ من هو جابر بن عبد الله الأنصاري؟
- ١٨٨ بيعته لرسول الله صلى الله عليه وآله في العقبة الثانية.
- ١٨٨ علاقته برسول الله صلى الله عليه وآله
- ١٩٧ جابر الأنصاري والنهضة الحسينية
- ٢٠٠ مما نقله عن النبي صلى الله عليه وآله
- ٢٠٣ أبوسعيد الخُدري.. على منهاج النبوة.
- ٢١٦ هل روى أحاديث مخالفة للمعروف عنه؟
- ٢١٩ موافقه في أيام أمير المؤمنين عليه السلام:
- ٢٢٢ كيف ذكره رجاليو الإمامية.
- ٢٢٥ حذيفة بن اليمان العبسي.
- ٢٢٧ كيف كانت بدايته؟ وما هي محطات حياته؟

- ٢٣٠ هلم لنر الامتحان الثالث
- ٢٣٢ مؤامرة اغتيال النبي ليلة العقبة
- ٢٣٤ أسئلة وملاحظات
- ٢٣٩ حذيفة بعد وفاة رسول الله ﷺ
- ٢٤٣ عدي بن حاتم الطائي
- ٢٥١ عدي بن حاتم بعد أمير المؤمنين
- ٢٥٥ الصحابي الشهيد عمرو بن الحمق الخزاعي
- ٢٥٥ (أول رأس يهدى بالإسلام)
- ٢٥٩ اعتراضه على الخليفة الثالث
- ٢٦٠ في عهد أمير المؤمنين عليّ ﷺ
- ٢٦١ في زمان الإمام الحسن المجتبي
- ٢٦٧ أبو أيوب الأنصاري (خالد بن زيد)
- ٢٧٠ أحاديث الولاية والفقهِ يرويها أبو أيوب
- ٢٧٤ موافقه بعد رسول الله ﷺ
- ٢٧٧ في زمان الإمام عليّ ﷺ



- ٢٧٩..... أبو أيوب في دولة الإمام علي عليه السلام
- ٢٨١..... أبو أيوب في زمان معاوية بن أبي سفيان
- ٢٨٢..... كيف شارك في جيش القسطنطينية؟
- ٢٨٧..... **أبيّ بن كعب سيد القراء أبو المنذر وأبو الطفيل**
- ٢٩٤..... أبيّ بعد رسول الله A
- ٢٩٧..... هل صلى بهم صلاة التراويح؟
- ٣٠٠..... هل توفي في أيام خلافة عمر أو عثمان؟
- ٣٠٣..... **زيّد بن أرقم الخزرجي الأنصاري**
- ٣١٧..... موافقه من الحاكمين
- ٣٢١..... **المصادر**
- ٣٣٩..... **كلمة شكر وتقدير**



قنوات التواصل مع الشيخ

| | |
|--|---|
| الايمل | fawzialsaif@gmail.com |
| الموقع الالكتروني | www.al-saif.net |
| قناة اليوتيوب | m.youtube.com/user/Fawzialsaif |
| تطبيق آيفون | bit.ly/alsaiapp |
| تطبيق أندرويد | bit.ly/1zPHwFh |
| قناة التلغرام | bit.ly/1M8Lzhk |
| المجموعة الصوتية الكاملة على دروبوكس | goo.gl/VMmT7X |
| روابط المقاطع القصيرة | goo.gl/XkTvmj |
| قناة الساوند كلاود | m.soundcloud.com/fawzialsaif |
| تطبيق الكتب اندرويد | play.google.com/store/apps/details?id=net.alsaiif.books |
| ايفون وايباد | appsto.re/us/_ptClb.i |
| الموقع الرديف | al-saif.app |
| الانستغرام | instagram.com/fawzialsaif_shortclips?igshid=195mov23vh9mx |
| قناة بودكاست الشيخ فوزي آل سيف لجوالات الايفون | apple.co/31oqGiO |